المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب

الشعر العربي في غربي أفريقيا منذ الاستعمار

السنغال ونيجريا

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب

اعداد
الطالب / عبد الصمد عبد الله محمد

اشراف
الدكتور / عبد البصير عبد الله حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والديّ العزيزين اللذين وقفا في على دراسة العلوم الإسلامية لأسهم بدوري في رفع راية التوحيد في ربوع غربي افريقيا .

وإلى كل من تهمه رفعة الإسلام والمسلمين ،

أهدي هذا العمل ،،

عبد الصمد عبد الله محمّد

شكر وتقدير

شكر و تقديـــر

الحمد والشكر لله سبحانه و تعالى المنعم المتفضل ، والصلاة والسلام على الهادى البشير نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهـم الى يوم الدين . وبعد :

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لا يشكر الناس لا يشكر اللـه " ، وعليه فاني أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذى الجليـل الدكتور عبدالبصير عبدالله حسين ، الذى تعلمت منه حرية الرأى والاستقلال في التفكير قبل أن آخذ من علمه الغزير وملاحظاته الدقيقة وتوجيهاته الصائبة الكثير الكثير ، وقد استفدت من علمه أيما استفادة فاليه أقدم خالص شكـرى ووافر امتناني ، والى الله أضرع أن ينسأ في عمره و يكسيه حلل الصحـة والعافية .

وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان بالجميل الى معالى مدير جامعـة أم القرى ، تلك الجامعة الفتية التي هيأت لطلابها سبل التحصيل العلمي ، كما أتقدم بالشكر والتقدير الى ادارة كلية اللغة العربية متمثلة في عميدهـا السابق الدكتور عليان بن محمد الحازمي وخلفه الدكتور محمد بن مريسـى الحارثي ووكيل الكلية الدكتور صالح جمال بدوى و رئيس قسم الدراسـات العليا العربية الدكتور حسن بن محمد باجودة ، الذين لا يألون جهدا في توفير كل التسهيلات الممكنة لطلبة الكلية .

كما أشكر المشرفين على معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامي بالجامعة ومنسوبي المكتبة المركزية .

كما لا أنسى ذوى الفضل عليّ في كل من السنغال و نيجيريا الذيـن سهلوا لي سبل الحصول على المخطوطات النادرة التي سهلت لي متابعـة بحثي و اخراجه الى حيز الوجود .

فالى هؤلاء جميعا والى كل من قدم اليّ يد العون أو المشورة أقدم شكرى وتقديرى وأسأل الله العليّ القدير أن يجزيهم عني خير الجزاء والحمد لله رب العالمين ،،،

المقدمة

ثم آن للغراس أن يثمر .. ففاضت قرائحهم في شتى مناحي الثقافة العربية الاسلامية ،وكان الحصاد وافرا غزيرا ،منه ما يتصل بحقل العقيدة والفقه ،ومنه ما يتصل بحقل علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض، ومنه ما يتصل بحقل المعارف الانسانية من تاريخ وتراجم وسير ،ومنه ما يتصل بحقل فنون الأدب من شعر ونثر .. وظل الخالفون منهم يضيفون الى تراث السالفين .. في مختلف المناحي الروحية والعقلية والفنية لا يفترون .. ولكن بعد ديارهم عن المصدر الثقافي الأم في الشرق ،ضرب حصار العزلة على حصاد معارفهم ،حتى ما يعرف عنها في بقاع الاسلام في المشرق بخاصة الا أقل القليل .. ثم ساعد على ذلك مؤامرات المستعمرين من أهل الغرب الذين يحرصون أشد الحرص على قطع ما أمر الله به أن يوصل بين أهل الاسلام .. وامعانا منهم في الكيد نقلوا أمهات المخطوطات التي تمثل النشاط العقلي والأدبي الى مكتباتهم في أوربا .. ثم قاموا بترجمة ما يهمهم منه الى لغاتهم ،ليكونوا على معرفة تامة بمزاج القوم ونفسياتهم ،حتى يسهل عليهم تسييسهم واحكام تغييبهم تحت ستار مسدل في ظلمات الاستعمار .

وهكذا تم حجب الثقافة العربية الاسلامية في منطقة غربي أفريقيا تحت ثقل عاملين شديدى الوطأة : أحدهما بعد الشقة عن الثقافة الأم في المشرق العربي الاسلامي ، والثاني مؤامرات المستعمرين الخبيثة التي ترتبط مصالحهم بحجب هذه الثقافة ..

ولما كنت متشرفا بانتسابي الى جامعة أم القرى بمكة المكرمة التي هي السويداء من قلب العالم العربي الاسلامي .. ومن ثم التحقت بكلية اللغة العربية من هذه الجامعة الفتية ، ثم تخصصت

بقسم الأدب من هذه الكلية ، منطلقا منه الى قسم الدراسات العربية العليا بتوفيق من الله ، ثم آن لي أن أختار موضوعا أبحثه لنيل درجة الماجستير ،فكانت كل الظروف الموضوعية تحتم علي أن يكون بحثي في حقل الثقافة العربية الأفريقية في هذه المنطقة النائية التي ضرب حصار العزلة حوله تراثها . .

من أجل ذلك كله كان موضوع دراستي : " الشعر العربي في غربي أفريقيا منذ الاستعمار " ، وقد وقفته على السنغال ونيجيريافحسب، حتى تأخذ الدراسة حقها من الشمول والعمق بعون من الله وتوفيقه تاركا بقية المنطقة لفرصة تالية اذا أذن الله تبارك وتعالى . .

ولا بد من الاشارة الى أن هنالك ثلاثة باحثين قد كان لهم فضل السبق الى العناية بهذا الموضوع ،أولهم الدكتور علي أبو بكر بأطروحة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان " الثقافة العربية في نيجيريا".

وقد لاحظت أن رسالته جنحت الى الاجمال فيما يخص الثقافة العربية بصفة عامة والشعر العربي بصفة خاصة.

ثم تلاه الدكتور أحمد سعيد غلادنثي بأطروحة أخرى بعنوان : " حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا " .

وقد لاحظت أنه قد طغى الحس التاريخي على الجانب الفني في رسالته ، مهملا الرجوع الى كنوز من المخطوطات التي تضمنت نماذج فنية من الشعر البالغ الأهمية .

ثم تلاهما الباحث سركي ابراهيم قدرس " فن الرثاء عند شعراء ولاية كانو في القرن العشرين " . . في أطروحة لنيل درجة الماجستير . .

وكانت دراسته أكثر تخصصا من سابقيه وأبعد تعمقا ، وقد ساعده على ذلك اقتصار الدراسة على فن واحد من فنون الشعر وفي بيئة واحدة من بيئات نيجيريا المتباينة .. هذا فيما يخص نيجيريا .

أما في السنغال ، فقد كان للدكتور عامر صحب فضل سبق في جمع بعض التراث الشعرى العربي للسنغال بعنوان " الأدب السنغالي العربي " .

غير أن جمعه للنصوص كان مبتورا شديد النقص ،فقد غابت عنه كثرة كاثرة من النصوص التي حجبتها عنه المخطوطات التي لم تصل اليه يده فضلا من أنه لم يعن بتحقيق النصوص ودراستها فنيا ،ويكفيه فضل السبق .. ويعلم الله وحده كم بذلت من جهد في سبيل الحصول على المخطوطات التي قصرت دون الحصول عليها الأخوة الفضلاء من الباحثين السابقين .

هذا .. وقد واجهت صعوبات وعقبات في سبيل انجاز هذا البحث .. منها أن مادة الدراسة لهذا الموضوع لا يزال أغلبها مخطوطات متناثرة بين مكتبات أوربا وجامعات غربي أفريقيا وعلمائها المتناثرين في مدنها وقراها كما سبق أن أشرت .. فكان لزاما علي أن أجمع المواد من مظانها ، فكابدت في سبيل ذلك ثلوج أوربا في فصل الشتاء مثلة في بريطانيا وفرنسا ، كما عانيت نصب السفر بين قرى نيجيريا والسنغال من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال .. وكان حتما علي تحقيق النصوص أولا ثم دراستها ثانيا ،فكنت في هذه الدراسة محققا ودارسا في آن واحد . وقد استعنت بالله رغم وعورة الطريق فكان لي في ذلك جهد المقل مع بذل المستطاع .

وقد اقتضت طبيعة البحث الذى تسير فيه الدراسة في اتجاهين أحدهما تاريخي والآخر فني تحليلي للشعر ، أن أقسم الرسالة الى تمهيد وبابين رئيسيين وخاتمة .

أما التمهيد : فيتناول الجانب التاريخي عن " فجر الاسلام في غربي أفريقيا " ،ويرصد البحث فيه القضايا الآتية :

أ - الاشراقة الأولى للدين الحنيف على هذه المنطقة.

ب - مدى انتشار اللغة العربية في هذه البلاد في ظل الاسلام.

جـ - تشرف المسلمين من أهل المنطقة بدعوة الممالك الوثنية المجاورة الى الاسلام .

د - جهاد المعاندين منهم.

هـ - كفاح المستعمرين .

وأما الباب الأول : فيتناول " حياة الشعر العربي في غربي أفريقيا .

وانقسم هذا الباب الى ثلاثة فصول :

يتناول الفصل الأول منه " نشأة الشعر العربي في غربي أفريقيا" معالجا القضايا الآتية :

أ - المناخ الثقافي الذى نشأ فيه الشعر العربي في غربي أفريقيا .

ب - حالة اللغة العربية في تلك الفترة .

جـ - أهم المؤلفات العربية التي كانت تدرس في المساجد والزوايا والخلوات .

د - أقدم النصوص الشعرية التي كانت متداولة بين طلاب العلم.

هـ - مراكز الاشعاع للثقافة العربية الاسلامية في المنطقة.

ويتناول الفصل الثاني منه " الجذور الفنية للشعر العربي في غربي أفريقيا معالجا القضايا الآتية :

أ - أثر الجاهليين في هذا الشعر .
ب - أثر شعراء الخضرمة والاسلام.
جـ - أثر شعراء بني أمية .
د - أثر المحدثين .
هـ - أثر شعراء الدول المتتابعة.
و - أثر شعراء العصر الحديث .

ويتناول الفصل الثالث منه " فنون الشعر العربي في غربي أفريقيا" معالجا القضايا الآتية :

أ - الشعر الغنائي بأغراضه التقليدية من مدح ورثاء ووصف وفخر وهجاء وغزل بالاضافة الى الشعر الاسلامي متمثلا في جهاد الوثنيين والشعر الوطني ممثلا في كفاح المستعمرين.
ب - الشعر التعليمي بما يشمل من زهد ووعظ وارشاد ومنظومات علمية.

أما الباب الثاني : فموضوعه " شعراء غربي أفريقيا "
ويقع هذا الباب في ثلاثة فصول كذلك :

يتناول الفصل الأول منه " شعراء السنغال " مترجما لأبرز شعرائهم مع ذكر مختارات من أشعارهم.

ويتناول الفصل الثاني منه "شعراء نيجيريا " مترجما لأبرز شعرائهم مع ذكر مختارات من أشعارهم .

ويتناول الفصل الثالث منه " الملامح المميزة للشعر العربي في غربي أفريقيا معالجا القضايا الآتيـة :

أ - أثر الروح الدينية على أشعارهم.

ب - الآفاق التي يستوحون منها صورهم وأخيلتهم.

جـ - أثر التكوين الثقافي في نسيج أشعارهم.

د - حظ أفكارهم من العمق الذهني والتأمل الفلسفي .

هـ - موسيقى أوزان الشعر الأثيرة في أشعارهم.

و - ملامح البيئة الأفريقية في هذا الشعر.

ز - كثرة استعمالهم للألفاظ الغريبة .

ثم ينتهي البحث بخاتمة أسجل فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

والحمد لله في الأولى والآخـــرة ،،،

تمهيد

((فجر الاسلام في غربي أفريقيا))

أطلقت كلمة أفريقيا " AERICA " قديما على الاقليم الذى يقابل الشمال الشرقي من الجمهورية التونسية حاليا . وكان معروفا باسم " ولاية أفريكا القنصلية لروما " وهو الذى عرب فيما بعد الى " أفريقية " ، أطلقه العرب في بداية الأمر على كل ما يلي اقليم طرابلس غربا ، فتحدد مدلول هذا اللفظ " أفريقية " مقتصرا على ما يلي طرابلس غربا حتى بجاية .

ثم أصبح يعني اقليم تونس (١) . وكان اللاتينيون في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد قد أطلقوا اسم " أفريكا " على القسم الذى خضع لنفوذ الفنيقيين من تونس الشمالية . وهو الجزء الذى كانت تقطنه قبائل " أفرى " ، والمقصود به الجزء الذى جعلته روما ولاية لها بعد تدمير قرطاجنة سنة ١٤٦ ق.م (٢) . ويرجع بعض الباحثين كلمة " أفريكا " الى أصل يوناني وأن " أفريكوس " مشتقة من اللفظ اليوناني " أفريكا " وهي جملة مكونة من حرف " آ " ويفيد النفي وكلمة " فريكا " وتعني " البرد " أى البلاد التي لا برد فيها أوالبلاد الحارة ، (٣) ثم أصبحت التسمية تشمل بقية القارة المعروفة الآن بالقارة الأفريقية .

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الانشا للقلقشندى جه ص ٩٩-١٠٩ ، الموسسة المصرية العامة ، وكذا Encyclopedia International p. 114

(٢) Encylopedia Britanica p.128 and Every man's encyclopedia p.118

(٣) Short Etymological dictionary & modern English origin p.8 , and : A latin dictionary p.69.

أما غربي أفريقيا الذى هو هدفنا في هذه الدراسة ،فهو جزء مما كان يعرف قديما عند المؤرخين المسلمين ببلاد السودان ، اذ أطلقوه على بلاد جنوبي الصحراء الكبرى ،كما أطلقوا على منطقة شمالي أفريقية والصحراء " بلاد البيضان " وكانوا يقصدون ببلاد السودان المنطقة العريضة جنوبي الصحراء الممتدة من المحيط الأطلسي في الغرب الى هضبة الحبشة في الشرق ، ومن الصحراء في الشمال الى الغابات الاستوائية في الجنوب .

والعرب أول من أطلق على هذه البلاد " بلاد السودان " مستوحية في ذلك لون بشرة السكان.

وقد قسم بعض الباحثين هذه البلاد الى ثلاثة أقسام رئيسية :

الأول : السودان الغربي ويشمل حوض السنغال وجمبيا وبركينافاسو (١) والنيجر الأوسط .

الثاني : السودان الأوسط ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد أى أنه يمتد شرقي نهر نيجر حتى الحدود الغربية للسودان الشرقي .

الثالث : السودان الشرقي ،وهو المعروف الآن بسودان وادى النيل ، ويشمل مناطق النيل وروافده جنوبي بلاد النوبة .. وكان يعرف هذا القسم عند العرب بين القرن التاسع والثاني عشر الميلاد بين باسم " بلاد الزنج " وهي التسمية الغالبة عليه في تلك الفترة الا أن كلمة السودان كانت تشمله أيضا.(٢)

---

(١) فولتا العليا سابقا.

(٢) مملكة سنغاى في عهد الأسقيين ص ٥ ، عبد القادر زبادية ، طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر .

أما غربي أفريقيا ،فيشمل السودان الغربي والأوسط ،أي المنطقة الواقعة بين بحيرة تشاد شرقا والمحيط الأطلسي غربا ،وتحدها من الجنوب المناطق الاستوائية ، ومن الشمال المناطق الجنوبية للصحراء وتقع بين خطي عرض ٩ و ١٧ درجة شمال خط الاستواء .

وقد كانت تربط بين شمالي أفريقية وغربيها علاقات قديمة تشهد لها أحداث التاريخ .. فقد وجدت عدة طرق للقوافل التجارية بين شمالي أفريقية الى غربيها عبر الصحراء الكبرى ، كانت بعض هذه الطرق من مراكش وتلمسان وتونس وطرابلس ومصر متجهة الى الجنوب فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل الى المراكز التجارية الرئيسة في غربي أفريقيا مثل " غانة " القديمة وتمبكتو وولايات الهوسا وكانم وبرنو وغيرها .. وقد تتصل بالصحراء ثم تتفرع وتتجه الى جهات مختلفة.

فالقافلة التي تبدأ من القاهرة تتجه أولا صوب النغرب الى أوجلة ومرزوق وهناك تتصل بقافلة أخرى من طرابلس فيتجه بعضها نحو الجنوب الى كانم " بواسطة بلما ، في حين أن بعض القوافل تستمر الى ولايات الهوسا عن طريق أهير .(١)

وهناك ثلاثة طرق رئيسة تسرب منها الاسلام الى غربي أفريقيا:

الأول : يبدأ من طرابلس مارا بفزان وكوار وينتهي في برنو داخل نيجيريا .

الثاني : يبدأ من تونس وينتهي في كانو .

الثالث : يبدأ من تافللت في المغرب ويتفرع فرعين أحدهما يمر

---

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجريا ص ٢ د/أحمد شيخو غلادنشي ،رسالة دكتوراه .

بسجلماسة و تغازة ،والآخر بتوات وأودغست . فيجتمعان في تمبكتو ومنها شرقا الى " كانو".

وهذه الطرق تدل على العلاقات التجارية القديمة التي كانت تربط بين شمالي أفريقية وغربيها ،تلك العلاقات التي وصفها الرحالة "بارت" بأنها أقدم مما يتصور (١) . ويذكر بوفيل أربعة طرق أخرى رئيسة كانت تربط بين الشمال والجنوب :

الأول : من سجلماسة الى وَلَاتَ ثم الى بلاد السنغال وأعالي نهر النيجر حيث الذهب .

الثاني : من غدامس الى بلاد الهوسا الغنية عن طريق غاط وأهير.

الثالث : من طرابلس الى برنو ونهر تشاد مارة بفزان وكوار .

الرابع : من قورينه (Cyrenica) الى وداى عن طريق كفره . (٢)

وقد تحدث مرفين هسكيت عن هذه العلاقات التجارية القديمة بين الشمال والجنوب مرجعا تاريخها التقريبي الى سنة ١٠٠٠ ق.م اذ وجدت منذ تلك الفترة عدة طرق تجارية كانت تصل المغرب والصحراء الغربي .

أما الطريق الأول فيمتد من المغرب الى الصحراء الغربي عبر موريطانيا الحالية الى نهر السنغال ، والفرع الشرقي لهذا الطريق

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢ ،د/ علي أبوبكر ،طبعة مؤسسة عبد الحفيظ البساط - بيروت .

(٢) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ٣ .

يؤدى الى " كومبي صالح " عاصمة امبراطورية " غانه القديمة "
ويرجح أن يكون هو الطريق الذى استعمل في الغزوات العربية " الفتوحات الاسلامية " التي بدأت من جنوبي المغرب في القرن الثاني الهجرى الثامن الميلادى متوغلة في الصحراء وراجعة بكمية كبيرة من الذهب ، وأن هذا الطريق قل استعماله ذات يوم ثم أعيد الى الحركة التامة في القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى عندما أنشأ البرتغاليون محطتهم التجارية في ودان .. وظل هذا الطريق مستعملا حتى نهاية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، وعندما فتح المسلمون شمالي أفريقية وربما في العهد الروماني بها كان الطريق الثاني من طرابلس الى " فزان " ، قد امتد من جنوبي غربي فزان الى " تدماكت " ، ويمكن أن يكون قد امتد حتى منحنى النيجر .. وكانت وسائل التنقلات المعتمدة في ذلك الوقت الثور والخيل قبل دخول الجمل بلاد الصحراء في القرن الثاني الميلادى . هذا ما يؤكده معظم المؤرخين في شأن امتداد هذا الطريق حتى داخل الصحراء .

أما الطريق الثالث للصحراء المار " بغاو " وجنوب غربي أهير الى واحات خرجه ، فقد كان مستعملا قبل دخول الاسلام في شمالي أفريقية ، وان كانت معرفة المدى الطويل له قبل الاسلام غير مؤكدة .. وكان مهجورا خلال القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى لخطورته .

ومهما يكن من أمر ، فان اتصالات شمالي أفريقية وغربيها قد أعيدت من القرن الثامن الهجرى " الرابع عشر الميلادى " .. ويبدو أن الذهاب الى الشمال " فزان " أصبح ضروريا قبل اللحاق

بالطريق المؤدى الى مصر .. وفي القرن الحادى عشر الهجرى " السابع عشر الميلادى " فتح الطريق المسمى بـ " الطريق السوداني " من وادى النيل الأعلى عبر فنج ودافور ووداى وامتد حتى برنو ،كما وجد طريق قديم آخر في الشرق من طرابلس الى كانم عبر فزان وواحات كوار .. ويؤكد " مرتين " أن هذا الطريق كان مستعملا خلال العهد القرطاجني في القرن الثالث قبل الميلادى ،وقد يكون قد امتد الى بحيرة تشاد في وقت ما قبل القرن السابع الميلادى " الأول الهجرى " ويمكن أيضا أن يكون مغلقا لفترة مؤقتة خلال الغزو العربي لشمال أفريقية (الفتح الاسلامي) في القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) غير أنه سرعان ما فتح من جديد واستمر في الاستعمال مع توقفات آنية حتى القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى). (١)

ومن مجموع ما سبق ، يتجلى مدى قدم العلاقات التجارية بين شمالي أفريقية وغربيها ،ومنها نتعرف على الخطوات الأولى لدخول الاسلام في غربي أفريقيا الذى هو هدفنا في هذا التمهيد ..

لقد كان قيام حركة المرابطين ثم توغلهم في الصحراء تحت قيادة أبي بكر عمر اللمتوني (٢) ،حدثا شديد الأهمية جعل الاسلام تحت الأضواء في تاريخ غربي أفريقيا ، اذ لم يكن المرابطون أول من بشر بالاسلام في هذه البلاد ،فقد سبقهم الى ذلك عدة محاولات هيأت

---

(١) M. Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.322.

(٢) هو أبو بكر بن عمر اللمتوني أحد زعماء المرابطين توفي سنة ٤٨٠هـ.

للاسلام أن يدلف بخطى بطيئة في غربي هذه القارة في مدة لا تقل عن مائتي عام.

أما متى تسرب الاسلام الى غربي أفريقيا فتلك قضية ظلت مجهولة حتى ألقى عليها بعض الضوء الفلكي العربي الفزارى [(١)] في القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) [(٢)] ،فقد كان يعرف الدولة السودانية " غانه " كمصدر للذهب وما دام عاش فترة ما بين ١٣٢ - ١٨٢ هـ / ٧٥٠ - ٧٩٩ م ، فان ذلك يشير الى أن التجار المسلمين كانوا ضمن أولئك الذين كانوا على اتصال مبكر بداخل السودان في بداية القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) أو بعيد ذلك .. ويعتبر الفزارى أول كاتب عربي مسلم أشار الى ذهب السودان كما ألقى الضوء على هذه الحقيقة الجغرافي العربي المسلم ابن الفقيه المتوفى سنة ٣٦٥ هـ/ ٩٧٦ م [(٢)] ،حيث تحدث عن طرق القوافل التجارية عبر الصحراء من غانة الى مصر عن طريق " غاو " مدينة القوافل في منحنى النيجر .. وقد ظل هذا الطريق مهجورا من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ولكنه كان مستعملا لمدة طويلة قبل هذا الهجران ،

---

(١) هو ابراهيم بن حبيب بن سمرة أبو عبدالله الفزارى وهو الذى يقول فيه جعفر بن يحيى : لم ير أبدع في فنه من الكسائي في النحو والأصمعي في الشعر والفزارى في النجوم " معجم الأدباء لياقوت جـ ١٧ ص ١١٩-١٢٠.

(٢) هو أحمد بن اسحاق بن ابراهيم الهمذاني ويعرف بابن الفقيه " أبو عبدالله " أديب عالم بتقويم البلدان ومن تصانيفه " كتاب البلدان " معجم المؤلفين جـ٢ ص ٨٠.

وربما قبل فتح المسلمين لمصر ، فمن الجائز اذن أن يكون ثمة تأثير اسلامي قادم من مصر الى السودان الغربي منذ القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) ،والذى ينبغي أن نلاحظه هنا أنه ليس هنالك دليل قاطع على أن هذا التأثير في القرن الأول الهجرى كان ثابتا . ولكن هناك احتمالات لحصوله في هذا الوقت المبكر. فمعلومات الجغرافي المسلم المهلبى (١) المتوفى سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م ، التي تشير الى أنه كان لمدينة " غاو" ملك مسلم وكان فيها مسجد في عهده، تؤكد هذا الاحتمال اذ لا يعقل أن هذا كله قد تم في ليلة واحدة ، وكذلك ما ذكره البكرى (٢) من وجود حي اسلامي في " غاو" وأن ملك هذه المدينة كان مسلما (٣) .. وتلك حقيقة أكدها المؤرخ الأفريقي السوداني أحمد بابا التمبكتي ، فقد ذكر أنه كان يوجد اثنا عشر مسجدا في مدينة "غانة" " كومبي صالح " حوالي عام ٦٠ هـ-٦٧٩ م ، وأن امبراطورية أودغست الاسلامية وهي التي كونها " السوننك " احدى فروع " الماندنجو" قامت بدور كبير في نشر الاسلام منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ، كما ذكر ابن حوقل (٤) أن ملك

---

(١) هو حسين بن أحمد المهلبي له كتاب " المسالك والممالك " المشهور بالعزيزى ألفه للعزيز بالله الفاطمي صاحب مصر ونسبه الى اسمه " معجم المؤلفين جـ٣ ص ٣١٣.

(٢) هو أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكرى ولد سنة ٤٣٢هـ وتوفي سنة ٤٨٧ هـ ومن تصانيفه كتاب المسالك والممالك وكتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب .

(٣) M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.19

(٤) هو محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادى الموصلي " أبو القاسم" رحالة جغرافي . توفي بعد سنة ٣٦٧هـ ومن آثاره " المسالك والممالك" معجم المؤلفين جـ١١ ص ٥ .

أودغست يتبوتان ، كان شديد الحماس في نشر الاسلام بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب.(١)

وكان للفتح الاسلامي لبلاد المغرب أثره الكبير في دفع المسلمين شمالا حتى الأندلس وفرنسا. وجنوبا حتى بلاد السودان . ورووا أن حملة اسلامية وصلت في عام ١٠٢هـ - ٧٢٠ م الى السنغال وعادت بكميات كبيرة من الذهب ،وكانت أصلا موجهة لمطاردة البربر.(٢)

كما ينقل مرفين هسكيت عن ابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ ٨٧١م ، أن حملة قد نفذت في القرن الأول الهجرى " السابع الميلادى " من جنوبي المغرب الى داخل السودان وقد قدر لها النصر المظفر ،وأخذت كمية كبيرة من الذهب ويبدو أنه خلال هذه الحملة أسر المغيرون جوارى من زناتة ،اللواتي رجعوا بهن الى بلادهم(٣) .

ويروى ابن خلدون حملة عقبة بن عامر بن عبدالقيس الى السودان قائلا : (فقد فتح عقبة بن عامر بن عبد القيس باسم عمرو بن العاص مدينة غدامس التي كانت بوابة النيجر الشرقية سنة ٦٣ هـ - ٦٦٣ م ،وفي السنة الموالية افتتح ودان وكوار في السودان وأثخن في تلك النواحي ،وكان له جهاد وفتوح ".(٤)

---

(١) دولة مالى الاسلامية ص ٤٧ ،د/ ابراهيم على طرخان ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٨.

(٣) M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.19

(٤) بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٣٢ ، محمد المغربي ،طبعة موسسة الغليج للطباعة والنشر بالكويت .

ويذكر ابن عذارى المراكشي[1] أن عقبة انحدر في حملته الثانية الى السودان من بلاد المغرب ووصل الى غانة عن طريق ودان وبنى مساجد فيها .[2]

واعتمادا على مقارنة بين المصادر يتبين أن عقبة قام بحملتين الى السودان احداهما من تونس ، والثانية من المغرب ، ولا نعثر في أى مصدر على أخبار قتال أوحصار في الحملتين معا مما يدل على استجابة الأفارقة لدعوة الدين الجديد عن طواعية واقتناع ، وهو ما علل له بعض الباحثين بقوله : ونحن نرجح أن وجود قبائل بربرية وفيرة ومتنفذة في الصحراء والسودان بالاضافة الى خصائص الدين الجديد وروحه التحريرية ، خلقا جوا مناسبا لوصول الفاتح العربي الى أهدافه الروحية . والثابت أن حملة عقبة هدت أغلب قبائل البربر وبعض قبائل غانة الى الدين الجديد بالقدر الذى فتحت أعين حكام شمال أفريقيا على امكانيات السودان[3] ، كما يذكر في معرض حديثه عن المدن ذات الأهمية التجارية في امبراطورية غانة مدينة " هنيشين " التي ضمت جالية عربية هي بقايا الجنود الذين سبق لخلفاء بني أمية في الأندلس أن وجهوهم للسودان فتخلفوا وتزوجوا سودانيات[4] . غير أنه لا يذكر مصدره القديم في هذه الرواية وهي لا تتفق ورواية البكرى التي يقول فيها :

---

(١)

(٢) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، جـ١ ص٢٧ تحقيق كولا وبروفينصال .

(٣) بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٣٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

" وببلاد غانة قوم يسمون بالهمنهمين من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية أنفذوه الى غانة في صدر الاسلام وهم على دين أهل غانة الا أنهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم فهم بيض حسان الوجوه (١) ".

ويتضح لنا اختلاف الروايتين القديمة والحديثة ففي حين تنفي الروايـــة القديمة المصاهرة والمناسبة بينهم وبين السودانيين وان تحولوا الى دينهم يثبت الباحث الحديث المصاهرة ويتوقف عن أحوالهم الدينية، ونحـــن لا نستطيع أن نرجح رأى الدارس الحديث وان كانت قريبة من العقـل لأنه لم يزودنا بمصدر قديم نعتمد عليه. وعلى أى حال ،فان كثيرا من المراجع الغربية تتحدث أيضا عن توغل جيش عقبة بن نافع أفريقية الغربية واحتلاله بلاد التكرور وغانة وان أبدى بعضهم تحفظه وعدم ارتياحه ازاء الروايات الناطقة بذلك. (٢)

ويصف لنا البكرى غانة قائلا :

" ومدينة غانة مدينتان سهليتان ، احداهما المدينة الاسلامية ، التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا احداها يجمعون فيه ولها الأئمة والمؤذنون وفيها فقهاء وحملة علم ،وحواليها آبار عذبة وعليها يعتلون الخضروات (٣) .. كما ذكر القلقشندى اسلام أهل غانة بقوله " وكان أهلها قد أسلموا في أول الفتح ". (٤)

----

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٧٩ للبكرى - دى سلان - الجزائر.

(٢) مثل الرحالة الانجليزى بارت في كتابه Travels in Central Africa Vol. IV p. 580

(٣) المغرب للبكرى ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٤) صبح الأعشى جـ٥ ص ٢٨٤ وهو أحمد بن عمر.

ومجمل القول أن الأدلة على دخول الاسلام وانتشاره في السودان الغربي خلال هذه الفترة المبكرة أى من سنة ٢٦ هـ - ٦٤٧ م وحتى سنة ٤٦٩ هـ - ١٠٧٦ م التي كانت نقطة تحول اسلامي وأصبحت واضحة للعيان .. كانت هذه الأدلة تعتمد أولا على الروايات الشفوية المتواترة عن التجار المسلمين والرحل الذين كانوا يجوبون تلك المناطق للتجارة أو الاطلاع ، الأمر الذى لا يترك مجالا للشك أمام الباحث للاعتقاد بأن التأثير الاسلامي في السودان الغربي قد بدأ بعيد انتصار المسلمين واستيلائهم على مصر.. وان كان لا يمكن تقدير مدى هذا التأثير .

وفي وصف البكرى لمدينة غانة والمساجد الموجودة فيها وكذا تأكيد مؤرخ بلاط صنغاى أحمدبابا التبكتي ما يرشح هذه الحقيقة من أن الاسلام دخل هذه المنطقة منذ فجر تاريخه اذ لا يعقل أن تكون تلك المدينة الاسلامية التي تضم اثنى عشر مسجدا في تلك الفترة المبكرة قد ظهرت الى الوجود وقامت على ذلك الشكل المتطور وازدهرت بتلك المساجد الاثني عشر بين عشية وضحاها ، أضف الى ذلك أنها كانت ابان تلك الفترة المبكرة موطنا لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم . كما كانت في الوقت نفسه كعبة علم يقصدها طلبة العلم وينسلون اليها من كل حدب وصوب .. على أن الفضل في ازدياد انتشار الاسلام في السودان الغربي يرجع الى الجهود المضنية التي بذلتها الدول والممالك الاسلامية التي قامت في تلك المنطقة ،ولعل أول مملكة اسلامية يسجل التاريخ مساهمتها في هذا المضمار هي مملكة صنهاجة الجنوب أو اللثام.. فقد اتحدت هذه القبيلة مع قبائل لمتونة وجدالة

في القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) للعمل على تنظيم تجارة القوافل عبر الصحرا ء فيما بين أقصى الشمال حيث تنزل قبيلة ولاتـه ، وأقصى الجنوب حيث تقع مملكة غانة .. الا أن هذا التحالف لم يدم طويلا اذ وهنت أواصره فتفرقت كلمة القبائل البربرية في حين كانت الفرصة مهيأة أمام مملكة غانة القديمة للازدهار والسيطرة على بعض أجـزاء الصحراء التي تؤمها قوافل العرب والبربر .. فلما دخلت صنهاجـة في نعمة الاسلام في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) تسرب الدين الحنيف عبر الصحراء وعم المراكز التجارية الموجودة هناك واتسمت مدينة " أودغست " التي كانت المركز الأمامي لتجارة غانة على حافتهـا الشمالية -بالطابع الاسلامي- وتحت لواء هذا الدين الذى يدعو الى الاعتصام بحبل الله استطاعت قبائل صنهاجة أن تكوّن تحالفا جديدا تزعمته لمتونة بفضل الجهود التي بذلها الزعيم اللمتوني " تيولتان بن تكلان " الذى شرح الله صدره للاسلام .. وكان الهدف من هذا التحالف هذه المرة هو الجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام في السودان الغربي (١) ..

ولأهمية مملكة غانة السياسية والاقتصادية والعسكرية رأى الحلف أن يوجه سهامه اليها وخاصة أنها كانت أقرب مملكة وثنية اليهم ،أضف الى ذلك أن الضعف بدأ يدب في عظام هذه المملكة السودانية الفتية بعد بلوغها أوج عزها وقوتها الاقتصادية والعسكرية ، وبالقضاء على هذه المملكة العظيمة - التي وصفها ابن خلدون بقوله :" كانوا أعظم أمة ولهم أضخم ملك "- (٢)

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ١٩ .

(٢) العبر جـ٦ ص ٤١٢ ،ابن خلدون طبعة دار الكتاب اللبناني .

يصبح الطريق ممهدا لفتح الممالك السودانية الأخرى ليسرى الاسلام بين قبائلها الوثنيين .. فجهزت صنهاجة جيشا جرارا لغزو المملكة فتوجه الجيش صوب مدينة "أودغست" عاصمة غانة ، وما أن سمع ملك غانة خبر الجيش الصنهاجي حتى جهز جيشا مماثلا لقتاله دفاعا عن مدينته الحيوية تجاريا والتي تمثل مصدرا اقتصاديا هاما لا يمكن للمملكة الاستغناء عنه .. فتقابل الجيشان في معركة أسفرت عن انتصار الجيش الصنهاجي .. ولم يكن لينتصر على غانة مستوليا على مدينة أودغست لولا ما وقع لغانه من سوء حظ ، اذ أغار عليه شعب "صومو" الذى تقع دياره الى الجنوب من ديار "غانة ، فطعنها من الخلف طعنة غير متوقعة فكان على المملكة أن تحارب عدوين شرسين في آن واحد .. فقد أغار عليها صوصو من الجنوب في الوقت الذى أغار عليها الملثمون من الشمال (١) ، فسقطت مدينة أودغست أمام الملثمين بفضل ما قام به شعب "صوصو" من دعم لهم اما ميلا الى الاسلام أوكراهية لغانة لسيطرتها على الممالك السودانية الأخرى أوعلى مدينة أودغست التي تمثل مركزا تجاريا هاما تمر به صادرات أفريقيا الغربية ووارداتها عبر الصحراء الكبرى .. واتخذت صنهاجة مدينة أودغست عاصمة لمملكتهم ، ومنها أخذوا ينشرون الاسلام في المنطقة الواقعة شمالي نهر النيجر .. ووصف ابن خلدون هذه المملكة بأنها كانت مسيرة شهرين في مثلها . كما وصف ملكها "تبولتان" بأنه كان يركب في مائة ألف نجيب . (٢)

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢٠ .

(٢) العبر جـ٦ ص ٣٧٢ .

وبعد وفاة الزعيم اللمتوني استمر الملك في اعقابه حتى عام ٣٠٦هـ حين تبدد شمل الحلف وتفرقت قبائل البربر (١) وانتهزت غانه فرصة هذا التفرق لبسط نفوذها من جديد على أودغست ،الا أنها لم تقدر على استرداد جميع أملاكها السابقة ،بعد أن استقر قبائل الملثمين فيها فاكتفت بالسيطرة على المدينة التجارية الهامة ،ولا شك أن ذلك يكفل لها التحكم في طريق التجارة بين المغرب والسودان وهو ما يدر عليها أرباحا طائلة وذلك هو المبتغى .

ولم يدم عامل الفرقة بين الملثمين طويلا ،فقد استطاعت لمتونة بفضل جهود الأمير بروتان وبسنو" أن تلم شعث الملثمين مرة أخرى للهجوم على أودغست لتقصى عنها سلطة غانة وتحولها الى عاصمة لها مرة أخرى ،وتم لها ذلك عام ٣٥٠هـ .

غير أن لهيب الصراع ظل يتطاير شرره بين غانة وبين الملثمين فما كانت غانة لتهدأ ثائرتها ما لم تسترد مدينة أودغست التي تعتبر قضيتها قضية حياة أو موت ،وما لبثت أن استردت المدينة مرة أخرى وتفرقت قبائل الملثمين ..

وهكذا ظلت مدينة أودغست تحت سيطرة غانة حتى استولى عليها المرابطون في القرن الخامس الهجرى " الحادى عشر الميلادى " فردوها الى الملثمين ..

فقد قدر ليحيى بن ابراهيم شيخ قبيلة جدالة أن يؤدى فريضة الحج مع بعض الصنهاجيين عام ٤٥٦ هـ / ١٠٣٥م اثر رحلته تلك التي أراد من ورائها أن يستنير ويستزيد من تحصيل العلم بعد أن ضاق

---

(١) العبر جـ٦ ص ٣٧٢ .

ذرعا بما تعثر فيه قومه من الجهالة وسوء الفهم لمبادئ الاسلام ،فعهد بأمور القبيلة الى ابنه وأخذ يتجول في بلاد المغرب طلبا للمعرفة حيث وقف على أصول الاسلام القويمة فعقد العزم على أن يذيعها بين الملثمين . وبعد عودته من رحلة الحج أدرك أنه لا يستطيع مباشرة هذه المهمة الشاقة بمفرده لانشغاله بأمور القبيلة .

ومن هنا رأى ضرورة البحث عن فقيه يعلم قومه الاسلام ليخلصهم من الاعتقادات الخاطئة ، فتوجه صوب القيروان المركز الاسلامي العام. حيث أحس بالبون الشاسع بين البيئتين بيئة المغرب الأقصى الزاخرة بالحياة العقلية الرفيعة وبيئة الصحراء التي ترتضخ في الجهل فاتصل بشيخ المالكية في القيروان أبوعمران الفاسي ملتمسا منه انتداب تلميذ له يرجعون اليه في نوازلهم وقضاياهم الدينية .. وحرصا من الشيخ على ايصال الخير اليهم وجههم الى تلميذه " وجاج بن زلو اللمطي " وانتدب لهم هذا الأخير تلميذه الفقيه الورع المجاهد المقدام " عبدالله بن ياسين بن مكو الجزولي " فاستجاب لهذه الدعوة وكرس جهده لهداية هؤلاء الناس يعلمهم القرآن ويقيم لهم الدين..(١) الا أن طابع التشديد الذى انطبع به منهج عبدالله بن ياسين قد نفر القوم عنه فقرر أن يهجرهم الى جزيرة على ضفاف نهر السنغال بقصد الانقطاع لله والسياحة مستصحبا يحيى بن ابراهيم وسبعة من رجال جدالة .(٢) .. غير أن البربر الذين أعرضوا عنه لعنفه قد

----

(١) العبر ج ٦ ص ٣٧٤.

(٢) تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ص٢٢٧-٢٢٨ ،للوزير الغرناطي ،لسان الدين بن الخطيب ،طبعة دار الكتاب .

شعروا بوخزة الضمير فجاءوا اليه يلتمسون منه العفو مبدين استعدادهم التام لتلقي تعاليمه الدينية وتنفيذ أوامره ومن ثم اجتمع حول عبدالله ابن ياسين في رباطه الذى اتخذه في تلك الجزيرة زهاء ألف شخص سماهم المرابطين.(١) وبعد أن اكتمل له هذا العدد الضخم من الرجال الأقوياء بايمانهم قال لهم عبدالله بن ياسين : " ان ألفا لن تغلب عن قلة وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه وحمل الكافة عليه فاخرجوا بنا لذلك فخرجوا وقتلوا من استعصى عليهم من قبائل لمتونة وكدالة ومسوفة حتى أنابوا الى الحق .. وأذن لهم في أخذ الصدقات من أموال المسلمين وسماهم المرابطين.(٢)

ولعل أهم ما قام به المرابطون خدمة للاسلام في السودان الغربي هو هجومهم على مدينة أودغست التي كانت"غانة" قد استردتها من الملثمين . فقد استطاع المرابطون أن ينتصروا على " غانة " بعد معركة استبسل فيها الفريقان واستشهد فيها قائد المرابطين " يحيى بن عمر" وانتهت باستيلاء المرابطين على " أودغست " وكان ذلك سنة ٤٤٧هـ-١٠٢٦م ،وقد علل بعض المؤرخين هزيمة غانة بأن ملك التكرور الذى شرح الله صدره للاسلام قد حالف المرابطين وخاض غمار الحرب الى جانبهم.(٣)

أمـا " غانة " فمن المعروف أنها كانت أكبر امبراطورية أفريقية قامت بغربي أفريقيا ،وكان أول سلطانها هو " تيمغ " وان سلطة غانة قامت قبل البعثة المحمدية بزمن طويل ، تملك في أثنائه اثنان وعشرون ملكا ثم تملك بعدها اثنان وعشرون آخرون .(٤)

---

(١) تاريخ الدول الاسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، ص ٣٢ ،د/ عبد الرحمن زكي ،المؤسسة العربية الحديثة .

(٢) العبر ج٦ ،ص ٣١٨.

(٣) راجع الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢٥.

(٤) راجع تاريخ الفتاش ص ٤١ تحقيق هوداس ودونوا - باريس ١٩٦٤م.

وكان حكامها الأوائل بيضانا في الأصل [1] ، وان كانت الأصول التي يرجعون اليها لا زالت لغزا أعيا الباحثين حله ولا يزالون مختلفين .

واشتهرت هذه الامبراطورية بعظمة قوتها العسكرية والاقتصادية وبرفاهة ملوكها وثرائهم وبذخهم .

على أن دولة ملوكها البيض سقطت في نهاية القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) حيث قامت أسرة " السوننك " بثورة ضدها وتأسست دولتهم على أنقاضها .

وفي زوال دولة الحكام البيض يقول أحد المؤرخين " :

" ثم أفنى الله ملكهم وسلط أراذلهم على كبرائهم .. وقتلوا جميع أولاد ملوكهم حتى يبقروا بطون نسائهم ويخرجوا الأجنة و يقتلونهم" . [2]

وبعد أن تبدد شمل الحكام البيض اتجه بعض فلولهم مع أنصارهم الى بلاد " التكرور " فاختلطوا هناك بالتكاررة فلم يعودوا بيضا كما كانوا بل أصبحوا أشبه بالزنوج منهم بالبيض .

ويروى أنهم نجحوا في التحكم السياسي في منطقة " تكرور " فظلوا هناك أصحاب النفوذ حتى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) عندما ثارت ثائرة " التكاررة " فسحبوا بساط الحكم من تحتهم وطردوا هؤلاء المغتصبين الدخلاء .

---

(١) تاريخ السودان للسعدى ص ٩ نشر هوداس - باريس ١٨٩٨م.

(٢) تاريخ الفتاش ص ٤٢.

ويذكر أن هوءلاء البيض هم الذين اشتهروا فيما بعد باسم " الفلانيين " . وقد حكم خلفهم من الأسرة السوننكية امبراطورية " غانة " حتى مطلع القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) باستثناء الفترة التي استولى خلالها المرابطون على عاصمة " غانة " من عام ٤٩٧ - ٤٩٩ هـ / ١٠٧٦ - ١٠٧٨م . وفي عهد هذه الأسرة بلغت الامبراطورية أوج قمتها وذروة مجدها وازدهرت اقتصاديا وعسكريا . (١)

وقد اشتملت هذه الامبراطورية على منطقة واسعة من الحدود المتاخمة لجنوبي الصحراء الكبرى شمالا وامتدت جنوبا الى مناجم الذهب في" بمبوك " ومن نهر النيجر في الشرق الى المحيط الأطلنطي غربا .

هذه المنطقة تشكل حاليا جزءا من جمهورية موريتانيا ، وكلا من جمهوريتي السنغال ومالي . (٢)

وقد دان لهذه الأمبراطورية بالولاء عدد كبير من ملوك السودان الغربي ابان عزها وقوة سلطانها ، ولا نبلغ حد الشطط اذا قلنا ان غالبية ملوك هذه المنطقة كانوا يدينون لها بالولاء التام ، ويوءيد ذلك قول ابن خلدون : " كانوا أعظم أمة وأضخم ملك " . (٣)

---

(١) امبراطورية غانا الاسلامية ص٢٧ .

(٢) P.B. Clarke, West Africa and Islam p.37.

(٣) العبر جـ٦ ص ١٤٩ .

ورغم المعارك العديدة التي خاضتها " غانة " مع دولة صنهاجة اللثام ودولة المرابطين الا أن هاتين الدولتين لم تستطيعا أن تحملا ملوك " غانة " على الاسلام عنوة . والسبب في ذلك يرجع الى أنه لم تقدر أية واحدة منهما على سحق قوة " غانة " العسكرية والاستيلاء على جميع أراضيها ، وقد رأينا فيما سلف عن الدولتين الصنهاجية والمرابطية كيف أن كل واحدة منهما لم تزد على الاستيلاء على مدينة " أودغست " عاصمة " غانة " وكيف أن " غانة " لا تلبث أن تستردها وان كانت الدلائل تشير الى أن " غانة " لم تستطع أن تسترد عاصمتها الحيوية بعد استيلاء المرابطين عليها عام ٤٨٨ هـ / ١٠٦٧م.

وهاهو ذا البكرى يصف غانة وملوكها في العصر الذهبي ، فيقول :

" ان اسم ملك " غانة " في سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٣٩م " تنكامينين" الذى ولي سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٣٤م ،وكان اسم الملك قبله " بسي " الذى ولي وهو ابن خمس وثمانين سنة ،وكان محمود السيرة محبا للعدل مرشدا للمسلمين (١).

أما عن عاصمتها ،وهي مدينة " أوكار " التي تحول اليها الملك بعد سقوط " أودغست " فيقول فيها " ومدينة " غانة " مدينتان احداهما المدينة التي يسكنها المسلمون ،وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ،أحدها يجمعون فيه . ولها الائمة والموءذنون والراتبون ، وفيها فقهاء وحملة علم .. ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة والمساكن بينها متصلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط" (٢)

---

(١) المغرب ص ١٧٥.

(٢) المصدر نفسه .

ورغم وثنية الملك الا أنه كان يحترم المسلمين ويكرمهم و يتخذ منهم بعض خاصته ،وآية ذلك ابتناؤه مسجدا في مدينته يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين ، يقول البكرى :

" وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس الحكم ".

وفي تصوير البكرى للحياة الاجتماعية ما لا يبقي مجالا للشك في أن الاسلام قد انتشر في ربوع الامبراطورية رغم تمسك الملك نفسه بالوثنية . وليس أدل على ذلك من كون " تراجمة الملك من المسلمين وكذا صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه ".

ويصور البكرى الميزة التي كان يتمتع بها المسلمون تحت مملكته دون غيرهم . وتلك الميزة في التقاليد المرعية في السلام على الملك فيقول : " فاذا دنا أهل دينه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤسهم فتلك تحيتهم له ،وأما المسلمون فانما سلامهم عليه تصفيق باليدين ".(١)

وهنا يجدر بنا الرد على المؤرخ الغربي في زعمه الكاذب بأن ملوك " غانة " قد حملوا على الاسلام عنوة عند استيلاء المرابطين على " أودغست ".(٢)

وهو زعم يفتقر الى دليل و يستند على أساس واه .. اذ أنه لو كان

---

(١) يراجع كتاب المغرب ص ١٦.

(٢) Hoben : The Mohammadan Emirates p.29.

خروج " أودغست " من أيديهم بحطهم على اعتناق الاسلام لاعتنقوه من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، حين استولى الزعيم اللمتوني " تبولتان بن تبكلان " على المدينة للمرة الأولى ، ولكنهم لم يسلموا بسل حولوا عاصمتهم الى " أوكار " التي تقع على مسافة خمسة عشر يوما في الجنوب ، فاذا كان المرابطون لم يزيدوا على الاستيلاء على " أودغست " فليس هنالك ما يحمل ملوك " غانة " على اعتناق الاسلام لأنهم لم يفقدوا الا جزءا صغيرا من مملكتهم .. وان كان حيويا جدا من الناحية الاقتصادية للدولة (١) . ومن الصعوبة بمكان تحديد الوقت الذى اسلم فيه ملـــوك " غانـة " وذلك لعدم تحديده في المراجع التي بأيدينا .

فالزهرى الذى كان كتابه بعد كتاب البكرى يذكر أن ملوك " غانة " كانوا مسلمين في القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى. (٢)

والادريسي الذى كتب بعد أن أسلموا تحدث عن كونهم مسلمين فقط ولم يشر الى الوقت الذى أسلـموا فيه. (٣)

وقد بدأ الضعف يسرى في أواصر مملكة " غانة " منذ هزيمتهـا على أيدى المرابطين ومنذ انفلت من يدها زمام مدينة " أودغست " ذات الحيوية الاقتصادية ، والتي تمر بها صادرات وواردات السودان الغربي من ذهب وقطن وجلود وصمغ وعاج وعسل وذرة الى أقطار شمالي أفريقية .

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٠ .

(٢) نقلا عن كتاب: P.B. Clark West Africa and Islam p.18.

(٣) الشريف الادريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ص ٦ (ليدن ١٨٩٤) .

وبفقد هذه المدينة فقدت " غانة " أكبر مورد من مواردها .. وبتضاؤل اقتصاديات الدولة أخذ الضعف يدب في عظامها شيئا فشيئا حتى أنتهى بها الحال الى سقوطها عام ٦٦١ هـ/ ١٢٤٠م على يد ملك صوصو الذى أغار عليها عدة مرات وأخيرا تم له الاستيلاء على العاصمة " أوكار ".

ومع أن هذا الملك لم يستطع أن ينشيء مملكة كبيرة بتحطيم مملكة " غانة " فانه مهد الطريق لقيام دولة " مالي " التي قامت بدور بارز في نشر الاسلام في السودان.(١)

وهنا يتحتم علينا أن نؤكد حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل ، وهي أن أهمية هذه المملكة تتركز في أمرين اثنين ساعدا على انتشار الاسلام في كثير من بلاد أفريقيا الغربية وهما :

أولا : عدم صد هذه المملكة رعاياها عن اعتناق الاسلام وترك الحرية الكاملة لهم لممارسة شعائرهم الدينية ومنح المسلمين بعض الامتيازات التي لا يتمتع بها الوثنيون الذين هم على دين الملك.

ثانيا : ما يذهب اليه عدد كبير من المؤرخين من أن حكام هذه المملكة هم الأصل للشعب الفولاني الذى قام بدور كبير في نشر الاسلام والثقافة العربية في كثير من بلاد أفريقيا الغربية.(٢)

----

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

أما " مالي " أو " ملّ " كما تسمى أحيانا ، فهو الاسم الذى أطلق على المملكة التي أسسها قبائل " السوننك " أو " المالنك " في منحنى النيجر .

وكانت قديما تحت حكم أسرة " كيتا ".

ويحيط الغموض تاريخ نشأتها لخلو المصادر المعتمدة في تاريخ السودان الغربي منه.

وكانت ذات يوم جزءا من امبراطورية " غانة " ، وان كانت تتمتع باستقلال ذاتي.(١)

وكان من بين ملوكها ، ملك أسلـــم على يد شيخ طيب اثر محنة كادت تفنى البلاد والعباد .. ولكنها انجلت بفضل دعاء هذا الشيخ المسلم .. ولنترك المجال للبكرى كي يحدثنا عن هذا الحدث الجليل :

" عرف ملك " مالي " بالمسلماني لأنّ بلاده أجدبت عاما بعد عام ، فاستسقوا بقرابينهم من البقر كادوا يفنونها ، وكان عندهم ضيف من المسلمين يقرىء القرآن ويعلم السنة . فشكا اليه الملك ما دهمهم من ذلك ، فقال لهم :

أيها الملك ، لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الاسلام كلها ، لرجوت لك الفرج مما أنت فيه وحل بك. وأن تعم الرحمـــة أهل بلدك وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناوأك .

---

(١) M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa p.28.

فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته ، وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه . وعلمه من الفرائض والسنن ما لا يسع جهله ثم أمهله الى ليلة جمعة ، فأمره فتطهر فيها طهرا سابغا وألبسه ثوب قطن عنده ، وبرزا الى ربوة من الأرض ، فقام يصلى والملك عن يمينه يأتم به . فصليا من الليل ما شاء الله ﷺ و " الشيخ " يدعو والملك يؤمن ، فما انفجر الصباح الا والله قد أعمهم بالسقي . فأمر الملك بكسر الدكاكير " أى الأصنام " وأخرج السحرة من بلاده . وصح اسلامه واسلام عقبه وخاصته، وأهل مملكته مشركون فوسموا ملكهم منذ ذلك الوقت بالمسلماني " . (١)

تلك هي قصة اسلام أول من أسلم من ملوك " مالي " .

ومع أن البكرى لم يذكر لنا اسم هذا الملك ولا اسم العالم المسلم الذى كان له الفضل بعد اللّـه في اسلام الملك ، الا أن وجود داعية مسلم ينهض بأعباء الدعوة الى الله ببلاد هذا الملك يؤكد لنا أن الاسلام لم يكن غريبا في " مالي " أثناء هذا الحدث .

ولكن القلقشندى يذكر اسم أول من أسلم من ملوك " مالي " ، فيقول :

" وكان ملوك " مالي " قد دخلوا في الاسلام منذ زمن قديم وأول من أسلم منهم ملك اسمه " برمندانه " وحج بعد اسلامه فاقتفى به في الحج من جاء بعده من الملوك " . (٢)

---

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٧٨ .

(٢) صبح الأعشى جـ٥ ص ١٩٣ .

أما المقريزى فيقول : " ويقال ان أول من أسلم منهم ملـــــك اسمه " سرمندانه " ويقال " برمندانه ".(١)

وتميز ابن خلدون بالدقة القصوى عندما تحدث عن اســـلام أهل " مالي " وملوكها فقال : " .. ودخلوا في دين الاسلام منـــذ حين من السنين و حج جماعة من ملوكهم وأول من حج منهم " برمندار" وسمعت في ضبطه " برمندانه ".(٢)

اذ لا يعني بالضرورة أن يكون أول من حج من ملوكها أول مـن أسلم منهم . وخاصة أن هناك رواية شفوية مؤداها أن مؤسس أسرة الترووييين في حكم " مالي " واسمه " منسا نوفن تراورا " قد اعتنق الاسلام.. ولربما كان هذا الملك أو غيره ممن سبقه أو ممن جاء بعده هو المعني في عبارة البكرى.(٣)

ومهما يكن من أمر ، فان الاسلام في هذه المملكة قديم قدم تاريخ دخوله في السودان الغربي . وتعد مملكة " مالي " أقوى وأغنى الممالـك السودانية التي ظهرت في السودان الغربي ، ويميزها عن غيرها ذلـك الدور الرائد الذى نهضت به من أجل توحيد القبائل الزنجية داخـل ولايات ، وكذا الدور البارز الذى اضطلعت به من أجل نشر الاســـلام والدعوة لـه في جميع بلاد المنطقة.(٤)

---

(١) الذهب المسبوك ص ١١٠ للمقريزى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٢) العبر جـ٦ ص ٤١٣.

(٣) راجع دولة " مالي " ص ٥٢.

(٤) دولة " مالي " ص ٢٥ و The Dev elopment of Islam in West Afric a, p.29.

وقد مرت هذه المملكة بمراحل متعددة بين مد وجزر ولكن تاريخها الذهبي يبدأ بتاريخ مؤسسها الحقيقي " سندياتا " أو " ماري جاطه" سنة ٦٥١ - ٦٧٦هـ / ١٢٣٠ - ١٢٥٥م . ومن جاء بعد هذا الملك " منسا موسى " ويعتبر موسى أعظم ملوكها ، وفي عهده بلغت المملكة أوج مجدها وعزها وامتدت حدودها من بلاد " التكرور " غربا ، الى " دندى " شرقا ، ومن " ولاته " شمالا ، الى مرتفعات " فوتاجالون " جنوبا ، و" ولاته " أو " ايولاتن " هو الاسم الذى أصبح يطلق على ما كان يعرف " بغانه ". (١)

وكان أسلاف منسا موسى يحجون البيت الحرام كل عام ولكن زيارة منسا موسى للأراضي المقدسة سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٢٤م كانت فريدة من نوعها من حيث الأبهة ..

وكتب التاريخ مليئة بذكر أحداث هذه الرحلة التي كانت من نتائجها أن انخفض سعر الذهب في أسواق القاهرة بسبب اغراقها بذهب السودان . ولسبب كثرة الذهب في أيدى الناس . ولم يرتفع سعر الذهب بعد ذلك لمدة سنوات طويلة . (٢)

ومن خلال هذه الرحلة اشترى السلطان موسى كتبا عديدة في الفقه على مذهب الامام مالك في مصر واستصحب معه كثيرا من العلماء والفقهاء الى بلاده ومن ضمنهم المهندس الأندلسي الشاعر أبواسحاق الساحلي. (٣)

وقد شيد له المذكور عمائر ومساجد أضفت على بلاده طابعا

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٥.

(٢) دولة مالي ص ٨٤.

(٣) العبر جـ٦ ص ٤١٥.

اسلاميا متميزا في مجال فن العمارة .

ومن خلف هذا الملك " منسا سليمان " الذى ولى لمدة أربع وعشرين سنة ،وفي عهده زار ابن بطوطة مملكة " مالي ".

وقد بنى " منسا سليمان " المساجد والمدارس وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك.(١)

ولندع المجال لابن بطوطة كي يحدثنا عن " مالي " في تلك الحقبة وخاصة حياتها الدينية والاجتماعية فيقول :

" فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه ، وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه ،ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر اليها ولا المقيم فيها سارقا أوغاصبا ".(٢)

وعن محافظتهم على الصلوات وعنايتهم بتحفيظ القرآن يقول :

" ومنها مواظبتهم على الصلوات وملازمتهم لها في الجماعات ، وضربهم أولادهم عليها . وان كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام . ومن عادتهم أن يبعث كل انسان غلامه بسجادة ،فيبسطها له بموضع يستحقه حتى يذهب الى المسجد .. ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه ،فلا يفك عنهم حتى يحفظوه .(٣)

---

(١) تاريخ الدولة السودانية بأفريقية العربية ص ١١٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ٦٩٠ طبعة دار صادر ودار بيروت.

(٣) المصدر السابق جـ٢ ص ٢٠١.

والجدير بالذكر أن دولة " مالي " لم تكتف باعتناق الاسلام والحرص على مظاهره وعلومه فحسب ، وانما أخذت تدعو له بين الوثنيين حتى ان الدور الذى قامت به في نشر الاسلام يعد من أهم مراحله في افريقيا جنوبي السحراء ،فقد اقترنت جميع فتوحاتها الحربية بالدعوة الاسلامية والى ذلك أشار العمرى بقوله :

وملك " مالي " في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار السودان. (١)

وتميزت الدعوة الاسلامية في " مالي " باتجاهين :

الأول : انتشار الدعوة في الامبراطورية نفسها ،ويتضح ذلك في الوجود الاسلامي المتمثل في الدعاة والعلماء والفقهاء والتجار المسلمين والحكام ،وان كانت الأغلبية على الوثنية . وكان هذا الوجود قديما كما أشار اليه القلقشندى وابن خلدون فيما سبق ..

كما كان لهذا الوجود طابعه المميز الراقي والذى يجذب اليه أنظار خاصة القوم فضلا عن عامتهم مما يدعو الى تقليده/ عن امتزاجه بالشعب بالمصاهرة والاختلاط وذوبانه في المجتمع بسلوك ممتاز كان له تأثيره المبكر وخاصة في الطبقة العليا. مما اقتضى اسلام أول من أسلم من الملوك فيها على يد داعية من هؤلاء فيما رواه البكرى آنفا .

ومن مظاهر هذا الانتشار عناية الملوك بابتناء المساجد في أرجاء الامبراطورية ومبالغتهم في عمارتها مما أعطى للامبراطورية طابعا حضاريا وثقافيا .

وقد قيل ان السلطان " منسا موسى " كان يبني مسجدا في كل مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها. (٢)

---

(١) دولة مالي نقلا عن مسالك الأبصار.

(٢) تاريخ السودان ص٧.

ومن مظاهر الانتشار هذه كثرة المدارس في " مالي " ملحقة بالمساجد ومستقلة عنها ،وانتشرت بانتشارها لغة القرآن وعلومه وازداد الاقبال والاهتمام بحفظه ودراسته وقد مربك وصف ابن بطوطة لهذه الظاهرة قبلا .

أما الاتجاه الثاني ،فقد تمثل في قيام " مالي " بنشر الدعوة الاسلامية فيما جاورها من الأمم الأفريقية السودانية بأسلوبين :

الأول : حركات جهاد في الوثنيين حولها ممثلة في انتشار حاميات " مالي " العسكرية بين ساحل المحيط الأطلسي غربا الى " كانوا " في أرض الهوسا شرقا والى قلب الأدغال في الجنوب . وأوغلت شمالا في الصحراء وأصبحت " مالي " أقوى دولة في السودان الغربي لها بأس شديد وسيادة ونظم ورسالة هي رسالة الاسلام تنشرها ،والى ذلك يشير العمرى بقوله :

" ملك " مالي " في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار السودان ".(١)

وتمثل الأسلوب الثاني في الحركة السلمية بايفاد العلماء والدعاة للدعوة الى الله . ومن تلك الوفود ، الوفد الذى وصل الى " كانوا " وكان يضم أربعين رجلا من " الماندنجو " بقصد الدعوة الى الله وذلك في فترة منتصف القرن الثامن الهجرى ونهايته.(٢)

---

(١) الدعوة الاسلامية في غربي أفريقيا وقيام دولة الفلاني ص ١٠٤ د / حسن عيسى عبد الظاهر طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

(٢) لمزيد من التفصيل راجع الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٩.

وبدأت أمور الدولة تضطرب وانتهت " مالي " كأمبراطورية اسلامية
- سنة الله في خلقه - وكان العامل القوى في التعجيل بتقويضها ووراثتها
دولة " صنغاى " التي كانت تحت حكمها واستقلت عنها وحاربتها فملكتها
ووسعت رقعتها .(١)

وعلى الرغم من سقوط مملكة" مالي" فان جهود أفراد شعبها في نشر
الاسلام لم تتعثر ولم تتأثر بانهيار الدولة .

وفي عهد ملك " كانو" يعقوب الذى تولى الملك سنة ٨٧٣هـ/
١٤٥٢م الى سنة ٨٨٣ هـ/ ١٤٦٢م تقريبا ، وصل وفد آخر من " مالي "
الى "كانو" ولكن هذا الوفد كان يختلف عن الأول ، حيث كان يتألف
من " الفلانيين ".

وقد أحضروا معهم كتب التوحيد واللغة العربية ، وكانت الكتب
الدينية المعروفة قبل ذلك غير القرآن هي كتب الفقه والحديث .

ولم يقم هذا الوفد في " كانو" كسابقه وانما واصل سفره شرقا
الى "برنو" تاركا وراءه أفرادا منه في أرض الهوسا .(٢)

ثم قامت مملكة " صنغاى" على أنقاض " مالي " بعد أن كانت
خاضعة لها . وكان أول من أسلم من ملوكها " زاكسى " وذلك في سنة (٤٠٠هـ)
/القرن الحادى عشر الميلادى ، ويقال له " مسلم دم" ومعناه الذى أسلم
طوعا .(٣)

----

(١) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص ١١١.
(٢) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٩ و The Kano Chronicles
in Palmer Sudanese Memoirs Vo. III p. 104-5
(٣) تاريخ السودان .

وقد مرت هذه المملكة بمراحل عديدة بين مد وجزر الى أن حكمها " الحاج أسكيا محمد " وكان عهده مفترق الطريق في تاريخ " صنغاى ".

فقد اتجه بها وجهة أخرى أقامت لها وجهها الاسلامي ، وكان يدين بعقائد المذهب السني.

وتقلد حكم البلاد واستخدم طائفة من الموظفين الأكفاء ونظم الجيش واستغل ثروة سلفه في النهوض بالشئون الاسلامية ، واستردت " تمبكتو " في عهده مكانتها كمركز للدراسات الاسلامية.(١)

وكان هذا السلطان قد انتزع الملك من آل " سن على " بعد أن كان قائدا من قواد هذه الأسرة المالكة .

غير أنه لم يكن في ذلك بالخارج الباغي أو الطامع للسلطان ، وانما تحسس طريقه الى ذلك على ضوء كلمة الاسلام وحالة المجتمع في عصره وما كان عليه " سن على " من البغي والطغيان .

وشهادة ذلك تلك الأسئلة التي وجهها الى الامام " المغيلي التلمساني " يطلب فيها حكم الاسلام في كثير من القضايا ومن بينها قضية انحراف المجتمع وحكامه .(٢)

وكان له جهاد كبير في نشر الاسلام بين الوثنيين من جيرانه " الماندنجو " و " الفلاني " في الغرب ، والطوارق البربر في الشمال ، والهوسا في الجنوب ، وكذا بلاد " الموشى " الوثنية.(٣)

---

(١) الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ص ٦٧ - ٧٠ .
(٢) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص ١١٢-١١٣ .
(٣) المصدر السابق .

ثم قام برحلة الى الحج سنة ٩١٦ هـ / ١٤٩٥م فاقت ما عرف عن " منسا موسى " في الأبهة والكرم ، التقى خلالها بالخليفة العباسي فطلب منه أن يجعله نائبا عنه في "صنغاى "، فأجابه الخليفة الى ذلك وجعل على رأسه قلنسوة وعمامة .

كما التقى في رحلته تلك بكثير من العلماء الصالحين ، منهم الامام جلال الدين السيوطي . ومما يسجل له ، أنه كان أول من عين القضاة للفصل بين الناس وفق الشريعة الاسلامية .

وجاء " الأساكي " بعده يشجعون العلم ، وكان لبعضهم مكتبات كبيرة يشترى لها دائما المخطوطات والكتب الجديدة التي تصل الى السودان من مصر والمغرب . وشاعت هناك كتب للامام السيوطي ، وكان لاتصاله برجال الدين البارزين في القاهرة كجلال الدين السيوطي وغيره وما قدموه له من نصائح وارشادات دور بارز في تطوير التعليم في السودان الغربي . (١)

ثم كانت نهاية هذه المملكة الاسلامية العظيمة على يد الجيش المغربي الغازى الذى أرسله الملك " أحمد المنصور الذهبي " أواخر القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى فقضى عليها ، وبذهابها لم يبق بعدها قوة ذات خطر في السودان الغربي .

واستقبلت المنطقة بقدوم الغزاة عهدا جديدا من حكم القواد الغزاة والباشوات ، ظل حوالي قرنين أصيب فيهما البلاد بالفتك والانحلال

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٤٥ .

والخمول ، فكثرت الحروب الأهلية وتحطمت الامارات الاسلامية الا ما كان من نشاط " الباجرمي " و" الوداى " في حوض تشاد في منتصف القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى .

ووجدت الدعوة الاسلامية نفسها أمام حالات من الاختناق والتعويق ممثلة في انحرافات كثيرة من حملة الاسلام لبعدهم عن مفاهيمه الدقيقة وحقائقه الوضيئة ، وانفصام سلوكهم عن تعاليمه الناجعة ، ولم يجد من يقوم بتصحيح سيرته لدى الناس ومد رواقه على الحياة واشاعة نوره في المجتمع ..

وهكذا ترك المغاربة مرارة وحسرة في صدور أهل السودان الغربي مما كان له أسوأ الأثر خلال الأعوام التالية ..

وبذلك أسدل الستار على أقسى ما تعرض له السودان الغربي من الغزو الذى جاء من الشمال .

ثم استعد لغزو أجنبي آخر ، قدم هذه المرة من سواحل المحيط الأطلسي ومن الجنوب .. هو الغزو الأوربي الذى كانت فيه الضربة القاضية على تقاليد هذه الشعوب وقيمها وعلى ثقافتهم العربية الاسلامية . (١)

وبعد حين من الزمان ، قامت عدة حركات اصلاحية لنشر الاسلام وثقافته بين الوثنيين وتصحيح مفاهيمه لدى المسلمين المنحرفين .. وقامت هذه الحركات بالجهاد في سبيل ذلك بالسيف واللسان والقلم .

---

(١) لمزيد من التفصيل يراجع " تاريخ انتشار الاسلام في غرب أفريقيا" ص ٦١ - ٧٣ د / عبد الرحمن زكي ، دار الاتحاد العربي .

ومن أكبر هذه الحركات ،حركة الشيخ عثمان بن فودى في ممالك الهوسا الوثنية في نيجيريا .

وقد انتصر عليهم وأقام دولة اسلامية قوامها نشر العدل بين الناس واعادتهم الى العقيدة الصحيحة النابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وكان لهذه الحركة الجهادية أثر كبير في تقدم أحوال الاسلام والمسلمين ليس في نيجيريا فحسب ،ولكن في غربي أفريقيا كلها .

كما كانت الحركة اعلاء للثقافة العربية الاسلامية في تلك البلاد ، اذ لم تكن دعوة الى الدين منحصرة في التصوف وانما كانت مؤسسة على حركة علمية وعلى دراسة أصيلة ذات أهداف مرسومة غير مرتجلة .

وآية ذلك ما صدر من المؤلفات العلمية القيمة في تلك الفترة المبكرة من حركته، وأولها مؤلفات الزعيم المجدد " عثمان بن فودى " نفسه ، فقد ألف ما يربو على ثلاثين كتابا وبحثا في الفقه والسياسة والجهاد .

وكان شقيقه " عبدالله بن فودى " فقيها مؤرخا ولغويا نحويا وشاعرا أديبا ، له في كل هذه الميادين كل طريف رائع .. عرف من مؤلفاته أكثر من ثلاثة وعشرين كتابا بعضها لا يزال مخطوطا وبعضها ترجم ونشر في اللغات الأجنبية .. وكذا ابن الزعيم ، " محمد بلو بن عثمان "، فقد كان أديبا وشاعرا ومؤلفا بارعا ،له أكثر من ستة مؤلفات بين مخطوط ومطبوع.

والى جانب هؤلاء علماء آخرون حملوا رسالة الفكر وشعلة الحضارة الاسلامية. (١)

---

(١) يراجع " الثقافة العربية في نيجيريا " ص ٢٤٦- ٢٩٧.

وقد أدرك علماء الغرب من بريطانيين وفرنسيين منذ وطء الاستعمار الأوربي غربي أفريقيا قيمة وأهمية المخطوطات العربية التي ألفها علماء السودان الغربي فنقلوا اكثرها الى مكتبات بلادهم. ودأبوا على بحثها ثم ترجمتها ونشرها بواسطة المعاهد العلمية عندهم.

ومع ذلك فلا تزال هناك الى اليوم مئات المخطوطات العربية في ميادين العلوم والمعارف المختلفة في مدن نيجيريا الشمالية، وفي السنغال وبريطانيا وفرنسا لم تصل اليها يد التحقيق، ومن هنا ندعو الباحثين المسلمين الى تكاتف الجهود - في العالم الاسلامي عامة والعالم العربي على وجه الخصوص على - تحقيق هذا التراث الاسلامي السوداني الهام ونشره لخدمة الدين والعلم، وهو تراث يمثل عظمة الاسلام وتأثيره الايجابي الرائع فيمن اعتنقوه من الشعوب غير العربية، كما يمثل اسهامات علماء السودان الغربي في اثراء مكتبة التراث العربي الاسلامي .. وهي جهود لا تقل عن مستوى جهود علماء المشرق والمغرب العربيين في تلك الحقبة من التاريخ الاسلامي ..

ولا شك أن الوقت قد حان للقيام بهذه الرسالة الجليلة ، والله مع العاملين .

الباب الأول

حياة الشعر العربي في غربي افريقيا

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : نشأة الشعر العربي في غربي افريقيا .

الفصل الثاني : الجذور الفنية للشعر العربي في غربي افريقيا .

الفصل الثالث : فنون الشعر العربي في غربي افريقيا .

الفصل الأول :

نشأة الشعر العربي في غربي افريقيا .

من مقتضيات الحديث عن نشأة الشعر العربي في غربي أفريقيا الحديث عن حركة اللغة العربية ، ومدى انتشارها في ربوع المنطقة قبل الاستعمار . فقد امتدت الثقافة العربية الاسلامية في المغرب الى السودان الغربي ...

وكانت لهذه الثقافة منافذ أطلت منها على ربوع المنطقة ..

ونحن على ذكر بما كتبه المؤرخون عن طرق القوافل التجارية التي كانت تصل السودان الغربي ومصر من جهة ، والتي تربط بينها وبين شمالي أفريقية " تونس" من جهة أخرى ، ثم التي تربط بينهما وبين المغرب الأقصى من جهة ثالثة . كانت هذه العلاقة تجارية في بدايتها ، وبظهور الاسلام ودخوله في السودان الغربي أصبحت علاقة دينية ثقافية في الدرجة الأولى .

وجاءت هذه العلاقة الدينية لتجعل هذه الشعوب أمة واحدة . تلتمس نظم حياتها وقيمها الأخلاقية من مصدر واحد هو الاسلام بجوانبه الشاملة للحياة .

وكان من الطبيعي اذن أن يهرع أهل السودان الغربي الى

تعلم هذا الدين الذى وجدوا فيه صلاح أمورهم ،وأن ينشطوا الى تعلم لغته ليتمكنوا من أداء شعائره على أتم وجه.

وبتعلم اللغة العربية أصبح مسلمو السودان الغربي يمثلون الطبقة المفكرة الراقية في تلك المنطقة حتى ان خبراء الادارة والتخطيط في الممالك الوثنية لم تجد بدا من الاستعانة بهم في أمور الدولة .

وقد مر فيما سبق كيف احتل المسلمون مناصب الترجمة والادارة في امبراطورية " غانه " الوثنية قبل أن تصبح امبراطورية مسلمة.

واستمر الحال على هذا الوضع حتى بعد اسلام الامبراطورية وسقوطها وقيام دولة " مالي " المسلمة على أنقاضها .. وقد مر بنا وصف البكرى لهذه الامبراطورية الاسلامية ومدى حرص أهلها حكومة وشعبا على تعليم أولادهم الدين واللغة العربية وتحفيظهم القرآن الكريم ..

ونحن على ذكر بالزيارة التي قام بها "أسكيا محمد " الى القاهرة في طريقه للحج ،فقد كان من نتائج النصائح والارشادات التي أسداها اليه رجال الدين البارزون في القاهرة ،مثل جلال الدين السيوطي وغيره - أثر كبير على تطوير التعليم في المنطقة ،.. فقد تطور التعليم في جامع "سنكورى " وأصبحت قبلة للطلبة في السودان الغربي ، وكانت العلوم التي تدرس فيها هي :

الفقه المالكي واللغة والنحو والبلاغة والصرف والمنطق والتاريخ والجغرافيا والفلك والحساب ، وليس من قبيل المبالغة أو الشطط القول بأن المراكز الاسلامية في السودان الغربي أصبحت صورة مصغرة للثقافة الاسلامية في مصر والمغرب بفضل هذه الزيارة المثمرة التي قام بها

" أسكيا محمد " الى القاهرة.[١]

وكان على رأس حركة " أسكيا محمد " الاسلامية النشطة العالم الجليل " الامام المغيلي " الذى كان له دور بارز في نشر الاسلام وتدعيم مفاهيمه والدعوة اليها وتوجيه الحكام للعمل بها في طبع المجتمع بطابع اسلامي.[٢]

أما مراكز الاشعاع الثقافي الاسلامي في السودان الغربي فتتمثل في التالي :

أ - تمبكتو :

وهي مدينة اسلامية منذ نشأتها " وما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها لغير الرحمن ".[٣]

وكانت في بداية أمرها مركزا يقصدها الطوارق للانتجاع بمواشيهم في فصل الجفاف ... وقد حفروا فيها بئرا ثم توالت الابار فيما بعد وأصبحت ملتقى للتجار يقيمون حولها للراحة..

وبمرور الزمن أصبحت سوقا للتبادل التجارى بين تجار الشمال والجنوب ،فبنيت فيها المساجد وقصدها كثير من العلماء وتحلق حولها العديد من طلاب العلم فأصبحت " تمبكتو " مركزا ثقافيا الى جانب كونها مركزا تجاريا هاما.[٤] وكان لسان سكانها فيها لغة صنغاى..

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٤٦.

(٢) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص

(٣) تاريخ السودان ص ٢١٨.

(٤) مملكة سنغاى في عهد الاسقيين ص ١٠٠.

أما العربية فكانت لغة الثقافة والادارة معا ،كما تحدث بها الناس كلغة شائع استعمالها .(١)

واشتهرت " تمبكتو " بحركتها الثقافية على النمط الاسلامي في السودان الغربي كله طيلة أيام " مالي " و"صنغاى "..

وقد خلفت لنا كثيرا من العلماء النجباء النحارير ،وكان من أشهرهم أحمد بابا التمبكتي صاحب كتاب نيل الابتهام بتطريز الديباج .. والسعدى ،صاحب " تاريخ السودان " ،والقاضي " ألفع محمود كعت" صاحب " تاريخ الفتاش " .

ب - جنــى :

وهي تأتي في الدرجة الثانية بعد " تمبكتو" وكان بها كثير من العلماء وطلاب العلم ، ولذا كانت أهميتها تجبر "الأساكي " على احترامها ،فكلما مر جيشهم بها فانهم يلاقون قاضيها ويقدمون له الهدايا أويساعدونه على بناء مأوى لطلاب العلم أوبناء مسجد من المساجد .. ونعرف من علمائها الشهيرين أيام "الأساكى " " مورى جانا " الذى كان يباشر التعليم بمساجدها في القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، ثم القاضي " سانو" وكذلك " العباس كبى " و" محمد بارهايورو".(٢)

---

(١) ليون الأفريقي ص١٠٩.
(٢) مملكة سنغاى ص١٠٨.

ومن هذه المراكز أيضا " غاو" و" ولاته" و" كانو" و" كاتسنا"..

وتلك هي مراكز الاشعاع الثقافي الاسلامي الكبرى في السودان الغربي في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المنطقة الاسلامي ، والى جانبها مصادر أخرى للاشعاع منها :

المساجد ، والمدارس ، والعرائش المبنية في ربوع المنطقة ، والمدارس الأخرى التي تأخذ مكانها تحت الأشجار، ودهاليز العلماء وغيرها كالأفنية التي تتخذ للكتاتيب والخلوات والزوايا ..

وهكذا أخذ التعليم العربي الاسلامي يخطو خطوات حثيثة نحو التقدم والازدهار الى أن وصل الى أوج قمته وازدهاره في مملكة " صنغاى " أيام " الأساكى ".

ولعل أكبر دليل على ما وصلت اليه اللغة العربية من النضج والازدهار في تلك الوقت الأسئلة السبعة التي كان قد بعث بها الحاج "أسكيا محمد " الأول الى الامام المغيلي حوالي سنة ٩٢٣هـ / ١٥٠٢م ،فكل سؤال منها يحتوى على أكثر من سطرين . أما عباراتها فشديدة القوة والتماسك ،ولاشك أن كاتبها من نوع الكتاب البارعين (١).

وقد أثنى الباحثون على أسلوب أحد كتاب هذه الفترة وهو ("أحمد بابا التبكتي " ووصفه بأنه أسلوب امتاز بالجزالة والموضوعية

---

(١) دولة صنغاى في عهد الأسفين ص ١٥٦.

العلمية والتمكن من المفردات ،وكتابة الجمل متناسقة و قصيرة [١] شأن المتمكن من اللغة .

أما المتانة فنلمسها في أن الرجل ألفاظه على قدر معانيه ، أما عباراته فهي شديدة الدلالة على ما يقصد ..

نعم ان القبائل التي دخلت الاسلام قد اتخذت اللغة العربية لغة حياة كاملة ،ومن ثمّ فانها تذوقت قسما هاما من الثقافة العربية وانتجت فيه ..

أما نتاجها الفكرى فقد طغت عليه الصبغة الاسلامية ،وطبيعي أن يكون الأمر كذلك ،فالذين كانوا ينتجون في هذا الميدان انما كانت تمثلهم النخبة التي تمكنت من الدين الاسلامي بواسطة اللغة العربية .

واصطبغت حركة الفكر بصبغة جديدة هي التي كان يمثلها الانسجام الكلي مع الاسلام ، فنحن نجد في المدن الكبيرة التي كانت ترتكز حولها ميادين النشاط الانتاجي والتعامل التجارى مثل " تمبكتو" و" ولاته" و" كانو " و" كاتسنا " .. وغيرها علماء ومفكرين وقضاة ، قد تمكنوا من دراسة اللغة العربية والفكر الاسلامي ،حتى أصبحوا ينتجون في ميادينها مختلف موء لفاتهم بالشروح والكتابات التاريخية والفقهية واللغوية على النمط الذى كان عند العرب في المشرق والمغرب على السواء [٢] .

وهكذا ازدهرت اللغة العربية وتمكن منها السودانيون وأنتجوا فيها طرائف رائعة الى أن بدأ الجيش المغربي الغازى في اقتلاع

---

(١) دولة سنغاى ص ١٥٦ مع تصرف.

(٢) دولة سنغاى ص ١٥٦.

جذورها ،فبدأت تذبل شيئا فشيئا حتى وصف بعض الموء رخين نتاج تلك الفترة الراكدة بأنه يتسم بالركاكة لبعده عن المتانة والجزالة ، ولكثرة الحشو واستعمال تعابير غير فصيحة. (١)

و مهما يكن من أمر فان الكتابات التي وصلت الينا من ذلك الوقت هي كتابات قليلة وكلها باللغة العربية ، ومن الاطلاع على مجموعها يستطيع الدارس أن ينتهي الى القول بأن الكتابة العربية قد بلغت مستوى مقبولا لدى كتاب تلك الفترة من السودانيين .

وبعد فترة الركود هذه ،انتعشت الثقافة العربية الاسلامية مرة أخرى في دولة " الشيخ عثمان بن فودى " المصلح المجدد ،وذلك في كتاباته وكتابات أخيه الوزير عبدالله بن فودى وابنه " محمد بلو " ، وغيرهم من كتاب تلك الفترة .. أضف الى ذلك أن الشيخ المجدد قد وضع لدولته نظاما اداريا دقيقا خاضعا للنظم الاسلامية وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية والثقافية فيها ،وتشهد الرسائل التي تبودلت بين الشيخ المجدد والشيخ " الكاشحي" على ما وصلت اليه اللغة العربية من ازدهار وتطور في تلك الفترة .

على أنه يجدر بنا الاشارة هنا الى الكتب التي أثرت في الثقافة العربية الاسلامية لهذه المنطقة لنتمكن من الحكم على الشعراء الذين سندرسهم في الفصول القادمة على ضوء الظروف والامكانات الابداعية المتاحة لهم ..

---

(١) دولة سنغاى ص١٥٧.

ومن المستحسن أن نسرد هذه الكتب حسب فنونها وهي كالتالي :

الفقه وأصوله :

١ - المدونة الكبرى .

٢ - مختصر الخليل .

٣ - المنتقى للباجي .

٤ - تحفة الأحكام لابن عاصم .

٥ - جامع معيار الونشريسي .

٦ - جمع الجوامع للسبكي .

٧ - التوضيح .

٨ - رسالة ابن أبي زيد القيرواني .

٩ - الأخضرية .

١٠- العشماوية .

١١- العزية .

١٢- منظومة القرطبي .

١٣- ابن رشد .

١٤- ابن عاشر .

١٥- الورقات لامام الحرمين .

١٦- أصول السبكي .

١٧- القرافي .

١٨- الكوكب الساطع .

الحديث وعلومه :

١ - كتب الصحاح الستة.

٢ - الموطأ للامام مالك.

٣ - ألفية العراقي .

السيرة النبوية :

١ - ألفية العراقي في الشمائل النبوية.

٢ - الشفا للقاضي عياض .

٣ - سيرة ابن هشام .

القراءات :

١ - منظومة ابن البرى .

٢ - القصيدة الشاطبية.

التوحيد :

١ - السنوسية وشرحها .

التنجيم :

١ - الهاشمية في التنجيم.

المنطق :

١ - رجز المغيلي .

٢ - مقدمة التاجورى .

النحـــــو :

١ - الآجر وميـــة .

٢ - ملحة الاعراب للحريرى .

٣ - قطر الندى لابن هشام.

٤ - شذور الذهب .

٥ - بلوغ الأرب .

٦ - خلاصة ابن مالك.

٧ - البهجة المرضية للسيوطي .

٨ - المنهج السالك للأشموني .

٩ - شرح قطر الندى للمارديني .

١٠- الفريدة للسيوطي .

١١- التحفة الوردية وشرحها .

١٢- مختصر ابن الحاجب .

١٣- تسهيل ابن مالك.

١٤- فرعا ابن الحاجب .

اللغة والأدب :

١ - العشرينات .

٢ - الوتريات .

٣ - الشعراء الستة.

٤ - مقصورة ابن دريد .

٥ - المقامات للحريرى .

٦ - الحكم العطائية .

العروض والقوافي :

١ - الرامـزة .

٢ - الدرر اللوامع .

٣ - الخزرجية .

البلاغـــة :

١ - تلخيص المعاني .

٣ - ألفية المعاني .

٣ - الجوهر المكنون .

٤ - شر ح النقاية للسيوطي .

٥ - تلخيص المفتاح .

٦ - مختصر السعدى .

٧ - صغرى السنوسي .

٨ - نظم ابن مقرعة .

٩ - شرح الجزائرية . (١)

تلك هي الكتب المتداولة في هذه المنطقة... وجدير بالذكر الاشارة الى أن كتاب الشعراء الستة الجاهليين من أقدم النصوص التي كانت متداولة في هذه المنطقة .. وعليه ، وعلى الاستشهادات الشعرية المبثوثة في كتب البلاغة والنحو والتاريخ وغيرها اعتمدوا في تكوين ملكاتهم الفنية بعامة والشعرية بخاصة .

---

(١) - ايداع النسوخ ص٦٠٣ .

في هذه التربة الثقافية ،نشأ الشعر العربي في غربي أفريقيا ..

ولكن متى حدث ذلك ..؟

ليس من السهل على الباحث أن يهتدى الى تاريخ صحيح لنشأة الشعر العربي في هذه البلاد أو أوليته ..

ذلك أن الشعر السابق للقرن العاشر الهجرى/السادس عشر الميلادى يحيط به شيء من الغموض والضبابية مما يصعب معه الاهتداء الى أشعار تلك الحقبة .. على أن هناك حقائق تاريخية تشير الى وجود شعر عربي اللسان في المنطقة في تلك الفترة التاريخية .

فالمؤرخ الأفريقي السعدى يشير في كتابه الى نبوغ شعراء سودانيين والأغراض التي تناولوها [(١)] ، غير أنه لا يسعفنا بذكر نماذج من تلك الأشعار .

ولعل آثار تلك العهود وأشعارها قد انطوت عليها حجب الزمان وأسدلت عليها أستار النسيان ، فلم يصل الينا منها شيء ، ولم نهتد فيها الا على خبر .

ونخلص من ذلك كله الى أن الشعر العربي بغربي أفريقيا قد تهذبت حواشيه في زمن لا نعرفه ولا يمكن أن نهتدى اليه .

ومن هنا فان الجزم بأولية الشعر أو تحديد الزمن الذى هذبت فيه حواشيه وأطيلت قصائده يصبح ضربا من المستحيل .

---

(١) تاريخ السودان ص ٢١٨ .

ولعل أقدم النصوص الشعرية التي وصلتنا حتى الآن لشعراء غربي أفريقيا السودانيين هي ما عثر لبعض الفقهاء السودانيين أمثال " أحمد بابا التمبكتي " والطالب بن محمد بن الطالب عمر الخطاط بن محمد نض ، والشيخ يحيى التادلسي ، وعبدالله بن محمد القاضي والفقيه أميننا مينخن بن الفقيه مالك.

وهي نماذج يؤرخ لأقدمها بالقرن العاشر أو الحادي عشر الهجري ...

فمثلا نجد لأحمد بابا التمبكتي مقطوعة في الحنين الى بلده ، عندما كان في منفاه " بمراكش " ، يقول فيها :

أيا قاصدا " كاغوا " فعج نحو بلدتي
وزمزم لهم باسمي وبلغ أحبتي
سلاما عطيرا من غريب وشائق
الى وطن الأحباب رهطي وجيرتي
وعندي أقارب هناك أعزة
على السادة الألى دفنت بغربتي
أبى زيدهم شيخ الفضائل والهدى
وصنو أبي عمي وأقرب أسرتي
وسيفي فسيف البين سل لفقدهم
علي وهل الموت ركني وعمدتي
ولا تنس عبدالله ذا المجد والندى
فقد مد حزني فقد قوتي وعشرتي
وشبان بيتي ساروا عن أخيرهم
الى ملك الأملاك في وقت غربتي

فواأسفا منهم وحزني عليهـــم
فيا رب فارحمهم بواسع رحمتـــي (١)

ويبدو في هذا الشعرلين وضعف في النظم مما لا يخفى على أحد درس أبسط القواعد العروضية ،فالبيت الثالث من المقطوعة منكسر وكذا الشطرالثاني من البيت الخامس ، والأبيات من الطويل ..

وللطالب بن محمد بن الطالب بن نـــــقّ المتوفى ١١٦٥هـ مقطوعة في زجر النفس ،يقول فيها :

مالي على اللهو واللذات واللعـب
عكفت ويحي فما يكون منقلبـــي
ولى الشباب وأقبل المشيب ولـــم
أفق ولست بذى علـــم ولا أدب
قد ينقضـــي اليوم ثم اليوم يتبعـــه
شهــر وعام بل أعوام ولم أتـــــب
مرخي العنان بروضة الهوى ولقـــد
سودت في نيلها وقرا من الكـــتب
أظل خلف الأماني والهوى حكمي
وللمحال من الأيام في الطلـــــب (٢)

---

(١) بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٥٤٤.
و مملكة سنغاى ص ١٥٨.
(٢) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص ١٢٩ دارالغرب الاسلامي ،بيروت .

والأبيات من البسيط غير أنها تتسم برداءة النظم ، فالشطر الثاني من البيت الأول مكسور والبيت الثاني كله كذلك ،وكذا الشطر الأول من البيت الرابع .

وواضح أن هذه الأبيات تمثل المرحلة البدائية في النظم، وتلمح الى غيره من الشعر المفقود . .

أما الشيخ " التادلسي " فله رثاء جميل في أحد العلماء المدرسين في زمانه وهو محمد سميدع يقول فيه :

أطلاب علم الفقه تدرون ما الذى
يثير هموم القلب من كل وافد
يثير هموم القلب فقر سميدع
فقيه حليم حامل للفرائد
محسن تعليم مقرب فهمه
وفتاق تهذيب بحسن القواعد
محمد الأستاذ مؤدب ذى النهى
رباطا صبارا أمره في التزايد
فيا عجبا هل بعده من مبين
ويا عربا هل بعده من مجالد (١)

والأبيات السابقة سليمة من حيث نظمها وجيدة من حيث معانيها . .

وقد ذكر صاحب كتاب فتح الشكور مساجلة شعرية بين الفقيه " أمينتامينخن"

---

(١) تاريخ السودان ص ٤٩ .

وبين عبدالله بن محمد القاضي العلوى ، يمازحه الأخير في برزونة له قائلا :

لسيدنا مينخن ، برذونة اذا
خطت أخطأت سير المراضي الأمالح
تباشر الأعراف منها ذوابة
على نافع ابن التونسى بن صالح

فأجابه مينخن :

لئن كان عبدالله قد عاب عرفها
وأخطأها سير المراضي الأمالح
فقد زانها تبليغها واصطلاؤها
اذا ارتكبت يوما أمام الملا لح
عليها فتى لا ينثنى لكريهة
وليس بذى سيف وليس برامح (١)

وقد تمت هذه المساجلة في حدود سنة الأربعين بعد المائة والألف من الهجرة ...

والنماذج السابقة لا تعدو أن تكون محاولات من فقهاء وعلماء كبار لم يبرعوا في قصائدهم براعتهم في علومهم ، اذ يغلب على

---

(١) فتح الشكور ص ٦٣ .

أشعارهم شيء من الضعف والركة ، وتخلوا من الخيال والتصوير ، وتتجاوز في كثير من الأحيان أبسط قواعد العروض وعمود القصيد .. على أنها تمثل المرحلة التي تسبق الأشعار التي سنتناولها بالدراسة وهي المرحلة التي يؤرخ لها بما بين القرن الثالث عشر الهجرى الى القرن الخامس عشر .

الفصل الثاني ،

الجذور الفنية للشعر العربي في غربي افريقيا .

لعل مما يثير الدهشة للوهلة الأولى قراءة هذا العنوان :

" الشعر العربي في غربي أفريقيا" ، وتزداد الدهشة عندما يظهر أن هذا الشعر قد جادت به قرائح أبناء هذه المنطقة وهم أبعد ما يكونون عن جزيرة العرب ،فكيف تأتى لهم قرض الشعر بلسان عربي مبين .. ؟

ولكن لا تلبث الدهشة أن تزول شيئا فشيئا عندما يظهر أن هؤلاء الشعراء الذين نطلق عليهم " شعراء العربية بغربي أفريقيا" كانوا من المسلمين .

وغني عن البيان أن الاسلام هو الذى أسلمهم الى هذا الاتصال الوطيد باللغة العربية .. كيف لا .. ؟ وقد كانت معجزته الخالدة هي القرآن المجيد الذى شرف الله لغة العرب أن يكون بلسانها .

وبهذا اللسان تتأتى للمسلم اقامة شعائر دينه في كل مكان.

ومن هنا كان التعريب غالبا ما يواكب الاسلام في خطواته جنبا الى جنب في كل شبر تطأ فيه أقدام المسلمين في أرجاء المعمورة .

وكان شعراء العربية في غربي أفريقيا ممن أقبلوا على العربية رغبة في معرفة شرائع الاسلام وآدابه أولا ،ومن ثم بثها في بني جلدتهم.

ومن خلال تحقيق هذه الرغبة الملحة تاقت نفوسهم الى معرفة وجوه اعجاز القرآن البيانية وتذوق جمال أساليبه .. فاقتضت هذه الرغبة الأكيدة منهم الانكباب على العربية شعرها ونثرها وعلى دراسة علومها، نحوا وصرفا وبلاغة وفقه لغة كما سبق أن أشرنا .

وهكذا استطاعوا أن يتذوقوا من خلال النصوص الأدبية الرائعة التي أدمنوا الانكباب عليها الجمال الفني والبيان الساحر لهذه اللغة الثرية الخالدة ،فألفوا أنفسهم مدفوعين الى الاحتذاء على هذا البيان الخلاب ،فراحوا ينسجون على منواله ويطبعون على غراره ، فاتجهوا أول ما اتجهوا الى الأصول الفنية الأولى التي تمثل التقاليد العريقة (الكلاسيكية) للشعر العربي متمثلا في التراث الجاهلي بمطولاته ومعلقاته ومذهباته.

وقد تتلمذوا أول ما تتلمذوا على امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة والأعشى وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعبيد ولبيد وأضرابهم ممن رسخوا التقاليد الفنية للشعر العربي القديم .. ثم تتلمذوا على المخضرمين والاسلاميين ممن ساروا على عمود الشعر العربي وأكدوا طرقه ومذاهبه ،ووسعوا مجالاته ومقاصده ،من أمثال كعب بن زهير والخنساء وحسان وأضرابهم ..

ثم استوعبوا الأنغام الجديدة التي تميز بها المحدثون من أمثال أبي نواس وأبي تمام والمتنبي وطبقتهم .. بل انهم ليستوعبون الأصداء الفنية لشعراء الدول المتتابعة من أمثال التهامي والبهاء زهير وأضرابهم .. ولا يجدون حرجا من ترديد بعض الأصداء الفنية في عصور الضعف .. شعورا منهم بأن عليهم أن يتمثلوا الشعر العربي كله بكل ألحانه وأنغامه

وقوالبه حتى يؤكدوا في فنهم الشعرى عملية الانتماء تأكيدا لا يلحقه ريب ..

وهكذا نجد ملامح الشعر الجاهلي تتراءى قسماته واضحة خلال أشعارهم كما نلحظها مثلا في هذه القصيدة التي يمدح بها الشاعر "محمد بللو" بعض شيوخه فيقول :

يا دار سلمى بقو أوبخيف منى
أقوت كأن لم تكن صارت لهاوطنا
خطت بها شعبها عن جمع أقنتها (١)
يبغون دارا بذى قارلها أقنا
خلت كأن بها خيط النعام ضحى
كوم تروت وآتت في الضحى عطنا (٢)
وحين لم ألف الغا في معاهدها
سليت نفسي بصعب ان جرى أرنا (٣)
فحل سبحل أنيق عوهن ثقف
كأنه قارب أمواجه السفنا (٤)
كأن رحلي بذى ضال ودارتها
على أقب بجزع يبتغى أتنا

---

(١) الأقنة : الحفرة في الأرض ـ ومن بيوت العرب : أقنة من حجر والجمع " أقن ".
(٢) العطن : مأوى الابل ومراحها وقد غلب على مبركها حول الحوض . والكوم : الطعة من الابل .
(٣) أرن : نشط .
(٤) السبحل : البعير الضخم.

مسجج فارع مستأنس وحـــــد
مما تعاوره الكلاب في ضجنـــا (١)

فأفردوه فأضحى لا يوالفـــــه
عين ولا مسحل البهمى لذا مزنـا (٢)

وواضح أن شاعرنا يستلهم النابغة في مطلع معلقته :

يا دار مية بالعلياء فالسنـدى
أقوت وطال عليها سالف الأمـد (٣)

ولكنه لم يقف في ذلك عند أبي أمامة فحسب ،بل انه يستلهم النهج الجاهلي عموما من حيث المعجم اللفظي والقالب الفني ، فهو يذكر الديار والأماكن التي ذكرها شعراء الجاهلية ووقفوا عليها مثل " قو " وحيف منى " وذى قار وذى ضال وأقب .. وما الى ذلك.

أما محبوبته التي يقف على ديارها "فسلمى" التي طالما تغنى بحبها الشاعر العربي القديم ويظهر المعجم اللفظي للشعر الجاهلي في مثل " أقوت" أقفرتها ، خيط النعام ،عطنا ،معاهدها ،بصعب ،أرنا وفحل سبحل عوهن تقف ،أتنا ،مسجج ، فارع ، ضجنا مسحل البهمي .. الى آخر هذه الكلمات الغريبة الجزلة.

---

(١) مسجج : معضض مكدم ،فارع : المستقلّ ،الضجن : جبل.
(٢) المسحل : الحمار الوحشي ،البهمي : نبت ،مزن : ذهب لوجهه.
(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٢١ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور طبعة الشركة التونسية للتوزيع .

وأخيرا يسلى نفسه عندما لم يجد أليفا في معاهد محبوبته بركوبه الفحل ،وتسلية النفس عن همومها بالمطية الذلول تقليد فني جاهلي ،فها هو ذا طرفة بن العبد يقول :

وإني لأمضى الهم عند احتضاره
بعوجاء مرقال تروح وتغتدى (١)

ثم ينظر شاعرنا الى قصيدة النابغة التي يرد فيها على بدر بن حذار والتي يقول فيها :

ألا من مبلغ عني حريما
وزبان الذى لم يرع صهرى
.. فلم يك نولكم أن تقذعوني
ودوني عازب وبلاد حجر.. (٢)

فيقول شاعرنا في انتصار جيش المسلمين على التوارك الوثنيين :

ألا أبلغ توارك أهل "أزين"
علانية فقد ذهب السرار
..فلم يك نولكم أن تشتمونا
وتفتخروا اذا جد الفخار

فاستلهامه لقصيدة أبى أمامة المذكورة شديد الوضوح تدل عليه هذه الألفاظ: " ألا أبلغ " " فلم يك نولكم أن تشتمونا " ، وهذا الشطر يكاد يكون

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ١٢ شرح الأعلم الشنتمرى ،مطبوعات مجمع اللغة العربية " بدمشق .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٨٥ تحقيق الدكتور شكرى فيصل ، طبعة دار الفكر .

مأخوذا حرفيا من أبي أمامة في قوله " فلم يك نولكم أن تقذعوني " لولا أن الشاعر بدل كلمة " تشتمونا " بـ" تقذعوني " التي تحمل نفس المدلول .

ويضرب شاعرنا أيضا على أوتار النابغة في وصف المتجردة حيث يقول :

لا مرحبا بغد ولا أهلا بـــه
ان كان تفريق الأحبة في غـــد
جاء الرحيل ولم تودع مهـــددا
والصبح والاساء منها موعـــدى
في اثر غانية رمتك بسهمهـــا
فأصاب قلبك غير أن لم تقصـــدى
.. القصيدة (١)

فينسحب شاعرنا على أذياله متحسرا على فراق العلماء النحارير الكرام الذين أرسوا قواعد الاسلام بربوع البلاد ،فهو يصفهم ويتألـــم على فراقـــهم فيستعير في ذلك من مطلع قصيدة النابغة المذكورة شطره الأول فيقول :

لا مرحبا بغد ولا أهـــلا بـــه
ان كان بعد غـــد يكون بعـــاد
والبين موت للقلوب فيـــا لـــه
موتا وان بقيت بـه الأجســـاد ..

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين جـ١ ص ٢٢٩ للأعلم الشنتمرى ، طبعة دار الفكر .

ويضرب عبدالله بن فودى الوزير على قيثارة أبي أمامة أيضا مستلهما بائيته في مدح عمرو بن الحارث الأصغر . فيقول شاكيا حال أهل زمانه الذين انحرفوا عن الجادة ولم يستقيموا على الطريقة بل استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ، فعز على نفسه الأبية أن يرى بني جلدته في هذه الارتكاسة الأخلاقية ولا يملك لهم سوى التحسر والهجران ، وهو موقف جد حزين كان صداه هذه القصيدة ذات اللحن الدامع :

فلما مضى صحبي وضاعت مآربي
وخلفت في الأخلاق أهل الأكاذب

يقولون ما لا يفعلون وتابعوا
هواهم وطاعوا الشح في كل واجب

وليس لهم علم ولا يسألونه
وأعجب كلا رأيه في المذاهب

وقطع أرحاما وأزرى معارفا
وآثر عن قرباه جمع الاشائب

وما همهم أمر المساجد بل ولا
مدارس علم بله أمر الكتائب

وهمتهم ملك البلاد وأهلها
لتحصيل لذات ونيل المراتب

بعادات كفار وأسماء ملكهم
وتولية الجهال أعلى المناصب

وأكل هدايا الجاه والغيء والرشا
وعود ومزمار وضرب الدبادب

وان قرين السوء يعدى قرينــــه
بما فيه اعداء الصحـاح الأجـارب

وقد طار قلبي للمدينة ثاويـــــا
سنين بها شوقا وليس بآيـــب

صرفـت عناني عنهم متوجهـــــا
الى خـير خلق اللـه معطى الرغائب

وكم ليلة بتنا بها نابغيـــــــة
ولا نار الا نارنـا فـي السباســب

وسمارنا جيراننا أقرباؤ نــــــــا
بعـوض وحيات وجمـع العقـــارب

أوانسـنا أقواســـنا وحمابنــــا
رمـاح وأسـيـاف رقاق المضـــارب

.. القصيدة (١)

أما قصيدة أبي أمامة فهي التي يقول فيها :

كليني لهم يا أميمة ناصــــب
وليل أقاسـيه بطـيء الكواكــب

تطاول حتى قلت ليس بمنقـــض
وليس الذى يرعى النجوم بآيــب

وصدر أراح الليل عازب همـــه
تضاعف فيه الحـزن من كل جانـب

---

(١) تزيين الأوراق ص ٤٦ مخطوط .

.. علي لعمرو نعمة بعد نعمة
لوالده ليست بذات عقارب
وللحارث الجلني سيد قومه
ليلتمسن بالجيش دار المحارب
وثقت له بالنصر اذ قيل قد غدت
كتائب من غسان غير أشائب
بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر
أولئك قوم بأسهم غير كاذب
تراهن خلف القوم خزرا عيونها
جلوس الشيوخ في ثياب المراتب
فهم يتساقون المنية بينهم
بأيديهم بيض رقاق المضارب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب
رقاق النعال طيب حجزاتهم
يحيون بالريحان يوم السباسب
.. المعلقة (١)

ولعل في وصفه ليلته بأنها نابغية اشارة الى ليلة النابغة الذبياني وليس الى مجرد وصفها بالطول ومرارة التسهيد ، وخاصة أننا نلاحظ في قصيدة عبدالله بن فودى تأثرا واضحا بالبائية النابغية ..

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٠ - ٤٨ .

وتظهر ملامح هذا التأثر في وصفه الأسياف برقة المضرب وهو وصف مأخوذ من شطر بيت النابغة الذى يقول فيه : " بأيديهم بيض رقاق المضارب " .

كما نلاحظ أخذه كلمات من المعجم اللفظي لأبي أمامة ، ويظهر ذلك في الكلمات : " الأكاذب " ، " المذاهب " ، " الأشائب " ، " الكتائب " ، " المراتب " ، " المحارب " ، " يآيب " ، " السباسب " ، " العقارب " ، " المضارب " . .
وهذا الصنيع الى التأثر أقرب منه الى توارد الخواطر . فشاعرنا قد تيم بفن النابغة في هذه القصيدة فنظر اليها نظرة اجلال و اكبار ، ومن ثم نسج على منواله معجما وقالبا ، وان كان قد استطاع أن يتسلل من القالب الفني والمعجم اللفظي الجاهليين ، ليضمن قصيدته روحا اسلامية تعبق بمعاناة رجل الدين الذى يرى المجتمع حوله قد ارتكس في حمأة المعاصي وشتى الانحرافات الأخلاقية التي يأباها الدين ، فينصح لهم فلا يجد منهم اصغاء لأنهم لا يحبون الناصحين . و يلفى نفسه كالذى ينفخ في الرماد فلا يملك سوى الهجران فرارا بدينه . .

و ما دام الحديث يدور في فلك أبي أمامة ومن استلهموه من شعراء العربية في غربي أفريقيا ، فمن الحق علينا أن نذكر الشاعر الأديب الوزير الجنيد اذ استلهم بهائية النابغة المذكورة سلفا ، فقال :

تطاول ليلى واستمرت وساوسى
وفاضت على صدرى بحور المدامع
وبت أراعي النجم في غيهب الدجا
أشير اليه تارة بالأصابع
.. القصيدة (١)

----

(١) ديوان الوزير الحفيد ص ٣ مخطوط .

فان ليلته التي بات يراعي فيها النجوم ويتقلب فيها على الجمر هي نفس ليلة النابغة التي بات هو الآخر يراعى فيها النجوم ويقاسي مرارة التسهيد ..

وقد تأثر الوزير الجنيد أيضا في احدى قصائده بمعلقة امرىء القيس المشهورة . فيضرب الجنيد على أوتار الملك الضليل قائلا :

ألا أبلغن عني " لأقدس "(١) تحية
تفوح بعرف المسك أوعرف صندل
وبلغ لأهليها سلاما مباركا
يعم شذاه من تحيت ومن عل
وفيحاءها حيث الظباء ترود في
خمائل تأتي من جنوب وشمأل
وأحسن بهاتيك الظلال فانها
سارح جاد الغيث فيها بمسبل
بلاد عريضات وأرض أريضة
منازه عين الناظر المتأمل
ومنها بطاح واسعات تزينت
" بتاجام "(٢) دوم والنخيل المكلل
ومنها جبال شامخات يزينها
طرائق من آثار حاف ومنعل

---

(١) مدينة .

(٢) موضع .

أعد ذكر يوم في "تفارك"[١] قضيته
تجول به بين الأراك المظلل
وليل بواديها تهب به الصبا
على شاطئ وسط الكثيب العقنقل
وركضك في وعث الكثيب بخيبة
من النوق في أكناف ساحة منزل
وكم ذكرتني بيت شعر خيامها
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وأطربني منها غناء حمامها
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وعولت مغتما على عرصاتها
وهل عند رسم دارس من معول
فسليت عنها ثم قلت تأسيا
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
سلام على تلك البقاع وأهلها
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
.. القصيدة[٢]

وواضح في هذه القصيدة اقتفاء شاعرنا خطى امرئ القيس في معلقته المشهورة ..

---

(١) موضع .
(٢) ديوان الوزير الجنيد ص ٢٨

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الآرام في عرصاتها
وقيعانها كأنها حب فلفل
وقوفا بها صحبي على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل
وان شفائي عبرة مهراقة
فهل عند رسم دارس من معول
اذا قامتا تضوع المسك منهما
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
وان تك قد ساءتك مني خليقة
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
فلما أجزنا ساحة الحي وانتهى
بنا بطن جنب ذى قفاف عقنقل
.. المعلقة (١)

فشاعرنا يستعير تعبيرات امرىء القيس ، ويستعمل بعض أشطار أبياته ومعجمه اللفظي مثل : من عل ، جنوب وشمأل ، المكلل ، الكثيب ، العقنقل ، ساحة ومنزل ، فكل هذه الكلمات من معجم مطولة امرىء القيس ..

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال ص ١٩ - ٢٩ لابي بكر محمد بن القاسم الأنبارى طبعة دار المعارف بمصر .

أما استعماله بعض أشطار أبيات الملك الضليل فوضوحه في القصيدة يغني عن ذكره ..

ومن ضربوا على ألحان الملك الضليل الشاعر محمد بللو وهو ممتلئ بلغة الجاهليين بعامة .

ويظهر ذلك في قصيدته التي أنشأها في الرد على الشيخ محمد الأمين الكانمي في اتهامه لحركة والده الجهادية ضد الوثنيين والمبتدعة في ختام رسالته :

ألا عم صباحا واحضر الذهن انني
حريص على من يقبل القول بالفهم ..

فلا يكاد المرء ينتهي من قراءة المقطوعة حتى تذكره ألفاظها بلغة الجاهليين عموما وبمطولة امرئ القيس التي يقول فيها :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي
.. القصيدة (١)

ويقول شاعرنا أيضا مخاطبا الكانمي في جواب آخر :

ألا من مبلغ عني الأمينا
رسالة ناصح يبدى اليقينا
أتعلم أننا مما رمينا
به برآء فاوف العذرفينا

---

(١) شرح ديوان امرئ القيس ص ١٣٩ دار صادر ودار بيروت.

وأنا ما تغلبنـــا عليهـــــــم
علـوا أوفســادا قاصدينــــــــا
ولكن حين أخرجنا اعتـــــــداء
وبغيا صاح قمنـا دافعينــــــا
تبين أمرنـا هـذا أخانـــــــا
وفتشـــه ولا تعجـــل علينـــــا .. (١)

وهوهنا ممتلئ الخاطر بواحدة عمرو بن كلثوم في بحرها وقافيتهـــا
وبعض ألفاظها في مثل قول عمرو :

أبا هنــد فلا تعجل علينـــــا
وأنظرنـا نخبرك اليقينـــــا
اذا ما الملك سام الناس خسفـــا
أبينـا أن نقر الـــذل فينـــا
.. المعلقة (٢)

فشاعرنا يستعير تعبيرات عمرو في مثل قوله : " فلا تعجل علينا" نخبرك اليقينا ، وناهيك في أن كلتا القصيدتين من بحر الوافر ومن قافية النون المطلقة .

---

(١) انفاق الميسور في تاريخ التكرور ص ١٨٨ .
(٢) مختار الشعر الجاهلي ص ٣٦٤ جـ٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

وقد تغنى شاعرنا هذا بألحان زهير بن أبي سلمى في رثاء سناء ابن أبي حارثة وقيل حصن بن حذيفة الغزارى حيث يقول :

ان الرزيــة لا رزيــة مثلهـــا
ما تبتغـي غـطفان يوم أضلـت
.. القصيدة (١)

فيقول شاعرنا راثيا أستاذه وعمه عبد الله بن فودى مستعيرا مطلع زهير أو شطر مطلعه :

ان الرزية لا رزية مثلهـــا
رزء غـدا الاسـلام متثلما بهـا

وهي قصيدة طويلة ضمنها شاعرنا روحا اسلامية جيدة ، ولنا معها وقفة متأملة عندما نتناول المراثي في الفصول القادمة .. على أن شاعرنا هذا شديد التشبث بأنغام الجاهليين ، فها هو ذا هذه المرة يضرب قيثارته على أنغام عنترة في احدى حربياته مستعيرا مطلعه في يوم " عراعر " (٢) حيث يقول :

ألا هل أتاها أن يوم عراعـــر
شفى سقما لو كانت النفس تشتفي
.. القصيدة (٣)

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين جـ١ ص ٢٤١ .
(٢) عراعر: ماء لكلب أوموضع في ديارها .
(٣) ديوان عنترة ص ٢٢٨ تحقيق محمد سعيد مولوى طبعة المكتب الاسلامي .

فيقول شاعرنا في انتصار جيش المسلمين في موقعة " فافرا "[(١)] :

ألا هل أتاها أن غزوة " فافرا "
شغى سقما في القلب من حين أخبرا
.. القصيدة[(٢)]

فهو يستعير تعبيرات عنترة مع تصرف طفيف في بعض الألفاظ المؤدية لنفس المعنى الذى قصده عنترة أو ما يقاربه ، فعنترة يقول : شفى سقما في النفس ، ويقول شاعرنا شغى سقما في القلب ، وفي قصيدة شاعرنا استعمالات أخرى لمعجم عنترة اللفظي كقوله : " فغادرن مسعودا " وقول شاعرنا : فغادر خيل الله للنصر هامهم .. ورغم أن شاعرنا حاول أن يقلد عنترة في حماسيته واستعمل بعض تعبيراته ، فان الأصالة الفنية لم تخالفه في ذلك ، حيث أنه قد استطاع أن يضمن قالبه الجاهلي القديم محتوى اسلاميا أضفى على قصيدته رونقا وبهاء وأكد لها طابعها الاسلامي المميز ، و سنقف طويلا عند هذه القصيدة عندما نتناول شعر الجهاد في الفصول القادمة ..

ولنتجاوز محمد بللو لنميط اللثام عن عمه الوزير الشاعر عبد الله ابن فودى لنكشف القناع عن مدى تمثل شعره للتقاليد الفنية للشعر القديم ، وهو الذى كان خير مثال على من حذوا حذو الشعراء الجاهليين

---

(١) فافرا : موضع بشمال نيجيريا .

(٢) اتفاق الميسور ص ١٤١ .

في المعجم والقالب . وها هو ذا يتغنى على أوتار حائية عنترة فيقول :

طربت فأشجاني الطيور الكوالــــح
وفرحني منها الغيوث الروائــــح
وخوفني منها ذياب بـــــــــوارح
و أمنني منها الظبـاء السوانـح
لقول النبي لا تزال جماعـــــــة
على الحق منا أو تجئ المقـــــارح .. (١)

وشاعرنا في هذه القصيدة يستعير بعض تعبيراته من حائية عنترة
التي يقول فيها :

طربك وهاجتك الظبـاء السوانـح
غداة غدت منها سنيح وبـــارح
فمالت بك الأهـواء حتى كأنمـــا
بزندين في جوفي من الوجد قادح
.. القصيدة (٢)

ففكرة التشاؤم والتفاؤل من الطيور أو الظباء السائحة والبارحـــة
مأخوذة من الشعر الجاهلي بعامة وان ظهر تأثره هنا بقصيدة عنترة.

---

(١) تزيين الورقات ص ١٨.
(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين جـ٢ ص ١٥٨.

ولم يتوقف أخذ شاعرنا من عنترة عند فكرة التشاؤم والتفاؤل فحسب ، وانما تجاوزها الى البحر والقافية وبعض الألفاظ مثل " الظباء السوانح " و" سنيح وبارح " " طربت " منها .. ومع ذلك فقد نجح شاعرنا في الاتجاه بقصيدته وجهة اسلامية رائعة برغم أنه استهلها بفكرة أقرب ما تكون الى الجاهلية منها الى الاسلام .. ومن بواعث الاستغراب أن تكون هذه القصيدة التي بدأت بفكرة غريبة عن منطق الاسلام نداء اسلاميا وجهه صاحبها الى قومه " الفلانيين "(١) يدعوهم الى الانضمام الى سلك المجاهدين تحت قيادة أخيه المجدد الشيخ عثمان بن فودى .

وقد فعلت القصيدة فعلها في القوم فأقبلوا اليه رجالا وركبانا حتى قال أحد الباحثين ان هذه القصيدة قد ألهت الفلانيين عن كل شيء كما ألهت بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة عمرو بن كلثوم .. وللحديث بقية عن هذه القصيدة فيما سنتناول من الجهاديات في الفصول القادمة ..

على أن شاعرنا قد نسج تراكيبها من معجم عنترة اللفظي وطبعها على قالبه الفني وان كان مضمونها اسلامي المعاني والمقاصد ..

وقد استلهم شعراء غربي أفريقيا أيضا تراث المخضرمين الشعرى : فهذه خنساء نيجيريا " أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودى " تتأثر بتماضر بنت عمرو بن الشريد في بكائياتها ، وخاصة مرثاتها لأخيها صخر التي تقول فيها :

---

(١) قبيلة اشتهرت بالرعي في غربي أفريقيا ولها تاريخ مجيد في نشر الاسلام بالمنطقة .

أعيني جودا ولا تجمـــــــدا

ألا تبكيـــان لصخـــر النـــدى ..(١)

فتندفع أسماء في رثاء بعض صديقاتها قائلة :

أعيني جودا وابكيا لي حبيبتـــي

وسلـوة أحزاني وأنسا لوحشتـــي

على أنها لم تتأثر بتماضر الا في كلمة " أعيني جودا " وكأنهـا تريد أن توحي الى السامع بأنها تنطلق في فنها من أساس متين ، وأن نسبها الفني في الرثاء تتصل حلقاته لتصل الى ربة هذا الفن فـي الشعر العربي ، وهذا نذير بأصالتها الفنية ..

وممن عاشوا في جو الخنساء الحزين واستلهموا قوالبها الفنيـة الشاعر السنغالي أحمد عيان سه في مرثاته لأبيه فيقول :

ما بال عينك تشكو شدة الكمـــد

كأن جفنك مكحول من الرمـــد

والقلب محترق والدمع منسبـــل

لما يقطع في الأحشاء وفي كبـــدى (٢)

فهذه المعاني الحزينة مستوحاة من قول الخنساء في صخر:

ما بال عينك منها دمعها سـرب

أراعهـا حـزن أم عادها طـــرب

---

(١) ديوان الخنساء ص ٣٠ طبعة دار صادر ودار بيروت.

(٢) الأدب السنغالي العربي ج١ ص١٢٣ د/ عامر صحب طبعة الشركة الوطنية للنشر والوزيع الجزائر.

أم ذكر صخر بعيد النوم هيجها

فالدمع منها عليه الدهر ينسكب

.. القصيدة (١)

ولعل فكرة اكتحال العين من الرمد من شدة الحزن مأخوذة من قول حسان بن ثابت في رثاء خير البرية عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :

ما بال عينك لا تنام كأنهـا

كحلت مآقيها بكحل الأرمد

وكأني بابن زبير السنغالي يضرب على أوتار تماضر ويستعير نغمتها الحزينة حيث تبكي صخرا فتقول :

يا عين جودى بدمع منك مسكوب

كلؤلؤ جاء في الأسماط مثقوب

.. القصيدة (٢)

أوربما استهواه اللحن الحزين لحسان بن ثابت في احدى بكائياته على النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

يا عين جودى بدمع منك اسبال

ولاتملن من سح واعوال

.. القصيدة (٣)

---

(١) ديوان الخنساء ص ١٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٤.

(٣) شعر الدعوة الاسلامية ص ٣٩٥ عبد الله بن حامد الحامد.

فيقول شاعرنا راثيا الشيخ محمد البكي :

يا عـين جودى بدمع منك هتـان
تـبكي على فقد جار خير جيـران

واستلهم كثير منهم بردة كعب بن زهير وكانوا في ذلك ما بين مضمن وشطر و مخمس ومعارض ، وسنبين ذلك كله عند تناول المدائح النبوية .. ونذكر هنا على سبيل المثال تضمين الشاعر السنغالي محمد أنياس للبردة فيقول :

يريم رامة قلبي اليوم متبـول
متيم اثرها لم يفد مكبـول
ترنو بفاتن جفن ليس يشبهها
الا أغن غضيض الطرف مكحـول
تريك قامة غصن البان مائسـة
لا يشتكي قصر منها ولا طـول
لعل عفو رسول الله يدركنـي
والعفو عند رسول الله مأمـول
.. القصيدة (١)

فيقول كعب بن زهير :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبـول
متيم اثرها لم يفد مكبـول

---

(١) مخطوط في ايفان.

وما سعاد غداة البين اذ رحلـــوا

الا أغن غضيض الطرف مكحـــول

أنبئت أن رسول الله أوعدنـــي

والعفو عند رسول اللـه مأمـــول

.. القصيدة (١)

ثم تتلمذ شعراؤنا على الاسلاميين فنجد محمد بللو يضرب على أوتار علي بن أبي طالب في قصيدته في يوم بدر فيقول شاعرنا :

ألم تر أن اللـه أبلى عبـــاده

بـــلاء عزيز والحروب تسعـــر

بما أنـزل الكفار دار بوارهـــم

فلاقوا هوانا والحوادث تخطـــر

وهو في هذه يستلهم قصيدة علي بن أبي طالب التي يقول فيها :

ألم تر أن الله أبلى عبـــاده

بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل

بما أنزل الكفار دار مذلـــة

فلاقوا هوانا من أسار ومن قتـل

.. القصيدة (٢)

---

(١) شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام ص ٢٣ تحقيق د / محمود حسن أبو ناجي الوكالة العامة للتوزيع .

(٢) انفاق الميسور ص ١٣٢.

وواضح جدا مدى تأثر شاعرنا بقصيدة علي بن أبي طالب وتظهر ملامح هذا التأثر في قوله : " ألم تر أن الله أبلى عباده " بلاء عزيز .. وقوله في البيت الثاني : " بما أنزل الكفار دار .. فلا قوا هوانا .. يضاف الى ذلك تأثره ببحر القصيدة اذ أن كلتا القصيدتين من بحر الطويل ، أما قافيتهما فمختلفة ..

وعارض شاعرنا من الاسلاميين كعب بن مالك في مقطوعته ليوم " أحد " حيث يقول :

أبلغ قريش وخير القول أصدقه
والصدق عند ذوى الألباب مقبول

لقد قتلنا بقتلانا سراتكم
أهل اللواء ففيم يكثر القيل

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد
فيه مع النصر ميكال وجبريل

.. المقطوعة (١)

فيقول شاعرنا :

أبلغ بلادى وخير القول أصدقه
أنا رجعنا بحمد الله بالسول

اذ قد نصرنا على الأعداء كلهم
وقد بلغنا به من كل مأمول

اذ قد سمونا بحمد الله في مدد
من دعوة الشيخ يدعو خير مسئول

.. القصيدة (٢)

---

(١) شعر الدعوة الاسلامية ص ٢٨٦ .
(٢) افادة الطالبين ص ٦ .

وواضح استعارته تعبيرات كعب بن مالك في الشطر الأول من البيت الأول ، فهو قد أخذ الشطر ولم يزد فيه الا أن غير كلمة " قريشا " " ببلادى " ،وكلتا القصيدتين تتحدان في المناسبة ،فشاعرنا في قصيدته يفتخر على أعداء الاسلام ويتباهى عليهم بانتصارات جيش الايمان على جيش الكفر : وكعب بن مالك أيضا كان يرد على المشركين تبجحهم بيوم أحد ويذكرهم بالويل الذى أصابهم والتنكيل الذى نالهم من المسلمين يوم بدر . وهو ما لو تأملوا فيه لما سمحت لهم أنفسهم أن يتبجحوا ويفتخروا بيوم أحد .. ولنا حديث طويل مع جهادية صاحبنا هذه في الفصول التالية .

وقد استهوته نغمات صفية بنت عبد المطلب الحزينة وبكائيتها في النبي صلى الله عليه وسلم فراح يندب بألحانها على شيخه المختار الكنتي حيث يقول :

عين جودى بدمعة وصبيب
واسكبي الدمع بعد فقد الحبيب
واذرفي أدمع الجفون انسكابا
واهملي واهطلي وسحي وصبي
عل بذلك الدموع يشفى غراما
مستكنا وفرط وجد مذيب
.. القصيدة (١)

---

(١) افادة الطالبين ص ٢٦ .

وهذه النغمة الحزينة تذكر بنغمة صفية التي قلنا ان الشاعر يندب بألحانها وهي قولها :

عين جودى بدمعة وسهـود

واندبي خير هالك مفقـود

.. القصيدة (١)

وليس أدل على نظرته اليها حين كان يكتب شعره من استعارته قولها : " عين جودى بدمعة .. " ..

وممن استلهموا الاسلاميين عبدالله بن فودى في حائيته التي ألهبت الفلانيين عن كل شيء وشجعتهم على حمل السيف للجهاد في سبيل الله ،ففيها يقول :

ألا أبلغن عني لحيى رسالـة

تعيها رجال أونساء صوالـح

وهذا البيت يذكرني بقول كعب بن زهير في زجر بجير :

ألا أبلغن عني بجيرا رسالـة

فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا (٢)

ثم يستوعبون الانغام الجديدة التي تميز بها المحدثون من أمثال أبي نواس وأضرابه فنجد الشاعر السنغالي محمد أنياس يضرب على أوتاره

---

(١) شعر الدعوة الاسلامية ص ٤٠٤.

(٢) شرح قصيدة كعب بن زهير ص ٣٤.

في احدى خمرياته التي يقول فيها :

دع عنك لومي فان اللوم اغــــزاء
ودا وني بالتي كانت هي الـداء . (١)

فاستلهم شا عرنا هذه النغمة وانسحب على أذيال الحسن بن هانئ ، غير أن خمر شاعرنا خمر روحيـــة احتسى كأسها حتى الثمالـــــة فتمخضت عن حالة الانتشاء عنده هذه الأبيات :

باتت تعاطيك من خمر الوصال بمـــا
أشفى به كبد بالشوق حــــــــراء
ثم انثنت فكأنـا كان يرقبنــــــــا
صبح له في نواحي الأرض اسـراء
فأوقدت لهبا في الأرض ليس لــــه
الا بوصل سعد الخلق اطفـــــاء
شمس الهدى من سقانا من طريقتــه
بغيضـة ينجلى من شربها الـــــداء
كم فيضـة منه للأرواح جاذبـــــة
الى الالـه لها بشر وســـــــــراء
يا لائمي في هوى شيخي يحذرني
قصر عن اللوم فالتحذير اغـــــراء

---

(١) ديوان أبي نواس ص ٧ دار صادر داربيروت .

وواضح أن القالب الفني والمعجم اللفظي للقصيدة نواسيـــــة اذ يستعير شاعرنا ألفاظ أبي نواس مثل " اسراء ، الداء ، سراء ، اغراء . والشطر الثاني من البيت الأخير مأخوذ من معنى قول أبي نواس :

* دع عنك لومي فان اللوم اغراء *

وتأثر عبدالله بن فودى بأبي الطيب في قوله :

بذا قضت الأيام من بين أهلهــــا
مصائب قوم عند قوم فوائـــد (١)

فيقول شاعرنا :

وان قد أضعناه استفاد بغيرنا
مصائب قوم عند قوم مصالـــح

فهو قد أخذ الشطر الثاني من البيت لفظا و معنى من قــول المتنبي السابق ، وكل ما فعله هو أنه غير كلمة القافية بما يتناسب مع قوافي قصيدته ويؤدى ذات المعنى والغرض ... على أن ما اشتملت عليه قصيدة شاعرنا من الحكم تدل على تأثره بالمتنبي في القصيدة أكثر من غيره كقوله :

وما ضر شمسا أن نغش العمي ضوءها
وما ضر حوضا أن أبته القوامـــح

----

(١) ديوان المتنبي جـ١ ص ٢٧٦ شرح أبي البقاء العكبرى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

وقد تأثر الشيخ عبدالله بن فودى بأبي الحسن التهامي من شعراء الدول المتتابعة ، فتغنى بألحانه الحزينة في رثاء صديقه مصطفى حيث يقول :

آن ارعواؤك ان أرتك الـــدار
بفعالهــا من أنهــا غــــدار
دار يموت بها حبيبك لا تـــرم
فرحــا بدار صفوهــا كـــدار
ما ترتجي من هذه الدنيا التـــي
ما تأتلي تزكو بها الأخطـــار

فهو في هذه الأبيات يعيش في جو التهامي الحزين في بكائيته على فلذة كبده حيث يقول :

حكم المنية في البريـة جـــار
ما هـذه الدنيـا بدار قــــرار
.. والهون في ظل الهويني كامـن
وجلالـة الأخطار في الأخطـار
طبعـت على كـدر وأنت تريدهـــا
صفوا من الاقذاء والأكـــدار
.. القصيدة (١)

---

(١) أبو الحسن التهامي حياته وشعره ص ١٣٦ د/ محمد الربيع مكتبة المعارف - الرياض .

وواضح أن شاعرنا يستلهم التهامي أو يعارضه ويستعير منه بعض ألفاظه و تعبيراته كقول شاعرنا : " لا ترم فرحا بدار صفوها كدار " فهو مستلهم من قول التهامي :

طبعت على كدر وأنت ترومهـــا

صفوا من الاقذاء والاكــــدار

أما الالفاظ فتبدو في استعمال شاعرنا للكلمات الآتية : " كدار ،أخطار، وهكذا دواليك . . وسنورد المرثية كاملة عندما نترجم للشاعر . .

و ممن استلهموا هذه القصيدة التهامية الحزينة الشاعر اسماعيل ابن محمد في رثاء شيخه الحاج شعيب ابن الامير محمد فيقول :

الله أكبر ذى الدُّنا لغنـــاء

خلقت وما خلقت أخي لبقـــاء

دار كثير حزنها و همومهـــا

ما أضحكت حتى أتت ببكـــاء

كانت على كدر ونحن نرومهـــا

تبقى لنا بمسرة و صفـــاء . .

و يظهر أثر التهامي في قصيدة شاعرنا هذا في قوله :

كانت على كدر و نحن نرومهـــا

تبقى لنا بمسرة و صفـــاء

فهذا البيت مأخوذ من قول التهامي :

طبعت على كدر وأنت تريدهـــا

صفوا من الاقذاء والاكــــدار

واستوعب الشاعر النيجيرى الشيخ ناصر الدين الكبرى احدى نغمات الحريرى على لسان أبي زيد السروجي فضرب على قيثارته مستعيرا قالبه الفني ووزنه الراقص في لحظة شاعرنا الانتشائية الروحية حيث يقول :

ظهرت روح التقى في الجـ   نفحات الناصرية
وتلألأ نورها فـي   صفحات القادرية
وبدا نور سناهـا   في النواحي العالمية
أسكرت كأس هواهـا   صخرات البابلية
وغدا يسكر منهـا   حاكم الاسكندرية

وواضح جدا أنه تأثر في هذه الأبيات بالحريرى على لسان أبي زيد السروجي في المقامة التاسعة الاسكندرية حيث يقول :

كدت أصلى ببليه   من وقاح شمرية
وأزور السجن لولا   حاكم الاسكندرية (١)

وقد استعار " الكبرى " الشطر الأخير من أبياته من الشطر الثاني من بيت أبي زيد الأخير .

وممن لم يجدوا حرجا من ترديد بعض الأصداء الفنية التي كانت تستعمل في العصور المتأخرة عبد الله بن فودى ، فهنا هو ذا

---

(١) شرح المقامات للحريرى جـ١ ص ٣٦٥ للشريشي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة .

يتلاعب بمصطلحات العلوم ويؤرخ لشعره صنيع الشعراء في المشرق والمغرب فيقول :

ولهم ككان ومبتدا في جارهم
عمل لغيرهم كلم أوفي يج

وهذا البيت يذكرني بقول ابن الفارض :

نصبا أكسبني الشوق كما
تكسب الأفعال نصبا لام كي (١)

أو قول التلعفرى :

واذا الثنية أشرقت وشممت من
أرجائها أرجا كنشر عبير
سل هضبها المنصوب أين حديثها
المرفوع من ذيل الصبا المجرور (٢)

ويقول شاعرنا مؤرخا لقصيدته :

قد يسر التخميس لي في مدحه
قد تم نظم قصيدتي في مدحه
أبياتها جصل كسن محمد

---

(١) الأدب في العصر المملوكي جـ ٢ ص ١٠٩ / د . محمد زغلول سلام ط دار المعارف .

(٢) المصدر السابق .

ومن نحوا هذا المنحى من الشعراء السنغاليين ذو النون حيث يقول :

أفناني الشوق حتى لم يدع خبـــــرا
لمبتدا لا ولا حالا ولا بـــدلا
وكان منفصلا ما كان متصـــــــلا
فهاج لي طللا قد قربت أجلا
قد عنعن الشوق عن نفسي وعن نفسي
هذا حديث صحيح ثابت نقـــلا

فهو في هذه الأبيات يتلاعب بمصطلحات النحو من نحو المبتدأ والخبر والحال والبدل والمتصل والمنفصل ومصطلحات المحدثين من عنعنة ونقل متواتر وصحة في الرواية ..

وقد نسج شعراء غربي أفريقيا على منوال البوصيري في البردة والهمزية وذلك في مدائحهم النبوية فها هو ذا الحاج مأجور سيسة ينسج على منواله شكلا ومضمونا فيقول :

بديع مطلعكم يا جيرة العلـــم
سنا براعته نار على علـــــم
ان جئت سلعا فسل عن ريم رامة هل
بالبان مذ بان عني أو بذي سلم
أحبة أرخوا يوم الوداع علـــى
خدي خطا بلا رق ولا قلـــم
صدوا فلم يبق لي جلد ولا جلـد
والغصن يذوى لفقد البار والشيم

قد هددوني الجوى ركنا وثقت به

مذ هددوني بسيف من بعادهم

وجردون النوى ذيل الفراق ولم

أبال ان جردوني من بعادهم

.. القصيدة

وكانوا في محاكاة البردة ما بين مشطر ومخمس ومن بين من شطروها الشيخ محمد محي الدين كشمه فقال :

أمن تذكر جيران بذى سلم

قد بت ترعى نجوم الأفق لم تنم

أم من ظعين نأت والخوض تحملها

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة

فهاج شوقك هوج الريح للعلم

أم جاورت اضا سلمى وجيرتها

وأومض البرق في الظلماء من اضم

.. القصيدة

ويضرب الحاج محمد أنياس على أوتار البوصيرى في الهمزية فيقول :

أنت للكون بهجة وبهاء

وتجلت بنورك الأنبياء

أنت لولاك لم يكن كل كون

ولما زال عن ذويه الشقاء

.. القصيدة

وهناك شعراء آخرون استلهموا البوصيرى في مدائحهم النبوية نذكر منهم على سبيل المثال ، الحاج مالك سه الذى يكاد يتخصص شعره في هذا المجال فيقول :

أبدا بروق تحت جنح ظلام
أم وجه مية أم ربوع شمام
ان الربوع بشارتي وأمانتي
وربيع قلبي وهي خير شيام
والدمع ان بعدت ربوع ربوعنا
جار وجارح منحرى بسهام
صه عاذلي لو حزت علما لم تلم
هل عذل مثلي لم يكن بحرام
.. القصيدة

وله في ذلك أيضا :

ألا يا دعد ويحك نبئيني
بذكر البان تهتان العيون
أفي بيت حبالك أم ببين
بعشاق برامة خبريني
ففي نيك الأحبة كي نداوى
ضنى فينا باجراء الشئون
دعي عنك التفنج ذات دل
به يزداد قلبي من فتوني
ألا حبل المودة جدديها
ففي التجديد نحي كل حين

منازل قد عهدت بها بسلع
وكاظمة جنانا للقطين
.. متى ما دان بحرك من كدور
فصاف سلسل بحر الأمين
نبي عبقرى أريحي
صفي الله ذى خلق بيون
.. القصيدة

وباب المدائح النبوية في الشعر العربي بغربي أفريقيا بحر لا ساحل له ولنا فيه صولات وجولات في الفصول القادمة ان شاء الله .. على أن من شعراء العربية بغربي أفريقيا من تكلفوا مفرطين بالمحسنات البديعية ضيع الشعراء في العصور المتأخرة ،فها هو ذا الشاعر محمد الأمين زبير ينظم قصيدة تصل الى أربعة وعشرين بيتا ،وقافية كل بيت هي كلمة " خال " فأصبحت القوافي أربعا وعشرين قافية متشابهة لفظا مختلفة معنى فيقول :

سما نحوى خيال من سليمى
وغادرني الخيال مريض خال
فصار يلومني أن قد غشاني
وأسلمني تجبر كل خال
فقلت له رويدك لا تلمني
وجدك انني لخير خال
ويوم قد غشاني كل سهم
شديد البأس مرد كل خال

وظنوا بي الظنون وحال بيني
وبينهم جنان غير خال
فيأتمرون بي أليقتلوني
لأمر ما وعندى بنت خال
فقلت لها أفاط اليك عني
فاني في الأمور بريد خال
.. القصيدة

ونلاحظ أن الشاعر قد استطاع أن يستر تكلفه لهذه القافية التي التزمها ،بجودة تراكيبه التي تتسم بالعفوية والتلقائية والانسياب القصصي ..

واستلهم الشيخ الهادى تورى أحمد بن ونان الشاعر المغربي المشهور بأبي الشمقمق في مدحته للسلطان محمد العلوى والتي يقول فيها :

مهلا على رسلك حادى الأينق
ولا تكلفها بما لم تطق
فطالما كلفتها وسقتها
سوق فتى من حالها لم يشفق
.. والله لو حلت ديار قومها
واحتجبت عني بباب مغلق
لزرتها والليل جون حالك
وجفنها لم يكتحل بأرق (١)

---

(١) النبوغ المغربي في الأدب العربي جـ٣ ص ١٧٨ عبد الله كنون دار الكتب للملايين .

فضرب شاعرنا على أوتاره قائلا :

لمعان برق الليل نحو المشـــــرق
أبدى هوى قلبي بنور مشـــرق

وأثار لي خفقان قلب دائـــم الـ
أفكار في بحر الخيا ل مغـــرق

آه على أطلال دار أحبــــــة
لي البرق خيلها كرو' يا المخفـــق

.. لونال ذو سقم بغيها قبلـــة
كان الشفاء له بدون ترنـــــــق

فلرب ليل شـــل ابهام القطـــا
بتنـاه فوق سريرها في عيهـــــق ..

وقصيدة شاعرنا طويلة جدا سنوردها كاملة عندما نترجم له في الفصول القادمة .. على أنه قد سار فيها على منوال أبي الشمقمق المغربي في قصيدته السلطانية من حيث بدأ بالتشبيب فذكر مغامراته الغرامية ثم اختتم بالزهد والتوبة ..

وبعد . فقد رأينا كيف أن شعراء العربية في غربي أفريقيـــا قد صدروا في شعرهم عن أصالة تمتد جذورها الى العصر الجاهلي حيث انهم قد استلهموا الشعر الجاهلي في معجمه اللفظي وقالبه الفني .. فاستلهموا امرأ القيس والنابغة الذبياني وعمرو بن كلثوم وزهير بن أبـي سلمى وعنترة العبسي وطرفة بن العبد وغيرهم .. ولم يغفلوا عن شعراء الخضرمة ،فقد تأثروا بحسان بن ثابت ، وترنموا بأنغام الخنساء الحزينة ، كما ضربوا على أوتار كعب بن زهير ..

ولم يفتهم التغني بألحان الاسلاميين ،فراحوا ينسجون على منوال كعب بن مالك وعلي بن أبي طالب وصفية بنت عبد المطلب وغيرهم..

كما استوعبوا الألحان الجديدة التي تميز بها المحدثون ، فغدوا يضربون على قيثارة أبي نواس والمتنبي .. كما رددوا أصداء من شعراء الدول المتتابعة والعصور المتأخرة ،فظهرت في أشعارهم ملامح من شعر أبي الحسن التهامي .. ونسجوا على منوال بديعيات ابن الفارض، وضربوا على أوتار البوصيري ،كما أرخوا لأشعارهم وشغفوا بالمحسنات اللفظية وتلاعبوا بمصطلحات العلوم الى غير ذلك من أمور و تقاليد فنية سنتبينها أكثر في الفصول التالية .. على أنهم لم يتمثلوا تلك الأصداء الفنية لضعف أولمجرد حب التقليد فحسب ، وانما كان ذلك شعورا منهم بأن عليهم أن يتمثلوا الشعر العربي كله بكل ألحانه وأنغامه وقوالبه حتى يؤكدوا في فنهم الشعرى عملية الانتماء العربي الاسلامي تأكيدا قويا لا يلحقه مراء ، وقد حصل ذلك في الشعر العربي في الأندلس والشعر العربي في المغرب حيث كان شعراء هذه البلاد يتعمدون متابعة شعراء المشرق ليؤكدوا انتماءاتهم العربية وذلك لبعد مواطنهم عن جزيرة العرب . موطن الشعر ومعدن أصوله ..

وتجدر الملاحظة أنه بناء على ما وقع تحت أيدينا من أشعار نستطيع أن نقرر أن تأثر القوم بالجاهليين أقوى وأوضح من تأثرهم بغيرهم ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى تشابه البيئتين وطبيعة الحياة فيهما .. كما نلاحظ عدم تأثرهم بشعراء العصر الأموى وشعراء النهضة في العصر الحديث .

الفصل الثالث .

فنون الشعر العربي في غربي افريقيا .

يمكن القول ان فنون الشعر العربي في غربي أفريقيا تدخل تحت مفهوم جنسين من أجناس الشعر ، وهما الشعر الغنائي والشعر التعليمي .

أما الجنس الأول وهو الشعر الغنائي فقد أكثر القوم فيه اكثارا شديدا ، فمن مديح الى رثاء الى فخر الى وصف الى غزل الى حماسة الى شكوى الى حنين الى مدائح نبوية ..

طرق شعراء العربية في غربي أفريقيا فن المديح ضمن أغراضهم الشعرية ، وكان عندهم على مذهب زهير بن أبي سلمى الذى قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "كان لا يعاظل بين الكلام .. ولا يمدح الرجل الا بما فيه ".(1) .. أى أنهم مدحوا لأن ممدوحيهم يستحقون المدح ولم يمدحوا ليملأوا جرابهم بالذهب والفضة - صنيع شعراء المديح التكسبي - وانما كان ذلك صدى لوجدان الانسان في أعماقهم ..

و مجمل القول أن المديح عندهم حب للمثالية المجردة و تعشق للقيم الطاهرة ..

وكان أغلب الممدوحين من العلماء وقادة الفكر ورجال الدعوة الذين كانت لهم أياد بيضاء على الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية

---

(1) طبقات فحول الشعراء ص ٥٢ لمحمد بن سلام الجمحي : تحقيق محمود محمد شاكر ط / دار المعارف .

والسياسية في المجتمعات الاسلامية بربوع المنطقة .. أضف الى ذلك أن الشعراء المادحين أنفسهم كانوا من نفس طبقات الممدوحين ، ومن هنا قل المديح التكسبي في شعرهم ، اذ أن الشعراء المحليين الذين يشعرون باللهجات القومية قد كفوهم مؤنة التكسب بالمدح ..

هذا ولم تختلف القيم والمثل العليا التي مدح بها شعراء العربية بهذه البلاد عن المثل والقيم التي مدح بها شعراء العربية في المشرق والمغرب ، كالعدل والوفاء والشجاعة والجود والكرم والاباء وحماية الجار وما الى ذلك من القيم التي كان يتغنى بها الشعراء في ممدوحيهم ..

أما منهج القصيدة فقد ساروا على نهج القصيدة العربية من حيث البدء بالنسيب والوقوف على الأطلال ووصف الرحلة أوما شاكل ذلك من الأمور التي أكد عليها النقاد القدامى كابن قتيبة الدينورى وابن رشيق القيرواني في كتابيهما ..(١)

وها هو ذا الشيخ أحمدعيان سه يمدح الحاج سعيد النور تال سبط المجاهد المشهور الشيخ عمر الفوتى فيقول :

أمن تذكر من في البان والبان
أم من تذكر غزلان بغزلان
تأتي الى طلل تبكى لساكنه
وحي عنى تحايا الخير أوطاني

---

(١) الشعر والشعراء ص ٢٧ ابن قتيبة الدينورى طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) العمدة جـ ١ ص ٢٢٥ ابن رشيق القيرواني ط/ دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء.

أرقت ليلي وليلي لا يــــــزال اذا
غنى الحمام على غصن فأشجـــاني
دعنك سلمى وسلمى لا تجودلنا
بالوصل الا بطيف عند وسنـــان
ماهبفي "سانلوى" (١) المحروس ريح صبا
الا على الخد أبكاني فأبكانـــي
يلوح قوس ومثلي لا ينوح على
تلك التصاوير الا بعد أزمـــان
قلبي أسير بربع الراحلين فلـــم
يجد سوى الجأث أوآثار حد ثـان
يا حسرتي من خطوب لا تزال على
دهرى وتسهرني بالدمع عينـــان
لا والذى قد أنار الكون طلعتـــه
فرد الجلالة سيف اللـــه ألهانـــي

وبعد هذه المقدمة يبدأ الشاعر في مدح ممدوحه بالعلم والتنوير والارشاد والجهاد في سبيل الله وكثرة التأليف وأنه النبراس الذى أنار الله به "السنغال" ، ثم يصفه بأنه سيد صنديد يلوذ به الخائـــف والمحتاج فهو بذل جواد كريم وهو علامة الدهر في علمه ، فيقول :

أعنى الامام سعيد النور من كشفت
به الجهالـة عن أهلي وأوطانـــي

----

(١) مدينة

له تأليف غرليس يشبهها
شيء ويزدان منها كل مزدان
نور أناربه الرحمن جلتنا
في سنغال بتعليم واتقان
لله ما كتبته لي أنامله
تفوق عن عقد ياقوت ومرجان
قد غاب مذ غاب عنا العلم أجمعه
وليس يرجع الا عند اتيان
.. هو الملاذ هو الصنديد سيدنا
علامة الدهر في بذل واحسان

وواضح أن الصفات التي خلعها الشاعر على الممدوح قديمة سبق اليها القدماء، ورغم ذلك فانه كان مجيدا في ديباجته صادقا في تجربته يدل على ذلك هذا الانسياب والتدفق في أبيات القصيدة ..

ونتجاوز هذا الشاعر السنغالي الى الشاعر النيجيرى محمد البخارى ابن الشيخ عثمان بن فودى في مدحه الشيخ محمد الجيلاني الأمير القائد ، فنجده يبدأ قصيدته بالنسيب فيقول :

فجعتك أم الفضل بالهجران
فبقيت بين الناس كالسكران
وكأن في قلبي وجوفي جمرة
مذ بعدتني من جناها الداني
قامت تراءى في القصور بفاحم
رجل ومقلة شادن ظمآن

وجيد مغزلة وساق خدلة
وترائب كالدر والمرجان

وبعد هذا التشبيب الذى وصف فيه الشاعر محبوبته بصفات حسية استهلكت من قبل الشعراء القدامى ، يبدأ في غرضه الأساسي وهو المدح فيمدح الممدوح بالشجاعة وشدة البأس في الهجاء وحلاوة الشمائل ولين الجانب للصديق ومرارة المذاق للعدو ، فالجود وكثرة الكرم والاحسان والعدل وأنه امتلك البلاد بحد سيفه البتار وخصاله الحميدة ..

وتلك صفات في المدح مطروقة ،اذ كانت من قبل القيم الاجتماعية التي كان الشعراء القدامى يحرصون على خلعها على ممدوحيهم لأنها تثير أريحيتهم ،وجاء الاسلام فأقرها وحض الناس على التحلي بها على ضوء تعليماته .. ولنستمع الآن الى ألحان الشاعر :

دع ذا وعد القول في رغم العدى
حامي الزمار مجدل الشجعان
حلو الشمائل لين لخليه
مر مذاقته لذى الأضغان
بطل أخي ثقة يجود بنفسه
يوم الهياج وملتقى الأقران
ما في القبائل كلها في الجود وال
هيجاء مثل محمد الجيلاني
ملك القبائل والأمور بسيفه
وسخائه والعدل والاحسان
واذا نزلت به غريبا عافيا
أصبحت رب حرافد وحصان (١)

---

(١) الحرافد : كرام الابل .

وهناك شاعر نيجيرى آخر هو الوزير الجنيد ، قد سار على نهج القصيدة العربية في مدحه للأمير حسن بن المعاذ ناظر الى بائية النابغة الذبياني في عمرو بن الأصفر ، فبدأ الشاعر بشكوى طول الليل ومرارة التسهيد وقد سبق أن أشرنا الى هذه المقدمة واستلهامه النابغة الذبياني فيها (١).

وبعد هذه المقدمة التقليدية أحسن التخلص الى غرضه حيث يقول :

على أن بدا وجه الصباح كأنه
محيا أمير ذى الأيادى الهوامع
أميرله في كل فعل محامد
وأخلاقه فاقت عسولا لراضع
سخي يحاكيه السحاب وخيره
عميم لجمع الناس دان وشاسع
حيي حليم ليس فيه نخوة
عطوف أمين القلب ليس بخادع

فهو في هذه الأبيات يصف الممدوح بالجود والكرم ودماثة الأخلاق وان السحاب تحاكيه في العطاء والغزارة ، وهو في هذا الجود وذاك الكرم لا يميز بين العافين .. وهذه المعاني كلها قديمة قدم الشعر العربي أما الشمولية التي يتصف بها سخاء الممدوح فصفة قديمة سبق الشاعر اليها النابغة في قوله :

---

(١) يراجع في ذلك الفصل الثاني ، ص :

فتلك تبلغني النعمان ان لـــه
فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد (١)

كما وصف ممدوحه بالحياء والحلم والعطف وحفظ الأسرار مع عدم الخيانة وتلك قيم عليا حرص عليها الاسلام كل الحرص لأنها مـــن صميم مقاصده السامية فالحياء شعبة من شعب الايمان والحلم سيد الأخلاق والعطف ديدن المسلمين في التعامل فيما بينهم والوفاء والأمانة مـــن الصفات الثلاث التي تميز المسلم من المنافق .. وشاعرنا قد خلع كـــل هذه الصفات الاسلامية على ممدوحه مضيفا اليها العدل والحزم اللذين بهما استطاع الممدوح أن يشيع الأمن والطمأنينة في البلاد حتى ان الشياه قد أمنت على نفسها من فتك الذئاب ، ولنستمع الى قيثارتـــه في ذلك ..

أيا حسن السامي الحسين فعاله
ويا سيدى السجير يا خير طائـــع (٢)
لقد فرحت هذى البلاد جميعهـا
بأخذكها يا خير راع ودافـــع
وزادت حلاها واطمئنت كأنهـــا
عروس الى كفوء تزف وشافـــع
وأمنتها من كل ظلم يشينهـــا
بعدلك حتى فر ذئب البلا قـــع

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١٢ .
(٢) السجير : الصديق وجمعه سجراء .

وفي الختام يدعو للممدوح بدعوات صالحات/ ثم يختم القصيدة بالصلاة والسلام على خير البرية محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ..

ورغم كون معاني شاعرنا مطروقة الا أنها جاءت موافقة لما يستحسنه الممدوح ويرتاح له..

وها هو ذا ذو النون السنغالي يمدح الشيخ الخديم أحمد بمبه ، فيبدأ قصيدته بالوقوف على الأطلال ويرسم لنا لوحة فنية للأطلال ليؤكد قدرته على مجاراة الشعراء القدامى في المدح ثم يعرض عنها بعد أن أجاد وصفها وصفا استوفى فيه كثيرا من عناصرها القديمة من نحو ذكره لما بدل معالمها من رياح عواصف وأمطار غزيرة ، وما حل بها بعد رحيل أهلها من قطعان البقر الوحشي والغزلان وأسراب النعام الى غير ذلك .. ولنستمع اليه :

مغنى سعاد عفته هوج العثير (١)
وسقته واكفة الغمام الممطر
والعين ترفل في مراقد حورها
ترنو الرياض بكل طرف أصور
وترى مهاها البيض ترعى روضة
مطلولة نمصت ببطن محسر (٢)
أطفالها يمرحن في أطلالها
فكأنها في الشعب شعب العرعر

---

(١) العثير : العجاج الساطع ، وهوج العثير أى الرياح المتربة.
(٢) نمصت : أى رعتها الماشية فجردتها ثم نبتت .

أوعالها تستن في أوعارهـــــا
ترعى خزاماها وغض الأزهـــر (١)

وترى قلائص في تياثر آلهـــا
فكأنهن سفائن في أبحـــر (٢)

غزلانها تقفو مدى ظلمانهـــا
ان راعها صبحا زئير غضنفـــر

فالشوق لو زار الخلي أقلـــه
نالته منه كسرة لم تجبـــر

وبعد هذه المقدمة التقليدية يبدأ في مدح الشيخ فيقول :

أعرض فؤادى الهيض عن طلل عفا
لم يبق فيه سوى المها والجوءذر (٣)

وذر الربوع ومن بها قد حل من
غيد عليها كل ثوب أخضـــر

مهما شدا شاد أطن قدودها
كغصون بان غب ريح صرصـــر (٤)

.. فالحمد منى يستهل غيومـــه
من يومنا هذا ليوم المحشـــر

---

(١) أوعال جمع وعل وهو تيس الجبل تستن : أى تجىء دفعة دفعة، أوعار : جمع وعر .
(٢) تياثر جمع تيار وآلها أى سرابها .
(٣) الهيض : اللين المنكسر ، الجوءذر : ولد البقر الوحشي .
(٤) غب ريح صرصر : أىعقب ريح صرصر .

أهل الهوى شرق البلاد وغربها
اني أناديكم بصوت جهوري
كونوا معي في مدح هذا المرتضى
شمس الفضائل ذى المقام الأكبر
وله مآثر كالجواهر حسنها
تنسى مآثر تبع أو حمير
ان شئت ذكره وأنت غيره
شتان بين مؤنث ومذكر
تلقى الورى ان جئت ساحة داره
والقوم بين مهلل ومكبر
فالمادحون على جلالة قدرهم
لم يدركوا مضمار هذا الأشهر
طولت في مدحي وهم قد قصروا
شتان بين مطول ومقصر
.. فيمينه قد عممت في الجود حـ
تى لم يميز بحرا من جعفر
أما تيم عند هذا الشيخ لم
يقهر وسائل جوده لم ينهر
محنى غدت منحا اذا عاينته
أحبب به من عارف متبحر
ما مثله كسرى علا ومهابة
بل دون ماواه جلالة قيصر (١)

---

(١) كسرى : عظيم الفرس ، وقيصر : عظيم الروم .

فبنات نعش دون شسع نعالـــه

بل دون رتبته السهى والمشتـــرى

بل لم يبج حبر بأدنى فضلـــه

ان راح يزبر رقه من محبـــر

في الأبيات السابقة يمدح الشاعر هذا الزعيم الروحي في السنغال بالكرم والفضل والتقوى وكثرة الذكر والتبحر في العلم وعلو الكعب والمهابة اللذين دونهما علو ومهابة كسرى وجلال دونه جلالة قيصر ، وهو يمنح معتفيـــه عطاء ، ولا ينهر سائله واليتيم عنده غير مقهور .. وهـــذه الصفات التي خلعها الشاعر على الممدوح بعضها مطروقة مكرورة كالجود وعلو الشأن والمهابة والجلال ، وبعضها الآخر مستقاة مما تشبع به من مبادئ الاسلام السامية وقيمه النبيلة من أمثال التقوى وكثرة الأذكـــار والتبحر في العلم وعدم نهر السائل وقهر اليتيم ،فأبياته في هذه المعاني تعبق بعبير الدين متأثرا بالايتين الكريمتين من آيات " الضحى " كقوله تعالى :

﴿ فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ﴾ (١)

وفي ختام القصيدة يزهو بنفسه على طريقة المتنبي ثم يعود الى المدح فيمدح ممدوحه بغزارة العلم ومعرفة أوابد اللغة العربية وشواردها وأنه يزاحم من مضوا من كبار العلماء والمفكرين المسلمين في علومهم .. فيقول :

يا ناسجا ثوب المديح وناظمـــا

فقر الثنا فانظم لقولي وانشـــر

---

(١) سورة الضحى الآية ٩ ، ١٠ .

وأنخ قلوصك في فنائي واستفـــد
منـي وراقب سر قولي الأزهـــر
.. فتريك أقلامي بقاعا روضهـا
يفتر بين مدرهم ومدنّـــر
نظما ونثرا يعجبان لمن غـدا
يتلوهما فـي مورد أو مصـدر
ما حاك مثل ثياب مدحي حائـك
في رقة المعنى وحسن المنظـر
بل ما حكى حاك بديعا مثلـه
بل لم يمنعن في ممر الأعصـر

.. وهكذا يستمر في الزهو والخيلاء حتى يرضي نفسه ويشبعها زهوا ثم يعرج بعد ذلك على الممدوح مرة أخرى فيقول :

فلسان حال الشيخ أعلن أنـه
يهمي لهاه لعائل ولموســر (١)
فالدهر يعلم أنه هو فـــرده
وعلى حقائقه النهى لم تعثـر
وفيوضه وهيبة ولغاتــه
ما جابها القاموس ثم الجـوهري (٢)
وبمنكب ضخم يزاحم من مضـوا
وهم وخود جمعهم لم يكســر

---

(١) العائل : الفقير.

(٢) يشير هنا الى القاموس المحيط للفيروزابادي والصحاح للجوهري .

.. ويستمر الشاعر على هذه الوتيرة من المدح وذكر المآثر حتى يختم القصيدة بالصلاة والسلام على رسول الله ..

ولنعرج الآن على واحدة شقيق ذى النون وهو الشيخ ابن العربي له في مدحه الشيخ سعد أبيه حيث سار فيه على الطريقة التقليدية في المدح من حيث البدء بالتشبيب فيقول :

بعد المزار دعى الى التذكـــار
وأفاض غربي دمعي المـــدرار (١)
صبا أهاب به الشجون فاغتــدى
شبحا أرق من الخيـال السـارى
ان الأحبة صيروني في الهـوى
كرة تقلبها يد الأخطــار
والربع من بعد التنائي يزدهـي
بالياسمين الغض والعرعـار (٢)
قد كان قبل البين مغنى آهــلا
بالثيبات البيض والأبكــار
.. مغنى عهدت بها حسانا كالدمى
نجل العيون حوالك الأشعـار
كم عابد ألهاه عـــن أوراده
صوت القيان وغنة الأوكـار

---

(١) الغرب : الراوية التي يحمل عليها الماء.

(٢) العرعار أو العرعر : شجر السرو.

.. ولقد رأيت الشوق يكمن في حشا
صب كمون النار في الأحجار

.. جن الفؤاد الى سعاد وبيننا
أفلاء ذات معالم وقفار

حلف السهاد كأن في أجفانه
خرط القتاد وهزة المنشار

ان رمت أن أجنى مجاني خدها
قالت لواحظها حذار حذار

وبعد هذه المقدمة الغزلية الرائعة يبدأ الشاعر في غرضه الأساسي فيمدح الشيخ سعد أبيه بأنه غوث الورى سعد السعود ملتقى الأنوار جامع العرفان سدرة منتهى الأخيار ذكار لله بالتلاوة والأوراد والأذكار ،وهي صفات يهيم بها المتصوفة فهي منتقاة من معجمهم اللفظي .. ثم يصفه بالجود والكرم والأخلاق الحميدة فيقول :

ان لم أنل منها الوصال لعلة
دقت مداركها عن الأبصار

أعرضت عنها ثم عن جاراتها
من كل ذات خلاخل وسوار

متوسلا بامامنا غوث الورى
سعد السعود وملتقى الأنوار

الشيخ سعد أبيه جمع جوامع الـ
ـعرفان سدرة منتهى الأخيار

---

(١) خرط القتاد : قشر شجر له شوك كالابر وفي المثل : دونه خرط القتاد .

حضراته محفوفة بتـــــلاوة الـ
القـرآن والأوراد والأذكـــار
سهـل خلائقـه وتحت ثيابـــــه
جـود يحي سوابك الأمطـــار

وعلى هذا المنوال جرى شاعرنا في مطولته الرائعـة .

ويلاحظ أن الشاعر قد اتكأ في بعض الصفات التي خلعهـا على الممدوح على الشعر القديم كوصفه له بالجود والكرم ودماثة الأخلاق .. ثم أضاف اليه صفات أخرى تفوح بنكهة التصوف السلوكي ،كتعميـره مجلسه بتلاوة القرآن وأوراد الصوفية ووصفه له بأنه غوث الورى وسدرة منتهى الأخيار وملتقى الأنوار وصاحب الحقيقة والشريعة وشيخ الشيوخ الى غير ذلك من صفات تثير أريحيـة الزاهد وتهز لها نفسه..

وبعد ،فان المديح عند شعراء العربية في غربي أفريقيا كـان منبعثا عن فكرة الاعجاب وحب الفضائل والاشادة بالخصال والسجايا الحميدة، فهو اذن مديح مثالي مجرد عن أى غاية الا غاية التغني بالجمال المثالي الخلقي ،فلم يكن ،كما قلنا من قبل ، لرفد الممدوح أونيل عطاياه ،كيف يكون ذلك والشعراء المادحون أنفسهم كانوا من نفس طبقات الممدوحين أى أنهم من طبقات العلماء والمفكرين ورجال السياسة .. ولذا كان المديح عندهم حبـا للمثالية المجردة وتعشق للقيم الطاهرة والتغني بالأخلاق المحمودة..

وقد عبر هذا المديح عن مضامين وقيم يمكن أن نلخصها فـي الآتي :

أ ـ قيمة الكرم والجود .

ب ـ قيمة القوة والشجاعة .

جـ - قيمة العفة والعدل والمساواة.

د - قيمة حسن الشيم والأخلاق والوفاء وشرف المحتد .

هـ - قيمة العطف والسماحة.

وهذه القيم المذكورة هي نفس القيم التي تغنى بها الشعراء القدامى منذ العصر الجاهلي مما جعل الناس جميعا يودون أن يتمدحوا بها .. غير ان شعراء العربية بغربي أفريقيا قد أضافوا أو أكدوا على قيم ومضامين جديدة أضفت على مديحهم الطابع الديني مما جعل صدى الدين ملازما لشعرهم في جميع أغراضه كما كانت الطبيعة ملازمة للشعر العربي الأندلسي في جميع أغراضه .. ومن هذه القيم والمضامين الجديدة :

أ - قيمة العلم والتعليم.

ب - قيمة التقوى والزهد .

جـ - قيمة تعمير المجالس بالذكر وتلاوة القرآن.

د - قيمة الجهاد لنشر الدعوة الاسلامية والذود عن حمى الدين.

ونسجل هنا بعض الأمثلة على هذه القيم الجديدة ..

فعن قيمة العلم والتعليم وما يتبعهما يقول أحمد عيان سه :

أعني الامام سعيد النور من كشفت
به الجهالة عن قومي وأوطاني

له تواليف غرّليس يشبهها
شيء ويزدان منها كل مزدان

وعن التدين ونشر الدعوة بالجهاد يقول محمد البخارى :

اني لأخشى أن يحل بداركم
من بغض هذا العالم الرباني

وعن التمدح بالتقوى والزهد والورع يقول أحمد عيان سه :

عناية الله في الروحان قد سبقت

مقرونة بالتقى في السر والعلن

فاعجب لهمة شيخ وهي عالية

بالليل تمنعه من لذة الوسن

لم تلهه بهجة الدنيا وزينتها

ولا التفاخر بالأتباع والبدن

ومن الجدير بالملاحظة الاشارة بأنهم قد وظفوا ثقافاتهم الواسعة في الغريب والمنطق وبعض العلوم الاسلامية في أشعارهم وجمعوا في ذلك بين سهولة النظم ووعورة الألفاظ ، وستظهر هذه الظاهرة بصفة أوضح عندما نتناول تراجم الشعراء وذكر نماذج من أشعارهم ..

أما الرثاء فيعد من أكثر الأغراض الشعرية تناولا عند شعراء العربية في غربي أفريقيا .. فما أن يتوفى عالم من العلماء أو قائد من قادة المسلمين حتى يهرع الشعراء الى رثائه بقصائد حزينة بكاء على موت هذا الركن من أركان المجتمع الاسلامي في المنطقة ..

أما أنواع الرثاء التي تناولوها فهي رثاء العلماء والملوك والوزراء والآباء والاخوان والأصدقاء والأزواج ورثاء المدن .. غير أن أكثر الأنواع تناولا لديهم هو رثاء العلماء والأصدقاء ..

وتناولوا من حيث مضمون الرثاء كلا من الندب والتأبين والعزاء ، ويعد الرثاء بحق من أصدق التجارب الشعرية لمساسه جانبا مهما وخطيرا من حياة هذا الانسان الضعيف ، وهو الموت الذى يعتبر نهايته

من هذه البسيطة ليلحق بحياة أخرى أبدية هو فيها بين أمرين ، اما سعادة أبدية واما شقاء مقيم..

وهاهو ذا الشاعر السنغالي أحمد عيان سه يرثى الشيخ زين الحامدين الشهير بحامدكن فيقول :

أيا مدير كؤوس الشاى لا تــدر
فقد سقيت بكأس جالب الكــدر
لما نعى حامدا الناعي سهرت لـه
ولوم من لام لا يشفى من السهـر
فليبك حامد منا كل ذى رحـم
فانني عن بكاه عز مصطبـرى
وليبكه العلم والتعليم مجتهـدا
ولتبكه كتب التفسير والأثــر
وليبكه النحو والفقه الصحيح كما
يبكي عليه بيان جاء في الزبــر
ياأهل " فوت "(١) نعى الناعون سيدنا
فلتصبروا فعظيم الأجر للصبــر
ليس البكاء بمجد فيه خردلــة
والصبر أجمل للمقدور والقــدر
لو كان يفدى فديناه بأنفسنــا
والموت لم تنج منه شدة الحذر
قد كان في خدمة الأشياخ مجتهدا
بنفسه ومال غير مدخــر

---

(١) منطقة

فاذهب عليك من الرحمن رحمتــــه
مشيعا بين جـنات علـى سـرر
ان كنت سافرت محمودا الى أجــل
فنحـن بعدك في الدنيا على سفـر
لبيك نحن على ما كنت تعهـــده
من المودة ما ستحسن السهـر
يكفيك من ولد ما كنت تعملـه
من صالح العمل الباقي على الأثـر
سقى ضريحك غيث بارد شبـم
من رحمة الله يهمي مدة العصر

فالشاعر قد أظهر حزنه وتفجعه لما نعى اليه المرثى ، هذا الشيخ المصلح الديني، وبين أن مصابه جلل ولذا يعز عليه الاصطبار .

ثم ذكر صفات الميت الحسنة فهو عالم فقيه ناشر للعلم في ربوع البلاد ولذا يطلب الراثي من كتب التفسير والحديث والفقه والبيان والنحو أن تبكي على فقيدها وهو هذا الشيخ الجليل ،ثم يطلب من قوم المرثى أن يستعينوا بالصبر على مصابهم الفاجع ففي ذلك سلوان لهم وأجـر عظيم، اذ أن البكاء لا يجدى فيه لأنه لا يعيده الى الحياة ، وأن الصبر والرضى بقضاء الله وقدره هو الأجدى والأنفع . ثم يعزى نفسه بأن الموت حق ولا يتخذ له تقية من حذر ، ثم يعود الى ذكر محاسن الميت فهو خادم للعلم ورجالاته بنفسه وماله ،ثم يدعو له بأن يسكنـه الله فسيح جناته يتبوأ منها حيث يشاء ،لأنه في الدنيا كان محمود السيرة ملتزما لنهج الشريعة الى أن وافته منيته ،وهم بعده سائرون على الدرب

ولاحقون به ان شاء الله .. ويبدو أن المرثي لم يرزق بولد ولذا يطمئنه الشاعر بأن حسبه من ولد عمله الصالح الباقي الأثر ، وكأني به يشير الى الحديث المشهور : " اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاثة ، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ". (١)

وأخيرا يدعو له بسقيا رحمة دائمة من الله على قبره ..

وللوزير الجنيد ألحان حزينة يرثي بها شيخه أبا بكر الملقب بـ " بوبي " فيقول مظهرا التفجع والحسرة والأسى :

أثار هموم القلب بعد هدوئها
مصائب كادت أن تحل عرى الصبر
نعم هد ركن الدين اذ عظم البلا
وضاقت صدور الخلق من شدة الذعر
وطارت عقول عن صدور كأنها
طيور أطارتها الصقور عن الوكر
وسالت دموع عن عيون كأنها
على النحر ميزاب يصب على النهر
وذابت قلوب من لظى الهم والأسى
كما ذاب من جمر اللظى قطعة التبر
وأظلمت الآفاق واشتد خوفنا
وضاقت علينا الأرض في البر والبحر

---

(١)

وعز اصطبار واستمرت وســـــاوس

ولمس يفيد الصبر والقلب في الجمر

ولا بد أن تعشو العيون تحيـسرا

لقد غربت شمس الفضائل بالسحر

وبعد هذا التفجع والحزن الشديد اللذين شارك الشاعر فيهما كل الوجود من حوله ، يطلب الشاعر من عينه أن تجود بالدموع الهواطل ناثحة على شيخ الشيوخ أبي بكر بحر العلوم وشمسها وخدن التقى والحلم والجود والخير وعنوان الوقار والمصباح الوهاج في انارة دجى الجهل بالوعظ والارشاد ، والكوكب الساطع في العلم والتعليم ، فلتتح العين عليه كما ناحت الورقاء تدعو هديلها وكما ناحت أم عمرو على عمرو ... وفي الختام يصف غدارة الدنيا فهي دنيا غرور كثيرة المصائب لا يؤمن جانبها ومن أعظم بلائها ومصائبها فقد هذا السيد الكريم السخي ، ثم يعلن رضاهم بقضاء الله وحكمه فهم عبيد مشيئاته فيقول :

أيا عين جودى بالدموع هواطـلا

ونوحي على شيخ الشيوخ أبي بكـر

ونوحي على بحر العلوم وشمسهـا

وخدن التقى والحلم والجـود والخير

كما ناحت الورقاء تدعو هديلهـا

على أيكة أو أم عمرو على عمـرو

مصائب دنيانا الغرور كثيـرة

وأعظمها فقد السميدع ذى البر

رضينا بحكم الله فينا لأننـا

عبيد مشيئات نسير مع القـدر

وقد وصف الشاعر المرثي بصفات منها الجود والحلم والوقار والكرم وهي صفات شائعة ذائعة في الرثاء ،غير أنه أضاف اليها صفات أخرى تعبق بنفحات الدين من نحو وصفه له بأنه خدن التقى وبحر العلوم وأنه مرشد للناس الى طريق الهداية وسبل السلام ومعلمهم دين الله ،وأخيرا نجد أثر الاسلام على الشاعر في غير هذه الصفات في رضاء بقضاء الله وقدره والانقياد التام لمشيئته تبارك وتعالى ،وكذا وصفه الدنيا بالغرور ناظرا الى قوله تعالى : * وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور *.(١)

ولأسماء بنت الشيخ عثمان بن فودى مرثية في صديقتها عائشة تقول فيها :

الى الله أشكو من صنوف البلابل
ثوت في سويداء لقلبي داخل
لفقد شيوخ قادة الدين سادة
واخواتنا أخدان خير ونائل
وذكرني موت الحبيبة من مضى
من الاخوات الصالحات العقائل
من الصالحات القانتات لربهم
من الحافظات الغيب ذات النوافل
فزادت همومي وانفرادى ووحشتي
وسكب دموع فوق خدى هواطل

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٠.

لفقدي لعائشة الكريمة بالهـــا
من امرأة حازت صنوف الفضائل
من الذكر والصدقات ثم تــــلاوة
وذب لمظلوم وحمل المثاقـــل
كفيلة أيتام غياث أرامـــــــل
وعمدة حي بالحبا والتواصـــل (١)
توحشت من فقدي لها وهي صفوتي
وموضع سري من عصور أوائـــل

فالأوصاف التي خلعتها الأسماء على عائشة هي الصلاح والتقـوى والقنوت لله وحفظ زوجها في الغيب وكثرة النوافل وأنها حازت الفضائل بكثرة الذكر والصدقة وتلاوة القرآن والدفاع عن المظلوم وحمل الأثقال وكفالة اليتيم واغاثة الأرامل مع كثرة العطاء للمحاويج في الحي ...
وواضح في هذه المرثية الاتجاه الديني لدى الشاعرة ممثلا في الصفات الحميدة التي خلعتها على المرثاة، وان كان بعض هذه الصفات قـد تناولها الشعراء القدامى من قبل، كالكرم والدفاع عن المظلوم وحمل الأثقال..

وهذا الاتجاه الديني لدى الشاعرة يتجلى أكثر في مرثية أخرى لها في ذات الصديقة والتي تقول في مطلعها :

أعيناي جودا وابكيا لي حبيبتـــي
وسلوة أحزاني وأنسا لوحشـتـــي

---

(١) الحبا : السحاب المتراكم القريب من الأرض والمقصود هنا العطاء الكثير .

وفيها تقول بعد أن أذرفت الدموع وأظهرت التفجع :

وإني لحكم الله راض وإنمـــــــا
أراعي بما قد قلت حق الأخـوة

ولا إثم حقا في الرثاء وقد رثـــى
النبي أبو سفيان يوم الوقيعـــــة

فهي بعد الحزن تلجأ الى الله راضية بقضائه في صديقتها ،وأن هذه الدموع وهذا البكاء في الرثاء لا يأثم المرء به ، فقد رثى أبو سفيان النبي عليه الصلاة والسلام يوم انتقل الى الرفيق الأعلـــى صلوات الله وســـلامـــه عليـــــه .. ثم بينت ممنوع الندب علـى الميت بقولها :

وأبكي عليهـا بالدموع ترحمـــا
وشوقا وتحنانـا لصدق المـودة

ولم ينه عن هذا النبـي وإنمـــا
نهى عن صراخـات بآه وآهــــة

ولأخيها محمد البخارى مرثية في زوجته يقول فيها :

يا أخت أحمد ان رزءك هاج لي دمعا بـدم
ونفى الرقاد فمذ نعيت الي طرفي لم ينــم
نعم الفتـاة حبيت مع حسن التبعـل والكـــرم
خلقا جميـلا ذا تمام زانه حســن الشيـــم
غادرتني متحيــرا مستوحشا بيـن الأمـــم

وهـواك مالي حاجـة لسـواك يا بنت الخضـم
بل مذ فقدتـك لا أرى النسوان الا كالغنـم
تالله تفتـأ مقلتي عبرى وقلبي ذا ألـم
لكن رضيت بحكم جبار الخلائـق ذى القدم
فسقاك رب العرش من رحماه غيثا ذا شبم

فشاعرنا قد بلغ به الحزن مبلغه فأظهر الأسى والتفجع حيث ظل يقاسي مرارة التسهيد فهو دوما يذرف الدموع قد حيره مصابه الأليم في أعز الناس وأقربهم اليه ،وهي زوجته التي يسكن اليها .

واذا نظرنا الى الصفات التي يرثي بها الشاعر زوجته نجد أنها هي :

حسن المعاشرة الزوجية والكرم والاخلاق الحميدة والشيم الكريمة مما جعله لا يجد وطرا في النّساء بعدها فهو يتخيلهن كالأغنام وبالتالي لا يجد له بهن حاجة .. وأخيرا يلجأ الى الله الذى لا منجى ولا ملجأ الا اليه بعد أن أظهر التفجع ولوعة الأسى ليسجل رضاه بحكم المحيي المميت الذى لا معقب لحكمه فهو جبار لا يسأل عما يفعل ... ثم يدعو لها بسقيا رحمة من الله رب العرش العظيم .. وهذا من قبيل الاتجاه الديني الذى يلازم الشعر العربي في هذه البلاد ولا ينفك عنه في جميع أغراضه ..

ويرثي الشيخ عمر ابراهيم استاذه ماجي اسحاق فيقول :

عراني من الهم ما قد كفاني
لموت الأديب فريد الزمان

امام تفرد في كل فـــــن
فصار كشمس الضحى في العيان
ففي الفقه فرد كذا في الحديث
وفي النحو والصرف أو في المعاني
اذا قيل من فاق للدرس شرحـــا
أشارت أكف له ببنـــان
اذا العلم أشكل أبوابــه
له عند حل العقود يــدان

وهكذا استمر الشاعر يعدد أفضاله العلمية وتفوقه على الأقران الى أن يقول :

ففي العلم بحر وفي الجود بحـر
هناك اذن التقى البحـــران
لقد كان كالنيل في مصرنـــا
وفاض فأكثر في الفيضـــان
فأحيى القلوب التي يبســت
بماء تقطر في نيســـان
أاسحاق علم أاسحاق فضـل
أاسحـاق جود فداك جناني

فالشاعر هنا يرثى أستاذه فيذكر تفوقه في العلوم الاسلامية وبراعته في الشرح والتدريس وحل المعضلات العلمية ، فهو في العلم بحر وفي الجود خضم وهو فريد نسجه وفلتة زمانه ،وهو في شهرته العلمية كالشمس في رابعة النهار وهو يفيض من غزارة علمه

كفيضان النيل ، وهو يحيى القلوب اليابسة والعقول المتحجرة القاسية التي لا تخاف ربها بعلمه وارشاده .

وللأستاذ اسماعيل بن محمد مرثية في شيخه الحاج شعيب ابن الأمير محمد نسج فيها على منوال التهامي في رائيته المشهورة التي يقول في مطلعها :

حكم المنية في البرية جار
ما هذه الدنيا بدار قرار

فيقول اسماعيل واصفا حال الدنيا الغدارة :

الله أكبر ذى الدنيا لفناء
خلقت وما خلقت أخي لبقاء
دار كثير حزنها وهمومها
ما أضحكت الا أتت ببكاء
كانت على كدر ونحن نرومها
تبقى لنا بمسرة وصفاء
ترمى نبال خصومها لفراقه
يا صاح في نحرى صباح مساء

وبعد هذا الوصف للدنيا وتبدل أحوالها يبدأ الشاعر في البكاء على شيخه فيقول :

واحسرتي واحيرتي من فقده
اني أصبت بمن يداوى دائي
أبكي لموت أبي وشيخي سيدى
أكرم به من عالم معطاء

تبكي العيون لفقده فدموعهـــــا
تهمي كماء سحابة وطفـــاء
.. ما زال يحمل كلنا و يميننـــا
جازاه خالقه بخير جـــزاء
بحر العلوم نعم وبحر الجود من
في بابه العلما مع الفقــــراء
أكرم به شيخا وقورا صابـــرا
متعففا متزينا بســـــخاء
أعظم بمن يغضي ويعفو دائما
عن كل من يأتي بكل جفـــاء
طابت شمائله بخشيـــة ربـــه
وتزينت وتجملت بحيـــاء
حامي الذمار خصاله محمـــودة
لمحبة العلمـاء والشـــرفـاء
ما زال متبعـا لسنة سيـــد ال
كونين عالي همة وذكـــاء
متخشعا متواضعا متخلقـــــا
بخلائق النجبـاء والصلحـــاء
..حاز العلوم أجادها متبحـــرا
فيها باتقان وليـــس بزائــــ
فسقى الاله ضريحه ديم الرضـا
وغيوث رحمته بلا احصـــــاء ..

فالشاعر في هذه المرثية يرثي شيخه بصفات مستحسنة وأغلب هذه الصفات مصبوغة بصبغة دينية كعادة شعراء العربية في هذه المنطقة ..

والاتجاه الديني في هذه المرثية شديد الوضوح ،فالشاعر يبدأ المرثية بذم الدنيا والزجر عن الاغترار بها وأنها خادعة متلونة وأنها في النهاية فانية ، مما يجعل العاقل غير متعلق بها ..

ويظهر تأثير الدين أيضا في الصفات التي حلى بها الشاعر مرثاه فهو طيب السريرة جمع الى حسن المنظر طيب المخبر ، وهو يحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وهو بحر في العلوم والجود والكرم وقور صابر متعفف .. سمح يغضي ويعفو عن الجناة دمث الأخلاق حيي حامي الذمار جم الرماد ،محيي سنة سيد الكونين والثقلين خاشع متواضع متخلق بأخلاق الصالحين وخصال النجباء حائز للعلوم متبحر فيها ومتقن لها ،مجتنب للرياء في أعماله الخيرية .. وهذه صفات وقيم تعبق بعبير الاسلام وأريجه ..

وأخيرا يدعو للميت بسقيا من رضوان الله وغيوث من رحمته .. والدعاء بالسقيا على أضرحة الموتى تقليد قديم ولكن الشاعر صبغه بالصبغة الاسلامية حين ربطه برضا الله ورحمته .

ومن قبيل رثاء المدن والندب على أمجاد المسلمين في هذه المنطقة السودانية قصيدة الشاعر أحمد عيان سه التي سماها ب " دمعة الباكي " ذكر فيها الدول التي تنعمت بالاسلام وحضارته قديما راثيا على ما آل اليه امرها بعد دخول الأعداء المستعمرين فذكر هذه الدول وهي مالي وفوت وكجور وسيغ وجلف وكسب وبند وأنجور

وغانا وطور وتمبكتو وجرما وهوصا و قاسِن وكانو ، كما ذكر مجـــد ملوك الزنوج مثل "لتجـــور" وأولياء مجاهدين مثل الحاج عمر تـال فيقول :(١)

يا جامع الناس في عز وفي شـــرف
ومو قظ الناس من هـون ومن تلف
فقف بسنغال والسودان مشتكيـا
ما دار بينهما من خالص الصلـــف(٢)
جيلان جمّعت الأشياخ بينهمـــا
في الشرق والغرب جمع اللام والألف
اليوم فرقت الأعـداء بينهمـــا
وليس جمعهما يوما بموء تلـــف
أين الشيوخ الألى حازوا لدينهم
دنيا وما شرفا أبقوا لذى شـــرف
أين الملوك التي كانت تهابهـــم
أسد الشرى وأولوا الاحسان والظرف
أين العطايا التي كانت تجود بهـــا
وفاة عهد علوا من فوق كل وفـــى
أين الفحول الألى ما زال عندهـم
وان تمنع خافي العلم غير خفـــي

----

(١) الأدب السنغالي العربي ج١ ص١١٧ .
(٢) الصلف : قلة الخير .

أما تراها خلت من كل ذى ثقـــة
وكل حبر بعد البحر متصـــف

وبعد ذلك يبدأ في ذكر المدن الاسلامية التي لم تعد لهـا مكانتها الاسلامية السابقة لتفرق المسلمين وتنازعهم نتيجة مؤامـرات المستعمرين وكيدهم ضد الاسلام والمسلمين فيقول :

من آل فاروق أمست " فوت " مقفرة
ومن بنية بنـاة المجد والشـرف
وتلك " كجور " من " لتجور " خاليـة
جرّت عليها السوافي ذيل ملتحـف
" فسيخ " فيها لنا من قبل ذا وطـن
ولي مواطن في الأرجاء من " جلف "
و " كسب " أسلافنا حلّوا بها وكـذا
في " بند " لي سلف ناهيك من سلف
لي اخوة في قصور " انجور " منزلهـم
ولي بمدين اخوان ذوو ظـرف
ولي " بطور " جدود طالما رفعـت
راياتهم وأضاءت ظلمة السـدف (١)
ياأهل " ماسن " كونوا وفق اخوتكم
ولا تميلوا الى بغض ولا جنـف

---

(١) السدف : الليل المظلم .

قولوا لتمبكت أو للجرم ليس لكم
الا تجنب أهل الزيغ والسخف
يا أهل هوص وأهل الغان فاتفقوا
ولا يكن عنكم أمر الوفاق خفي
وان تفرقكم بالقول ألسنة
فالدين يجمعكم في البيت ذى الغرف
أو فرقتكم طريق وهي واحدة
في الأصل مرجعها للبيت ذى الشرف
فالكل صار لدين الله متبعا
ولم يمل أبدا عن دينه الحنفي
مواطن كلها في الأصل متحد
وأهلها طالما مالوا الى الترف
قد زين الله بالاسلام بهجتها
والدين قوى بها ما كان من ضعف
وكل من كان في البلدان ذا شغف
بموطن فأنا بطّور ذو شغف
فكم ظللت بها ألهو بغانية
ما شئت من حور فيها و من هيف
تمشي الهوينا فترتاح القلوب لها
مشي النزيف بكأس الخمرة الأنف
آوى الى فتية شم قياسهم
بالناس مثل قياس التبر بالخزف

وكلهم بالحيا والجور متصـــف

باللوم ما أحد منهم بمتصـــف

وكلهم من ثمار المجد مقتطـف

ولم يكن للخنا يوما بمقتطـــف

يا سنغال علوت الأرض منزلـــة

بالحاج فالحاج للعلياء كالشنف (١)

فمن مواهب مثل السحب واكفـــة

ومن قريض كمثل الدر في الصدف

من في البرية كالفاروق مجتهدا

ضاءت بأسيافه الدنيا من السدف (٢)

له محاسن في الدنيا غدت مثـلا

فيها الشفاء لداء الجهل والسنف (٣)

امن يبارى الفتى البكي (٤) في حكم

أمن يشابهه في الزهد والتحـف

ومن علوم خفيات يحررهـــــا

ما بين متفق فيه ومختلـــف

ثلاثة ضنت الدنيا برابعهـــم

طابوا كماطاب طعم الماء بالرضف (٥)

---

(١) الشنف : الذى يلبس في أعلى الأذن.

(٢) الشيخ عمر الفوتي هو المقصود بالفاروق والسدف الليل أو الظلام.

(٣) السنف

(٤) يعني به الشيخ الخديم أحمد بمبا البكر .

(٥) الرضف : حجارة يوقد عليها فيلقى في الماء اذا برد الزمان.

يشفى بريقهم من كان ذا وصب

فكونهم مرهم العاهات غير خفي

يا ليت قومهم ينضم جمعهم

حتى يروا نهضة السودان في الشرف

وأخيرا يختم القصيدة بالابتهال الى الله أن يحسن ختام المسلمين كما أحسن بدأتهم وان ينهضهم من عثرتهم وأن يمكنهم في الأرض ويرجع اليهم حقوقهم المغصوبة وحريتهم المسلوبة وان ينصرهم على أعدائهم فيقول :

يا رب أحسن ختام المسلمين كما

أحسنت بدءتهم في سابق السلف

وبالتمدن مع تمكين نهضتهم

والأمن من كل عاد مائل الطرف

أدم تراقيهم وارجع حقوقهم

وانصرهم زلفا تأتي الى زلف (١)

ولتمض حرية منهم لتطفيء ما

في القلب من لافحات الهم والأسف

ألطف بجاه رسول العالمين بنا

ونجنا رب من هون ومن تلف

ولا شك أن مراثي المدن في غربي أفريقيا متصلة النسب بمراثي المدن في المشرق الاسلامي اثر حملات التتار ومراثي المدن في الأندلس

---

(١) الزلف : التقدم .

اثر سقوطها في يد النصارى الاسبان .

وهناك مراث أخرى كثيرة لا تخرج عن النماذج التي ذكرنا في شكلها ومضمونها ، ولذا نكتفي بهذا القدر خوف التطويل على أن القارئ لمراثي شعراء غربي أفريقيا يلاحظ أنها تتسم بالسمات التالية :

١ - أن عاطفة الحزن موجودة كأصل من أصول الرثاء الذى يعد الحزن جوهره فتجد الشاعر كثيرا ما يذرف الدموع ويظهر الحزن والتفجع الشديدين لفقد الميت غير أننا نلاحظ مع ذلك عدم الخروج عن التعاليم الاسلامية في رثاء الميت بل انه رثاء اسلامي يلتزم بأوامر الله تعالى ، ويلتجئ الشاعر أخيرا الى الله ويرضى بقضائه وقدره فعبدالله ابن فودى يقول في رثاء صديقه مصطفى :

٢ - ان الرزايا فقدن أمثاله
لكن رضينا ما قضى الجبار

وتقول أسماء بنت الشيخ عثمان في رثاء صديقتها عائشة :

واني لحكم الله راض وانما
أراعي بما قد قلت حق الأخوة

ولا اثم حقا للرثاء وقد رثى
النبي أبو سفيان يوم الوقيعة

أما طريقتهم في الرثاء فهو لا يختلف كثيرا عما هو عليه لدى شعراء المراثي في الشعر العربي من حيث أنهم وصفوا المرثى بصفات مستحسنة لدى الناس في المجتمع الاسلامي والأخلاق الحميدة والخصال المحمودة كالجود والكرم والحلم والصبر والشجاعة وما الى ذلك ، ثم ان

المزايا العلمية من أهم السمات البارزة في رثائهم للعلماء بحيث اذا قرأ المرء رثاءهم لأي عالم من العلماء سهل عليه أن يفهم الفنون العلمية التي طرقها المرثي وبرع فيها ، فمثلا يقول أحمد عيان سه في رثاء حامد كن :

وليبكه العلم والتعليم مجتهـــدا
ولتبكه كتب التفسير والأثـــــر
وليبكه النحو والفقه الصحيح كما
يبكى عليه بيان جاء في الزبـــر

وأخيرا يذكرون أن هذه المزايا العلمية والصفات الحميدة قد ماتت بموت المرثي ودفنت معه في قبره فمثلا يقول الوزير الجنيد في رثاء شيخه :

ولا بد أن تعشو العيون تحيـــرا
لقد غربت شمس الفضائل بالسحر

وأخيرا نلاحظ أنهم مهدوا لقصائدهم في الرثاء غالبا بالثناء على الله وذم الدنيا في أكثر الأحيان وخير مثال على ذلك قصيدة الشاعر اسماعيل بن محمد في رثاء شيخه شعيب بن الأمير محمد التي يقول في مطلعها :

الله أكبر ذى الدنـــا لفنـــاء
خلقت وما خلقت أخي لبقـــــاء

ونجد كثيرا منهم لا يمهدون لقصائدهم في الرثاء وانمـــا يدخلون في موضوعاتهم مباشرة مثل قصيدة الوزير الجنيد السابقة وقصيدة

أحمد عيان سه وغيرهما . وسا يلاحظ أيضا في الرثاء عند هوءلاء الشعراء انهم يجمعون في قصيدة واحدة أوفي الرثاء الواحد بين الندب والتأبين والعزاء على غير ما ترتيب في ذلك ،ولاأجدني بحاجة الى التمثيل لذلك فبأدنى نظرة في رثاء القوم يتبين للقارئ مصداق ماقلت.

وأخيرا يلاحظ أن صور الرثاء كانت ممتزجة بالمدح حيث يمدحون الميت باظهاره دين الله واقامته الواجبات وتعليم المسلمين وارشادهم الى سبل السلام هذا ان كان من العلماء وان كان من غير العلماء فانهم يمدحونه بالصفات المستحسنة والخصال الحميدة ولا غرابة في ذلك فقديما قال ابن رشيق القيرواني: وليس بين الرثاء والمدح فرق ،الا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل " كان " أو " عدمنا به كيت وكيت " وما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت ".(١)

أما الغزل ،فلم يكثر شعراء العربية في غربي أفريقيا القول في هذا المجال الخصب الذى يمثل العاطفة الانسانية والمشاعر الوجدانية أصدق تمثيل .. فكثير من الشعراء قد استنكف القول في هذا الفن وقليل من أطلق العنان لعاطفته لتجود بمشاعرها الفياضة في هذا الباب ...

أما الذين تحرجوا القول في الغزل فربما كان الرادع في ذلك حرصهم على الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية كرجال الدين وصونا لأعراضهم من أن يسلقها الناس بألسنة حداد .. ومن هنا لم نجد عند هوءلاء

---

(١) العمدة جـ٢ ص ١٤٧ دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء .

ما يمت الى الغزل بصلة ،اللهم الا ما كان افتتاحا لمقدمات قصائدهم في أغراضها المختلفة جريا على عادة الشعراء القدامى في المشرق والمغرب العربيين ..وحتى هذا القليل الذى قصد به المحاكاة والتقليد فاننا نجد أكثرهم يختمه بالزجر عن تعاطيه واثبات عدم جدواه وذلك قبيل بدئه في غرضه الأساسي من القصيدة .. وكأنه بذلك يقرر مقدرته على مجاراة الشعراء القدامى في نسيجهم وان لم يشعر بشعورهم ..

أما الفريق الآخر الذى لم يجد في صدره حرجا من البوح بعاطفته الجياشة وصبابته الدافقة عن طريق الغزل،فينقسم الى صنفين :

صنف كان صادق الشعور في تجاربه الغزلية فوصف مشاعره ولواعجه وما يقاسيه من تباريح الهوى وصفا لم يخرج فيه عن المبادئ الاسلامية السامية وتعاليمه الحكيمة فلم يفحش في شعره ولم يتبذل ..

وصنف آخر تغزل ووصف محبوبته بدافع التقليد والمحاكاة ونشك في صدق تجاربه ، وان كان هو الآخر لم يخرج عن التقاليد الأخلاقية في المجتمع الاسلامي في شعره .. ونعتقد أن الشاعر السنغالي المجيد يونس ذا النون في غزلياته من هذا القبيل ،ولنستمع الى قيثارته في التغزل بفتاة من " سانلوى " المدينة التي كان يدرس فيها ، فيذكر في غزله بعض أحيائها مثل " لود " و" سندوس" و"كرجان " ، فيقول :

يا ربة الحسن يا جنة الرانــــي
فأنت انسان عيني كل انســان

انا نرى فيك أوصافا يقارنهــا
نهد وقد كرمان ومــــران

انسانة ما رأت عيني مباسمها
الا وشيطانها للحاج أنساني
فوالذى خلق الانسان من حمأ
ان ابنة الاندرى جنى وشيطاني
دموعها درة بيضاء ناصعة
وأدمعى كالعقيق الأحمر القاني
نونان في حاجب قوسان في وتر
رمتهما تحت صبح الوجه عينان
عينان فوقهما نونان تحتهما
تفاحتان على مبيض كثبان
الماء والنار في خدى وفي خلدى
لم يجتمع قبل هذا اليوم ضدان
نيسان دمعي عند البحر درته
بل صار سما بفكي كل ثعبان (١)
نفسي فداء لسمراء برهرهة
أفرغت في حبها كيسى وكيساني (٢)
له غدت أوجه الغادات ساجدة
ما بين " لود " و " سندوس وكرجان"

---

(١) نيسان : بالفتح سابع الأشهر الرومية ومن خواصه المطر الكثير .
(٢) كيسي : اكياس دراهمي ،كيساني : عقلي ،ورهرهة : حسن بصيص لون البشرة.

..ان كنت في سفر فالقلب في حضر
وذاك أوقد أشجاني فأشجاني
عرفت دهري أحوالي فنكرها
يا ضيعة بين عرفان ونكران
أوطار نفسي عن الأوطان قاصية
فشقني بعد أوطاري عن أوطاني
ذو النون يكتب ذا فورا و يسرده
وشوقه ليس يبليه الجديدان
بلغ سعاد وان شط المزار بها
بأنني في هواها جد حيران
كم رام دهري أن أسلو وهددني
بجوهري صارمي صد و هجران
صددت عنه ولم تنجح مقاصده
فبعد ذلك صافاني وواخاني
كان الهوى قبل هذا ساعدي و يدي
فما أهبت به الا ولباني
ان صادفتني خطوب من أماكنها
فلا أخاف وعين الله ترعاني

وبعد وصف صبابته وكلفه بسعاد ، تلك التي تغنى بها بعض الشعراء القدامى في غزلهم ، يتوجه ذو النون بالرجاء الى الله المؤلف لما بين القلوب أن يجمع شمله مع سعاد لينعما بالوصال في أمن ودعة وطول عمر ..

ولعل القارىء بعد هذه الأبيات يتهم حكمنا على الشاعر بزيف التجربة بالتسرع والاجحاف ولكنه سرعان ما يغير رأيه عندما يقـــرأ الأبيات الباقية من القصيدة ، ولنستمع اليها :

لعل رحمة رب العرش تجمعنـــــا
فلا شماتة نخشاها لدى الشـان
في ضمن أمن و يمن صاحبا دعـــة
وطول عمر بخلان واخـــوان
من قبل قد كانت الأشواق جملتها
أحكامها تحت تصريفي وسلطانـي
لم يلقني عاشق ينمى له مكـــن
في الشوق الا وحياني وبيّانـــي
سبقت بالشوق أهل الشوق فاستبقوا
الى حماى وجابوا كل ميـــدان
وقد أقروا بأني مفرد علـــم
فالدهر يخدمني والنصر يلقانـــي
بعد الفناء بقاء للعلم بــه
فاعجب فديتك من باق لدى فان
اني أقول لمن يبغي مكاتبتـــي
ذو النون سلطان أهل الشوق عنواني
فالشوق يخفض من قد كان ذا شرف
عدلا ويرفع هيان بن بيـــان
فكن مجدا مجيدا ان وصفـــت ولا
تقنع بباكورتي نحـــو وأوزان

الا اذا كانتا في جنب غاديـــة
تـفض زهر المعاني البيض للرانـي
فللمعاني بديع راق منظـــره
يبدى فنون بيان تحت تبيــان

أرأيت من ذا الذى تسمح له دواعي الحب ووجيب الفـــؤاد ولوعة النّوى ومقاساة تباريح الجوى أن يثني العنان الى المطالبــة بسلطة العاشقين وقصب السبق في سباق المحبين ،ذلك لعمرى لـم يجرب لواعج الحب وعذاب الفـؤاد.

هذا رأينا في ذى النون .. ويؤكد ذلك استمرارية الشاعـر على هذا النمط في جميع غزلياته من ذكر الصبابة وما جرعه البين من حزن وأسى حتى غدا عذوله يرثى لحاله ويذرف الدموع شفقة عليه ،ولا يتناول من أوصاف محبوبته الا صفاتها الحسية والتي هو فيها مسبوق وعالة على من سبقه من الشعراء فمحبوبته بدر في خدر ورشا غزال ان تثنت أرت غصن بان ،ولعل أشمل المقطوعات الغزلية التي تمثل مذهب الشاعر في هذا الفن المقطوعة التالية :

فلم ترعيني قبل حوراء ماشيـــا
غزالا بدا بدراً على الأرض ماشيـــا
فأسنانها كالعاج حسنا وكم شج
ولما رآها قال يا ليتها ليــــا
ولا تتجلى لامرىء في صلا تـــه
ولو صالح الا وأصبح ساهيـــا
هي الغادة الهيفاء كالروض بهجـــة
ويخجل ريّاها الأريج الغواليـا

فقلبي لأجل الحزن أصبح حائـــرا

ودمعي لأجل الشوق يملأ واديا

فيالك من ريانة الساق ان بـــدت

وريحانة الساقي اذا بات شاديا

لها شنب يلهي الهنود وقامـــة

تريك قضيب البان لم يك ذاويا

فديتك يا روح الجمال وذاتـــه

بنفسي وأهلي ثم مالي وماليـــا

فسلم عليها يا نسيم وقل لهـــا

الى اليوم حبل الشوق لم يك باليا

وغير خاف أن هذه الصفات الحسية الغزلية قديمة قدرددهـا الشعراء القدامى من قبل ،وأغلب الظن أن ذا النون قد اقتحم حمـى الغزل ليثبت مقدرته على النظم في معانيه،فمحبوبته نجدها تارة "سلمى" وحينا "سعاد" وهو مغرم بالتفوق في سباق العاشقين متيم بالامارة عليهم كما رأينا في الأبيات السابقة وفي اللاحقة يقول :

تقيسون بي قيسا ضلالا وبيننـــا

مراحل تثنى عزم كل قطـــاة

وأيام قيس في زماني ســاعــــة

فكم بين بحر زاخر وأضــــاة

لقد علم الأيام والحال شاهـــد

بأن جميع العاشقين عفـــاة

غدت أمراء الشوق تحت أوامـــرى

ويرجو وعيدى كلهم وعداتـــي

لقد جنحوا للسلم حين بدا لهم
تجلى جلال القهر من سطواتي

واذا تجاوزنا ذا النون وأثنينا العنان على محمد البخاري النيجيرى نجده في غزلياته سائرا على منوال القدامى في وصف المحبوبة سواء في مقدماته الغزلية لأغراض مختلفة من مدح وفخر وما الى ذلك .. أوفي قصائده التي خصصها لهذا الغرض .. وما مهد به للمدح قوله :

فجعتك أم الفضل بالهجران
فبقيت بين الناس كالسكران
وكأن في قلبي وجوفي جمرة
مذ بعدتني من جناها الداني
قامت تراءى في القصور بفاحم
رجل ومقلة شادن ظمآن
وبجيد مغزلة وساق خدلة
وترائب كالدر والمرجان

وقد سبق الحديث عن هذه الأوصاف الحسية للمرأة عندما تناولنا هذه القصيدة في المدح حيث نظرنا لهذه الأوصاف في الشعر العربي القديم.

ومن قبيل المقدمات الغزلية لهذا الشاعر الأبيات التالية :

وبيضاء عجزاء ممكورة
مبتلة كمهاة الرمال
بذلت لها مهجتي وفؤادى
وما كان لي من عيال ومال

فلا تعذلوني بما قد صنعت
فذاك قديما صنيع الرجال
سبتني بأسود مفدودن
وحف أثيث سحاح جفال
وعيني مهاة وثغر شتيت
وذى أشر مثل شوك السيال
وخد أسيل وخصر بتيل
وردف ثقيل وسوق خدال
وخلق عميم وخلق كريم
وقول رخيم وحسن الدلال
لقد قسمت بين حقف وغصن
وبين المهاة وأم الغزال
سلا القلب عن كل رعبوبة
سواها وما القلب عنها بسال
أأسلو وأنت رشوق ألوف
أنوف ونحرك مثل الهلال
وثغرك در وريقك خمر
ووجهك بدر تحيت الليالي
لك الفضل في الناس يا أم عمرو
حويت مع الحسن كل المعالي

فالشاعر يصف محبوبته العجزاء الممكورة بمهاة الرمال قد سبته بعينيها الحورائين الدعجاوين وشعرها الفاحم الأثيث وثغرها الشتيت ذى الأشر وخدها الأسيل وخصرها البتيل وردفها المكتنز

وساقها المعتدل و هكذا دواليك ..

وكل هذه الأوصاف الحسية للمرأة قد استهلكها الشعراء القدامى وان كان الشاعر قد اهتم بصفاتها المعنوية حيث أشاد بخلقها الكريم وأنها حوت بجانب الحسن كل المعالي وبعدت عن سفاسف الأمور فهي تجمع بين حسن المظهر وحسن المخبر .. ولنعرج الآن على قصائده الغزلية حيث يقول :

أخيــال آمنــة التــــــي
من دونهـــا جــوب القفـــار
قــد هجــت أحزانا لقـــلـ
ـبي المســتهام المســتطار
وســلبت عن نفسـي القــرا
ر ومطت ما بي من وقــار
وتصــارم الأجــفان منــ
ـذ نــأت ديارك عن ديــار
ما تلتقــى الاعلـــــى
دمــع علــى الخدين جــار
حييــت يا أخــت الزبــرجــد
والــزبــارج والــــدرار
ووقيــت مــن حســوب يشــ
ـنك والملمــات الكبـــار
وحياة حبـي فيـــك مـــا
للقلــب دونــك مـن قـــرار

وهو في الأبيات السابقة يصف عمل الغرام والعشق به وكيف هاج خيال محبوبته حزنه الدفين وهواه الجامح فسلبه العقل والوقار ، فهو منذ نأت عن دياره لم يذق طعم الكرى ولم تغتمض عيناه بل ظلت تذرف الدموع تولها وصبابة وشوقا اليها ،كيف لا وهي التي تشبه في الحسن والجمال الزبرجد والدرر .. ثم يدعو الله لها بالوقاية من كل ما يشينها ويدنس شرفها ويقض مضجعها .. وأخيرا يقسم لها بالحب بأن قلبه ليس له قرار بعدها .. وله في قصيدة أخرى :

هاج لعيني مع دمع دما
طيف أتى من رشإ آدما
يا أيها الطيف الذى زارني
لو كنت حقا لشفيت الظما
يا لائمي في حب رعبوبة
كلؤلؤ الغواص أو كالدما
لطيفة الكشحين مكورة
ترمي الورى عن لحظها أسهما
أقصر فما أنصفت حقا وما
نلت من الرشد نصيباً وما
ما نظرت عيني الى مثلها
حسنا واحسانا ورب السما
قامت تريني يوم ودعتها
كشحا لطيفا طيّه أهضما

الى أن يقول :

ذكرتها وهنا وكم دونها

جوب قفار ليس فيهن ما

فهذه الأوصاف التي خلعها على المحبوبة كلها أوصاف قديمة قدم الشعر العربي فهي تشبه لؤلؤ الغواص وهي كالدمى ، لطيفة الكشحين مكورة تفترس الناس بلحظها .. وان كان يمتاز شعره بالتدفق والسهولة ..

ولعل غزل هذا الشاعر لم يقع تحت ضغط الحب ودواعيه ، وانما كان في غزله مجاريا للشعراء القدامى ومقلدا لهم ،ويدل على ذلك ما تصدر به مجموعة أشعاره حيث كتب على المخطوطة الموسومة ب " الميل على حب النساء " ما يلي : " هذا من بعض قصائد محمد البخارى ابن الشيخ عثمان ابن فودى تغمدهم الله بالرحمة والرضوان .. واعلم أنه لما كانت القلوب مجبولة على حب النساء والميل اليهن افتتح جل قصائده بذكر شيء من محاسنهن وخالص صفاتهن تبعا لأكثر الشعراء ليكون أدعى الى الانصات عند السماع فتصغي اليها الأسماع وتميل الى معانيها الطباع "..

ولكن يجب أن لا يخدعنا مثل هذا، اذ نشم في ثنايا بعض الأبيات صدق التجربة وحرارة العاطفة ..

هذا ويقاس على الشاعرين : يونس ذى النون السنغالي ومحمد البخارى النيجيرى بقية الشعراء الذين اتخذوا الغزل تمهيدا لأغراضهم الشعرية المختلفة ،وهؤلاء لا يختلفون كثيرا عنهما من حيث السير على نهج الشعراء القدامى في وصف الصبابة ووصف المحبوبات ، فقد استعاروا

صورهم وألفاظهم بل وحتى أسماء المحبوبات من الشعر القديم ، كسعاد وسلمى وسليمى ومية وما أشبه ذلك..

ويبدو أن هؤلاء الشعراء تحرجوا من البوح بأسرار قلوبهم خوفا على مكانتهم الاجتماعية والدينية ، اذ نشم من وراء بعض أبياتهم صدق التجربة وحرارة العاطفة وذلك عندما يفلت من أيديهم زمـــام المحافظة فيطلقون العنان لعواطفهم الجياشة غير أنهم لا يلبثون فـي هذه الحالة أن يردوا جماح عواطفهم ليعود الى التقليد مرة أخرى حتى لا يفتضح أمرهم ..

ولعل هذا التحرج هو الذى دعى محمد البخارى فـــي قصائده التي أفردها للغزل أن يستعمل الطيف أو الخيال حتى لا يظن به الظنون ،كما حدا ذلك أيضا بعضهم الى الدعاء للمحبوبـــة بالوقاية من الله من كل ما من شأنه أن يدنس شرفها وطهرها .. ولكـــن تدفق أسلوبهم يفضحهم ، نعم انهم محافظون ولكنهم بشر ..

وهناك ظاهرة قديمـة شاعت في غزل هذا الصنف من الشعراء وهي ظاهرة " العذول " فها هوذا ذوالنون يقول في احدى غزلياته :

يقول عذولي هل تموت من الأســـى
رأيت سكوتي عنه عين جوابـــي

وفيها يقول أيضا :

وأهل الهوى عدوا الشكاية في الهوى
نباح كلاب أو طنين ذبـــاب
ولاح رآني ما أصبت وانـنـــــي
مصاب واني في أشد عــــذاب

فقلت له من كان يمشي على الثرى
ولم يك صبا فهو عين مصاب
فليس امرؤ قد مات شوقا كغيره
وما طعم شهد يا أخي كصاب

ويعد الشاعر السنغالي محمد المصطفى آن من أولئك الذين لم يتحرجوا من البوح بطوايا قلوبهم من الحب .. غير أنهم في ذلك لم يخرجوا عن المبادئ الأخلاقية والتقاليد الاسلامية في هذا المضمار ..

فها هو ذا يشكو صبابته وفرط وجده وشدة كلفه بفتاة اسمها " ياسمين " فيقول :

صادت فؤادك ياسمين وأثخنت
فيه الجراح ولم تجد بعلاج
قد حركت منك الكمين فأهملت
بعد الحراك وآثرت بهياج
هضماء ليس بها في وجهها شحب
والمشي منها على غنج ورجراج
رحماك رحماك يا أختي ولي وطر
فاقضي ولاتهملي يا نشوتي حاجي
وافيتها ليلة يعلو بهامتها
رمز الجمال ونعم الخاطب الراجي
وقد علا الصدر رمانان زانهما
مواقع النصب في زهو كذى تاج
يا رب قدرلها لي زوجة صلحت
حالي وحالتها في خير منهاج

حقا ان شاعرنا كان جد كلف بهذه الفتاة الفاتنة ولكنه في هيامه وولهه بها ذو قصد شريف - كما يقولون - ولذا فقد ختم المقطوعة بالتضرع الى عالم أسرار القلوب أن يقدرها له زوجة على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وشاعرنا مولع بختم قصائده الغزلية بمثل هذا التضرع فله قصيدة أخرى نظمها ليلة أن أظهرت له ياسمين ما أضمرت وأظهر لها نياته فختم القصيدة بقوله :

يا رب هاذى يسرن ما أبتغي

بزواجها اذ راعني اكرامها ..

هذا ويعد أيضا ممن تغزلوا استجابة لوجدانهم وحبا في تسجيل تجاربهم العاطفية الأديب النيجيرى الشاعر عمر ابراهيم في قصيدته التي سماها : " الكون موات لولا الحب " وهذه القصيدة تحتوى على ستة وستين بيتا جاءت في شكل موشحة في رقة ألفاظها وعذوبة موسيقاها ونظام أبياتها : (١)

يقول فيها :

يا حبيبي يا حبيبي

اصغ سمعا للحبيب

هل أتاك اليوم أني صرت عظما في الشعار

ذهب اللحم بخارا صاعدا من حر نار

ماثلا فوق سحابا لا أرى ضوء النهار

---

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٩٤.

يا حبيبي يا حبيبي

هل تبالي بنحيبي

ان يطل صدك عني — يذهب الحر عظامي

أختفي عنك ولا تسمع من بعد كلامي

ان تشأ ذاك وأخشى — عل ترمى بملام

لو ينادى (غيرشيء) — قلت أنعم بسلام

يا حبيبي يا حبيبي

طيفك اليوم طبيبي

كنت أرجو السرور لما — بان ثغر الابتسام

ورأيت النور حولي — قربه باب السلام

ذلك الرضوان يأتي — فاتحا باب مرامي

فاذا بي صرت آدم — آه لاشجر أمامي

يا حبيبي يا حبيبي

جئت بالأمر العجيب

يا حبيبي لم يطلني — عنك شر الوسواس

زال انديز وأقا — أنت في القلب فراس

يفرح الناس بخمر — وأنا ثغرك كاسي

لذة ان نبض القلب بها قرت برأسي

ياحبيبي يا حبيبي

هل أنادى من مجيب

لذة تنشيء في جسمي ما تهواه نفسي

فنأرى الكون بشكل — غير ما بان بأمس

كله مسك وزهر — كمروس قرب عرس

وأراني الحب ما لـــم يرنيه نور شمـــس
يا حبيبي يا حبيبـــي
ريقكم خمرى وطبيبـــي

انما الحب بأمر الســـر فلتأت نمانـــق
لوأبى ذاك لصار الـ قلب وقت العشق آبق
بل تراه وفق صوغ الـ رب للأحباب عاشـــق
فأبر الناس معطي الـ محب حقا ثم فائـــق
يا حبيبي يا حبيبـــي
نقصه شر الذنـــوب

انما الكون بأقصـــا ء موات في مـــوات
فحياة زينـــت ذا ك بشتى الحسنـــات
ثم راقت هي بالحـ ب حياة للحيـــاة
يا حبيبي يا حبيبـــي
اسقنيه بذنـــوب

واسأل الأشجار عن أز هارها من فوق غصـــن
واسأل الأطيار عمـــا هاجها حين تغنـــي
وارقب الوحش ولا تخـ ش تر العشق بعيـــن
واسأل المنكر في الجنـ نة معنى حور عيـــن
يا حبيبي يا حبيبـــي
اعطني فوق نصيبـــي

يا حبيبي طيفك المحـ بوب لي خير مـــرادى
بعد جرم لـــك لا يمـ نع فوزى في رقـــادى
سل فوءادى ما يقاســـي لحظة حين انفـــرادى

انفرادي لي ضـــلال وتلاقينا رشـــادي
يا حبيبي يا حبيبـــي
أنـت سقمي وطـبيبـي
قالت الأنجم لمـــا شعرت من حرمانـي
انما الحب عـــذاب دونه كل العـــذاب
قد سكنا مطمئنـــا ت على رغم انجـــذاب
لوعرفنا الحب تـــلـ ـقانا على حال اضطـراب
ياحبيبي يا حبيبـــي
جئت بالقول العجيـب
يا ذوات النور ما قو لك هذا بســـداد
ان يكن هـذا عذابـا فهو عذب في فـــؤادي
فيك نار ثم لا جـد ب اخمدي مثل الرمـــاد
اخلعـي ثوب بيـاض والبسي ثوب ســواد
....
اتركي الحب بنا ينـ ـزل في مغنى رحيـب
قربن فاك خليلـــي ماؤه كالسلسبيـــل
لشفائي وحياتـــي اسقني غير القليـــل
وكأيـن من عليـــل وكأيـن من قتيـــل
ماله في الروح ـ لولا الـ ـحب أحيى ـ من سبيـل
يا حبيبي يا حبيبـــي
أحيني عما قريـــب
لأرى ما قيل في مـــن مات صديقا ومؤمـــن
وشهيدا في حروب الـ ـحب لا في القتل موقن

من نعيم في جنـــــان   لشهيد "البدر" كامــن

لكمال الحسن فـــي بــد   رى ذقت القتل ساكن

يا حياتــي يا خلـــودى   في مآبــي المستطـــاب

فالشاعر يجاهر في هذه القصيدة بعشقه العفيف في حالـــة هادئة تلفحه فيها ذكريات الشوق والصبابة وقد برح به الضنـــى واستبد الطيف بخاطره فيرسم لنا صورته ولم يبق فيه الا هيكل عظمي ملتف في ثياب برح الشوق به وحر كبده حتى وصلت الحرارة الى درجة الغليان، فأذهبت لحمه بخارا وصعد فوقه كالسحاب، فحجبت عنه الشمس فـــلا يرى لأجله ضوء النهار وأبى السحاب أن ينزل مطرا حتى يرى محبوبـــة الهيكل بجواره وعندئذ ينزل مطرا فيطفيء نار الشوق ويرجع البخار المتراكم الى الهيكل ويصير لحما كما كان .. أليست هذه الصورة البائسة للمحـــب الوله مدعاة للشفقة عليه واهراع المحبوبة الى انقاذ هذا الهيكل قبل أن يستبد به الحر ويفتك به فيجعله هباء منثورا، فيصبح أثرا بعد عين ؟

وشاعرنا غير عابيء بما يحدث له من الهلاك ان لم تتداركـــــه المحبوبة بوصلها، وهو على حاله البائسة راض كل الرضا عن المحبوبة ان رضيت هي بهلاكه بسبب هيامه بها، ولكنه يخشى عليها لومة اللائمين ان هلـــك بسبب وجده لها .. ولو قدر له بعد الهلاك أن يتكلم وهو عندئذ لاشـــيء لقال لها لا تثريب عليك أنعمي بسلام ..

وأصداء الدين واضحة في هذه القصيدة، فهو عندما بان له ثغـــر الحبيب الذى يبعث على اللواعج والشجن لما يسرى فيه من الجاذبيـــة و يلفه من السحر والذى يجعله غير مطيق على التصبر على تلك النضرة يراها

ولا يهتصر عودها وينعم بجناها ، فبدا له كأنه يدخل الجنة فرأى باب السلام وعليه رضوان صاحب الجنة يوشك أن يفتح له الباب ليدخل ثم خاب ظنه فأصبح كأبينا آدم عليه السلام مطرودا من الجنة ، ولكن كيف يطـــــرد وهولم يذق الشجرة كما ذاقها أبونا آدم عليه السلام .. وفي القصيـدة أصداء أخرى للدين وألفاظ وتعابير قرآنية كلها تدل على التأثر الدينـــي الذى يكتسح جميع أغراض الشعر العربي في غربي أفريقيا .

وواضح أن الشاعر في هذه القصيدة الغزلية الرقيقة حاول أن يخرجها في شكل موشحة .

وللشاعر السنغالي الشيخ الهادى تورى قصائد في الغـــــزل يقول في بعضها ردا على عذوله :

عذولي تراك اللوم لم استطع صبـــرا
بل أمرى شئون الدمع أو أنزل القبرا
زفيرى ودمعي جمرة تحت وابـــــل
فيا عجبـا من وابل جاوز الجمــــــرا
فكيف تصوم الصبر صبا متيمـــــا
وفي قلبه تجرى جيوش الهوى تتـــرا
وكيف يطيق الصبر من كان تائهـــا
وكان جواه يملأ البر والبحـــــــرا
وقالوا مماتي في جواى شهـــــادة
بها استحق الوصل والفوز والأجرا
وان سلو الصب عين ارتــــداده
كذا الحكم في شرع الهوى فاعلم الأمرا

وانني وان كنت المعنى كما تــرى
فكل ذنوب العالمين ولا كفــــرا
وهذا الذى لقيت عندى هيـــــن
وفي جنب من أهوى أرى كل ذا نزرا
لأقسمت أني لا أفيق من الجـــوى
ومن سكرة تنمو ولا أشرب الخمــــرا

ومعاني الشاعر في الرد على العذول مطروقة وان كان مجيـــدا فيهــا ..

ونجد أصداء الدين في بعض ألفاظه وتعابيره مثل .: شــرع الهوى " ، " الشهادة " ، " الفوز " ، " الأجر " ، " الارتداد " ، " الكفر " ، وكذا الاحتراز منه ..

وهناك شاعر سنغالي تسنم منصب القضاء وهو القاضي مجخت كل ولم يتحرج من تسجيل مغامراته الغرامية مجاهرا بالعشق العاهر والعبث الداعر والخلاعة الماجنة ناسجا على منوال امرئ القيس وعمرو بن أبي ربيعة غير مكترث بما يفرضه عليه مجتمعه وتقاليده الاسلامية ومكانته الاجتماعيـــة كقاضي الدولة الذى تصدر القضاء ردحا من الزمن لغزارة علمه وعدلـــه وجرأتـه على الحق ولو كان على السلطان ..

فهاهو ذا يسجل احدى مغامراته في سبيل عشيقته عائشة ،فوصف فرسه "فضل الله " ثم وصف محبوبته وكيف استطاع أن يهتصر عودهـــا وينعم بجناها فقال :

تذكـرت أيام الهوى فالليالــــــي
فالأيام من لذات شرخي شبابيـــا

فـــأركب طرفا أسود اللـون حالكا
كما نشر المصبوغ في الليل راجيـــا
أخا ملهب ذى درة لهديــــــره
دوى كأصوات الخذاريـف حاكيـــا

الى أن يقول :

فلله در المهر لما امتطيتـــــــــه
فأبلغني دارالخريدة طافيــــــــا
فجئت وبــاب البيت أغلق مرتجـا
فقالت من المستفتح الآن بابيـــــا
فقلت بأخفى الصوت سرا ولينة
أنا مكل المعروف زرتك ساريـــا
معذب قلب قد دعاني الى السرى
دواعي هواك فاستجبت الدواعيــا
أعائش قومي وافتحي الباب واسقين
لنا من لطول العهد أوشك باليــا
فقامت بهينوم (١) قطوفا بطيئـــــة
خفيفة خطوات كما كنت راضيـــــا
فلما دخلنـــاه وقد نام أهلهـــــــا
بلغنا بتمريس لديها الأمانيـــــا
فبت لدى حوراء تنسي ضجيعهـــا
أوامر ربي كلها ونواهيـــــــــــا

---

(١) الهينوم : الصوت الخفي .

منعمة عجزاء أعدل قامـــــة
فـلا قصر شـين لا ولا طول غاليـا
تميس بأنبوبي سقي وتنثنـــي
بجيـد محلى من ظبـاء لآليـا (١)
وتنظر بالعينيـن من نعجة مهـا
على لحظات كدن يقطعن باليـا
وتنفى بخاتام سوى معطـــر
برائحـة من دونها المسك زاكيـا

والشاعر هنا قوى الشبه في مغامراته العاطفية بامرىء القيس ، فهـو يدب الى حبيبته ليلا يتعرض للقتل ويتخطى الحراس ليحظى بما يريد . ومغامراته هذه تذكرني بمغامرة امرىء القيس التي يقول فيها :

سموت اليها بعد ما نام أهلهـا
سمو حباب الماء حالا على حـال

... الخ(٢)

ترى ألا نلاحظ الشبه القوى بين هذه المغامرة وتلك ؟

أما أوصاف القاضي التي خلعها على المحبوبة فقديمة وان كانت مطابقة لما يصفبها السنغالي أو الافريقي عموما المرأة ويتصورها عليه من الحسن والجمال .

----

(١) تميس : تتبختر .
(٢) ديوان امرىء القيس ص ١٤١ .

وبعد .. فقد رأينا كيف تناول الشعراء في غربي أفريقيا هذا الغرض بنوعيهم .. وكيف التزموا التقاليد الاسلامية في التعبير عن عواطفهم بعيدا عن العهر والعبث الداعر والخلاعة الماجنة ، باستثناء القاضي مجخت كل السنغالي . وأغلب الظن أن مجاهرته هذه من قبيل ما عرف عن الشعراء من أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون .. وخاصة عندما نعلم أن القاضي قد كان له منافسون على منصب القضاء الذى ظل مستأثرا به مدة طويلة ، وقد كانت بينه وبين منافسيه معركة جدلية دامية ، تراشق الفريقان فيها بسهام من منثور الكلام ومنظومه ، وكان القاضي في ذلك هجاءً مقذعا في الهجاء ويكاد يكون المنفرد بهذا اللون من الشعر بين شعراء المنطقة ، وما سمعنا أن أحدا من معاصريه قد هجاه بدعارته أو اتهمه في " أخلاقه رغم وجود البواعث النفسية لهذا الاتهام لدى منافسيه والذى من شأنه الاطاحة بالقاضي من منصبه ..

لم يخل الشعر العربي بغربي أفريقيا من فن الوصف ، فقد ضرب شعراء العربية في هذا المجال بنصيب لا بأس به ، فوصفوا الطبيعة الصامتة والطبيعة المتحركة ، ووصفوا الطائرة وبعض المشاهد التي خلبت عقولهم وأثارت مشاعرهم وعواطفهم . كما وصفوا الخيل والنساء وما الى ذلك ، غير أن القصائد التي أفردوها لهذا الغرض قليلة جدا ، وأغلب شعر الوصف كان مبثوثا بين ثنايا بعض القصائد التي قيلت في أغراض أخرى غير الوصف كالمديح والغزل مثلا . فها هو ذا الشاعر السنغالي أحمد عيان سه يصف الطبيعة الميتة أو الصامتة في مقدمة قصيدته الترحيبية للجنرال الفرنسي " د غول " يقول فيها :

هذا أندر الخير مفتر أزاهره
زقاقه ازدهرت بالبشر اقبالا
والبحر يقذف بالأمواج طافحة
كأنها لبست بالروض سربالا
ثغور زهر من الأكمام باسمة
تضاحك السحب تحت الشمس غربالا
تخال فيه ثنايا الغيد من حبب
كلؤلؤ صبه الوسمي هطالا
كأنما السور والأزهار ضاحكة
من فوقه وعليها الماء قد سالا
سماء صحو نجوم الجو تكلؤها
قد أشعلت لرجوم الجن اشعالا
في جنة باسق الأشجار يعمرها
قطوفها ذللت بالحمل اذلالا
فيها البنفسج والقحوان مبتسم
والورد من خجل من خدها نالا
والياسمين مع التفاح معتنق
الى شقائق نعمان بها مالا
والطير تشدو على الأغصان مطربة
والسفن تحمل في البلدان أثقالا
والريح في صفحات النهر جارية
تجر من فرح في القصر أذيالا

فشاعرنا قد أضفى على هذه الظواهر الطبيعية - من بحر ونهر وأرض وسماء وزهور وثمار ورياض وشمس وطيور - شعاعا من نفسه الفرحة المغتبطة بمقدم هذا الجنرال وبذلك أدخل فيها الحياة والحركة .. هذا وللشاعر ذى النون وصف رائع للأطلال استوفى فيه كثيرا من عناصرها القديمة من نحو ذكره لما بدل معالمها من رياح عواصف وأمطار شديدة وما حل بها بعد رحيل أهلها من قطعان البقر الوحشي والنعام والغزلان الى غير ذلك ، ولنستمع الى قيثارته :

مغنى سعاد عفته هوج العثير
وسقته واكفة الغمام الممطر

والعين ترفل في مراقد حورها
ترنو الرياض بكل طرف أحور

وترى مهاها البيض ترعى روضة
مطلولة خُصت ببطن محسر

أطفالها يمرحن في أطلالها
فكأنها في الشعب شعب العرعر

أوعالها تستن في أوعارها
ترعى خزاماها وغضّ الأزهر

وترى القلائص في تيائر آلها
فكأنهن سفائن في أبحر

غزلانها تقفو مدى ظلمانها
ان راعها صبحا زئير غضنفر

فشاعرنا يرسم لنا لوحة فنية عن ربوع محبوبته التي عفتها

الرياح الشديدة التي لا تبقي ولا تذر . وأزالت آثارها الأمطار الغزيرة ، فأصبحت الديار بذلك مرتعا للغزلان وأسراب النعام وقطعان البقر الوحشي والثيران ..وقد رسم لنا صورة للبقر الوحشي وهي ترعى أول العشب في هذا المكان الذى أصبح روضة مطلولة ،كما رسم لنا لوحة أخرى فنية للأوعال وهي تعدو مقبلة مدبرة ترعى الخزامى والعشب الغض ،ثم رسم لوحة فنية لرحيل محبوبته فرسم لنا صورة القلائص وعليهن الهوادج يسبحن في البيداء كأنهن سفن في البحر،وأخيرا يرسم لنا صورة الغزلان وهي تقفو آثار النعام وقد فزعت من زئير الأسد المفترس الذى يهدد حياتها وحياة نسلها . وللمرء أن يتصور كيف يكون الهروب أو الجرى في مثل هذه المواقف المصيرية .. وها هو ذا الشاعر النيجيرى عمر ابراهيم يصف مدينة "كانو" فيقول :

أبا ريس حوسا عليك السلام
سلام من العاشق المستهام
أزجي التحيات شوقا الى
جميل صفاتك بالاكرام
معالمك الغر لامعة
تكاد تفوق نجوم الظلام
ومن بينها المسجد الفاخر
كجامع دلهي جمال النظام
ومأذنة طاولت اذ بدت
نواطح نيويورك بقرب الامام

ومكتبهـــا قـــد حكـى البرلما
ن القاهــريَّ لحسن التمـــام
ترى الطائـرات تعـاودهـــا
أتت من أوربا ومصر وشـــام
وصـارت كنحل أتـت بعســل
خليتهـا أوكزور الغمـــام
لها ارتبـاط بأم القـــرى
بحبـل السماء لـزور المقـــام
" كنو " جمعت علـم شرق وغرب
ففازت بسهمين بين السهـــام
لذلـك قيل كمثلـك ألـــف
قديما فأصدق به من كـــلام
ولسـت بناسي صاحبتـــي
بها حين كنت الرجـال الكـــرم
أبا ريس حوسا وعاصمـــة ال
شّمال عليك دواما ســـلام

وشاعرنا يظل حتى في وصفه لمدينة " كانو " يعبق شعره بعبير الدين ، فمن معالم المدينة المسجد الفاخر الذى يشبه في جمـــال الاتساق جامع دلهي . والمدينة بينها وبين أم القرى مكة المكرمـــة حرسها الله رابطـة سماوية هي الدين الاسلامي وحج البيت الحرام .. ويضرب الشاعر الوزير الجنيد على قيثارة امرىء القيس في المعلقـــة وذلك عندما يصف شاعرنا مدينة " أغدس " فيقول :

ألا أبلغن عني " لا"قدس" تحيــــة
تفوح بعرف المسك أوعرف صندل
وبلغ لا"هلها سلاما مباركــــــــا
يعم شذاه من تحيت ومن عــل
وفيحاءها حيث الظباء ترود فــــي
خمائل تأتي من جنوب وشمـــال
وأحسن بهاتيك التلال فانهـــــا
مسارح جاء الغيث فيها بمسبـــل
بلاد عريضات وأرض أريضـــــة
مفازة عين الناظر المتأمـــــل
ومنها بطاح واسعـات تزينــت
بتاجام دوم والنخيل المكلـــل
ومنها جبال شامخات يزينهـــا
طرائق من أثار حاف ومنعـــل
أعد ذكر يوم في " تغادك " قضيته
تجول به بين الاراك المظلـــــل
وليل بواديها تهب به الصبـــا
على شاطيء وسط الكثيب العقنقل
ولا تنس حماما بميثائها الــــذى
يدفق ماءساخنا عند منهــــل
ورقص رجال في رمال عشيـــة
صفوفا بتصفيق النساء بأنمـــل

وركضك في وعث الكثيب نجيبة
من النوق في أكناف ساحة منزل

وجرى الجمال السابغات كأنها
نعام نجت من قانص متنبل

وكم أذكرتني بيت شعر خيامها
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وأطربني فيها غناء حمامها
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وعولت مغتما على عرصاتها
وهل عند رسم دارس من معوّل

وصبرني صحبي وقاموا جميعهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل

فسليت عنها ثم قلت تأسيا
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

سلام على تلك البقاع وأهلها
(١)
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وأقدس (   ) مدينة قديمة تقع وسط الصحراء تشبه في كثير من مناظرها الطبيعية مناظر الصحراء التي طالما وصفها الشعراء الجاهليون من أصحاب المعلقات ،ولذا فان شاعرنا في وصفه للمدينة المذكورة يعيش مع الجاهليين في صورهم ومعانيهم بله معجمهم اللفظي .

---

(١) ديوان الوزير الجنيد ص ٣٨ - ٣٩ .

وللشاعر وصف جميل للطائرة يقول فيها :

يا من يصعد أنفاسا بأنفاس
شوقا بخرطوم ذات الورد والآس
اصبر قليلا فانا سوف تحملنا
رعادة في الهوا ملومة الرأس
صعادة تتبارى في تجولها
شهب السماء التي ترمى بأقباس
طيارة صوتها عال مجوفة
زمكها(١) كذوابي الشاهق الرأس
أنانة في نزول عندما بلغت
الى المحطة تمشي مشي مياس(٢)
مملوءة بكراسي طينة
بالخيش تلبس ترويحا لجلاس
تنقاد طائعة في كنف صاحبها
كدابة ذللت في كف سواس
فاعجب لها انا عنقاء مغربة
جاءت تذكر عباس بن فرناس(٣)
بين الجناحين منها نيط مروحة
تدور من حولها من غير انكاس
تعطى الدخان وتنهى عن تعاملنا
به عليها وهذا خلف مقياس(٤)

---

(١) الزمك : منبت ذنب الطائر والمقصود هنا ذنب الطائرة .
(٢) المياس : الأسد وسمى مياسا لتبختره في المشي .
(٣)
(٤) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٨١ .

فالشاعر يصف الطائرة وصفا دقيقا ،فهي مدورة الرأس وذنبهـــا
كذوابي الشاهق الرأس ولها بين الجناحين مروحة تدور حولها وهـــي
في سرعتها في الجـو تبارى شهب السماء التي ترمى بأقباس ،وبعـد
نزولها في المحطة تمشي متبخترة كالأسد وهي سلسلة الانقياد في يد
طيارها كدابة منقادة في كف سواس . فهذه صور رائعة للطائـرة
وتصوير دقيق لها أضفى عليه الشاعر شيئا من روحه الدعابية .. على أن
الأصالة الشعرية قد ظهرت في شعر الوصف عند شعراء غربي أفريقيا ظهور
نار القرى ليلا على علم ، اذ لا تجد فيه تلك المحاكاة العمياء للمعانـي
القديمة وانما وصفوا ما شاهدوا وأثار عواطفهم وصفا دقيقا صادقا وموفقـا
بألفاظ ملائمة ومعان تتناسب مع الصورة الموصوفة بعيدا عن تلك الألفاظ
الوعرة والمعاني الجاهلية ،اللهم الا ما اقتضى المقام ايراده من معجـم
ومعاني الجاهلية كما في وصف الوزير الجنيد لمدينة " أقدس " الصحراوية.

وقد وجد الشعر البطولي أو شعر الجهاد نصيبا موفورا لدى شعراء
غربي أفريقيا ، وخاصة في الدولة الفلانية أو مملكة سكتو التي أسسهـا
الزعيم الروحي والديني في نيجيريا الشيخ المجدد عثمان بن فودى . فقد
وجد الزعيم المذكور مجتمعه منغمسا في وحل الشرك والبدع والخرافـات،
فعقد العزم على تطهير هذا المجتمع مما علق به من دنس الوثنيـة
والبدع والخرافات عن طريق الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة ونبـذ
ما سواهما ، هذا في أوساط المسلمين المنحرفين أصحاب البدع والخرافات ..
أما في أوساط الوثنيين فقد كان يدعوهم الى الايمان بالواحد الأحـد
وتوحيده بالعبودية المطلقة وترك عبادة الدكاكير .. فوجد المذكـور

اضطهادا لدعوته الاسلامية والاصلاحية لدى ملوك الهوسا الوثنيين ،كما لقي أتباعه الذين كانوا غالبا من الفلانيين من هوءلاء الملوك أذى كثيرا، الامر الذى جعل الجو السياسي والاجتماعي مملوءا بالاضطرابات الشديدة في أوائل فترة هذه المملكة الاسلامية ،فكانت الحروب تدور رحاها في أنحاء المملكة والممالك الوثنية المجاورة لها .

وقد هيأت هذه الحروب الطاحنة ميدانا فسيحا للشعراء والنظام، فغدوا يقرضون الشعر في هذا المجال فكثر بذلك ما يسمى بشعر الجهاد . . وكانت الاهداف الرئيسية لهذا الشعر البطولي هي تسجيل الانتصارات الكثيرة التي أحرزها المسلمون المجاهدون ضد أعدائهم الوثنيين .وتحريض الجماعة الاسلامية من أتباع الشيخ واثارة حميتهم للقيام بالدفاع عن أنفسهم وعن عقيدتهم الدينية والتنديد بأعدائهم وتخويفهم بالترهيب والانذار.(١)

وأول قصيدة تقابلنا في هذا المجال هي الحائية التي كتبها الشيخ عبدالله بن فودى شقيق الشيخ المجدد يحرض فيها قومه الفلانيين ويحثهم على مناصرة أخيه المجدد وموءازرته في جهاده لاظهار دين الله واطفاء جذوة الشرك وكسر شوكة الكفار الوثنيين .

وقد استهل قصيدته على نمط الجاهليين في فكرة التشاوءم والتفاوءل ولكنه شفعها بفكرته الاسلامية :

طربت فأشجاني الطيور الكوابح (٢)

وفرحني منها الغيوث الروائح

---

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٢٣ مع تصرف.

(٢) جمع كابح وهو كل ما استقبلك مما يتطير به .

وخوفني أيضا ذياب بـــوارح
وأمننى منها الظبـاء السوانـــح
لقول النبي لا تـزال جماعــــة
على الحق منا أو يجيء المقـارح (١)
ألا أبلغـن لحي رســالـــــة
تعيهـا رجـال أو نسـاء صوالــح
لعالمهم أو طالب العلـم رائـــم
لاظهـار ديـن الله فيه يناصـــح
أقول لـه قم وادع للدين دعـــوة
تجيبهـا عـوام أوخـواص جحاجـــح (٢)
ولا تخـش في اظهار ديـن محمـــد
بقولة قال تأتيـه كنـاتــــــح (٣)
ولا تخــش تكذيبا وانكار جاحـــد
وهـزء جهـول ضـل والحق صابـح
وغيبـة همـاز وضغـن مشاحـــن
يساعده من للعوائـد راكـــــح (٤)
وليس لما تبنى يد اللـه هـــادم
وليس لأمر اللـه ان جاء ضـــارح (٥)

---

(١) المقارح المستقبل من الأمر والمقصود هنا الساعة.
(٢) جحاجح جمع جحجاح وهو السيد الكامل.
(٣) كناتح جمع كنتح وهو الأحمق السفيه.
(٤) راكح بمعنى ما عل.
(٥) ضارح بمعنى دافع.

وبين لهم أن العوائد بهرجت
وسنتنا لاحت عليها لوائح

ولهو الشباب اليوم قد بار سوقه
وقامت على سوق الصلاح مدائح

وأهل الدنا اليوم انزوى ظل جاههم
وسنتنا قد ظللتها الدوائح

ومنكر هذا الدين قد خف وزنه
ومظهره ميزانه اليوم راجح

وناصره قد صار في الناس عاليا
ومنكره للخاص والعام دانح (١)

وان اله العرش قد من منة
علينا فمن يشكر فذلك رابح

وتلك بأن قد بيّن الدّين في امرئ
لنا نسبا نعلوا به ونطامح (٢)

فان نحن أويناه ننصر قوله
نفز ونحز نعماه والكل فالح

وان قد أضعناه استفاد بغيرنا
مصائب قوم عند قوم مصالح

ولو نفعت قربى فقط فيه ماردى
أبوطالب عم النبي وتارح (٣)

---

(١) دانح : من دنح الرجل أى ذل وطأطأ رأسه.

(٢) نطامح : أى نفتخر .

(٣) هو آزر أبو ابراهيم عليه السلام.

وما ضر شمسا أن نفى العمي ضوءها
وما ضر حوضا أن أبته القوامح (١)
أطائب أرض تخرج النبت رائقا
باذن ذويها ان أفاضت دوالح (٢)
ولو همعت ديما لما أنبتت ولو
بسابيس نبت في الأراضي البوالح (٣)

وهي قصيدة طويلة رائعة احتوت على كثير من الحكم والمواعظ التي من شأنها استثارة الهمم والحماس ، ولقد أعطت القصيدة ثمارها وفعلت فعلها في القوم الفلانيين وأزكت فيهم جذوة الحماس فنهضوا الى الشيخ ينصرونه في اظهاره لدين الله فكوّن الشيخ بهم جيشا قويّا خاض غمار المعارك مع ملوك الهوسا الوثنيين .. وقد تم له النصر المبين في جميع معاركه ،وكان شاعرنا عبد الله بن فودى من طليعة من سجلوا تلك الانتصارات الاسلامية من الشعراء . ففي وقعة "كت" (٤) التي تم النصر فيها للمسلمين يقول عبد الله بن فودى :

بدأت ببسم الله والشكر يتبع
على قمع كفار علينا تجمعوا

---

(١) الابل الممتنعة عن الشرب لداء بها مع العطش .
(٢) السحاب الكثير.
(٣) البوالح : جمع البالح وهي الأرض التي لا تنبت شيئا .
(٤) حوض في مدينة "غردم".

ليستأصلوا الاسلام والمسلمين مـــن
بلادهـم والله في الفضل أوســـع

تـوارق مع " غوبر " (١) ويثف سفيهم
بحزبهم والله يرى ويسمـــع

الى أن قال :

وليس معي الا قليل أطاعنـــي
على السير بعد الأين والجوع يلذع

ولما رأينـا الفجر ضاء عمـــوده
نزلنـا فصلينا الى أن تجمعـــوا

فسرنا الى " غردم " وقد تم جمعنـا
قبيل زوال اليوم والجمع يـوزع (٢)

فنذدنا جموع الكفر عن حوضه وقد
رأوا جمعهم مثلي جماعتنا فعـوا

فظنوا محل الغيل ينصر جمعنـا
وأن الربى من ناصريهم ستنفـــع

فغروا اليها ثم صفوا وانطقـــوا
طبولهم والجمع يدنو ويتبـــع

الى أن تراءينا وزاد اقترابنـــا
رموا فرميناهم فولوا وأقشعـــوا

---

(١) غوبر : مدينة . ويثف اسم سلطانها ويطلق اسم غوبر أيضا على القبيلة التي تسكنها أيضا .

(٢) غردم : موضع .

فلم يك الا أن رأيت جهامهـــم
قد انكشفت عن شمس الاسلام تلمـع
بنصر الذى نصر النبي على الـعـدا
ببدر بجمـع ملمـــلاوك يجمــــع
وكم من كمي جدلتـــه سهامنـــا
وأسيافنا واراه طير وأضبــــــع
وكم ذى جلال صرّعته أكفنـــا
فجزت فئوس رأسه يتقطـــــع
طردناهـم وســـط النهار فلم يكن
لهم غير - غيل -في دجى الليل مفزع
لكل الجهات قد تفـرق جمعهـم
بدادا ليوم الجمــــع لا يتجمــع

وختم القصيدة بقوله :

فيا أمة الاسلام جدوا وجاهـــدوا
ولا تهنوا فالصبر للنصر مرجـــع
فقتلاكم في جنـة الخلد دائمـــا
وراجعكم بالعز والمال يرجـــع
فليس لما تبنى يد اللـــه هـــادم
وليس لأمر الله ان جاء مدفـــع

فشاعرنا قد استغنى في قصيدته عن المقدمة التقليدية ،ليعبر عـن فكرته الاسلامية وحقائق عقيدته بأسلوب يراه مناسبا للفكرة ، حيث يبرز التأثير الديني عليه . . فاستمـد المقدمة من المعاني والأفـكار الاسلامية

كالبدء بالبسملة تتبعها الحمدلة أوالشكر لله المفضل عليهم بالنصر .. وبعد ذلك يسرد لنا أحداث الحرب وكيف مكّنهم الله من أعدائهم عندما التقى الجمعان واكتحلت الأحداق بالأحداق فبددوهم وقتلوهم وتركوهم نهبا للطيور والضباع،وقد أعملوا فيهم السيوف والسهام والفؤوس ثم تفرقت فلولهم أيدى سبأ ولن يقدر لهم التجمع الى يوم الجمع لا ريب فيه.

وقد أرجع الشاعر النصر الذى أحرزوه الى الله الذى نصر نبيه محمدا ببدر. وأخيرا نجد أن الشاعر قد استطاع أن يؤدى دوره في ميدان الجهاد في استنهاض الهمم والهاب مشاعر الحماس والاندفاع في نفوس المجاهدين مصورا مشاعر المجاهدين وأحاسيسهم بعد أن نذروا أنفسهم جنودا في مواكب الاسلام. وعبر عن روح الجهاد التي يجب أن يتحلّى بها المسلمون بعد أن غمر نفوسهم نور الايمان وبددوا بوهج العقيدة ظلمات الصدور، وذلك في الأبيات الثلاثة الأخيرة من القصيدة ..

وفي وقعة "كنو"(١) يقول محمد بللو بن عثمان بن فودى :

سائلوا عنا وعن أعدائنا
يوم دار الحرب في "كنو" الحفر

قد تركناهم بها مثل الهبا
أو كأحطام الهشيم المحتضر

ولكم كرّ به فرساننا
في صناديد "كياوا"(٢) المنكسر

----

(١) موضع .
(٢) موضع .

اذ رجعنا لهم وقت الضحى
بجنود كجراد منتشر
وكأن الخيل في أرجائها
حدأ تخطف أشلاء البقر
فلقيناهم وأوغلنا بهم
برماح وسهام كالمطر
واشرأبوا فرمونا مثلها
فأقمنا هكذا حتى الظهر
فدعونا : يا نزال للوغى
فدخلنا حصنهم وقت العصر
فسقيناهم منايا فرو
سهم أمثال جذع منقعر
ثم رحنا غانمين كأننا
قد رجعنا من جواشى للحفر
فاحمدوا الله على احسانه
لأولى الاسلام يا أهل العبر
فهو مولانا ووالى أمرنا
حبذا المولى ونعم المنتصر (١)

ومحمد بللوا يستغني عن المقدمة التقليدية للقصيدة في

---

(١) انفاق الميسور في تاريخ التكرور ص١٤٧.

هذه المقطوعة و يعتمد أسلوبا آخر للاستهلال قائما على المحاورة واثارة التساؤل وهو قوله :

سائلوا عنا وعن أعدائنا

يوم دار الحرب في كنو الحفر

وفي هذا الأسلوب حث وتنبيه واسراع في انتشار أثر القصيدة ..

ونجد في القصيدة ذكرا لأدوات الحرب كالرماح والسهام ، فقد وصف كثرة الرماح والسهام واقتحامها على الأعداء ومداهمتها لهم كمداهمة المطر من ينزل عليه ..

ويبدو تأثر الشاعر بالقرآن الكريم في معجمه اللفظي وصوره الفنية من أمثال استعمالاته تعابير قرآنية وردت في سورة القمر كقوله : " كأحطام الهشيم المحتضر " وقوله : " بجنود كجراد منتشر " وقوله : " فرؤسهم أمثال جذع منقعر ". (١)

كما تبدو أصداء الدين واضحة في البيتين الأخيرين حيث يأمر الشاعر أهل الاسلام أن يحمدوا الله على احسانه بما حقق لهم من نصر على أعداء الله ، فهو تعالى مولى المجاهدين وناصرهم وهو نعم المولى و نعم النصير ..

ولم يكن الشيخ عثمان بن فودى في جهاده باغيا أو خارجا عن تعاليم الاسلام في الجهاد .. فها هو ذا ابنه محمد البخارى في قصيدته الحماسية التي بدأها بمقدمة غزلية وجهها الى " ابرا " رأس الوثنيين وفيها نتبين منهج الشيخ في جهاده :

----

(١) سورة القمر الآيات : ٧ ، ٢٠ ، ٣١ .

فيقول محمد البخارى بعد مقدمته الغزلية :(١)

أيا راكبا بلغن " ابر " عنى الذ
نصيحة والنصح خير المقـــال
فان كنت ترجو بلوغ الأمانـــي
بنصر الغوابر أهل الضـــلال
فلن يجعل الله للكافر يـــن
علـى المؤمنين سبيلا بحـــال
فمرهم اذا شئت أن يسلمـوا
بصدق والا باعطـاء مـــال
والا فانـا سنأتيكـــم
نزج الكتائب مثل الجبـــال
تذود الوحوش عن الخرق فيها
أسود الوغى فوق جرد طـوال
مقاديم في الروع لا ينكصـــون
اذا الخيل جالت بهم في العـــوال
بأيمانهـم مرهفات طـــوال
وبيض رقاق وزرق نصـــال
ويهديهم خير سعـــد وعـال
حيا وصبرا وبذل النـــوال
وأفضل رأيـا اذا ناب أمـــر
واشجعهم حين يدعى النـــزال

---

(١) الميل على حب النساء ص ٧ .

.. وهكذا نفهم من القصيدة منهج الشـــيخ عثمان بن فودى في جهاده الوثنيين ،فهو يدعوهم الى الاسلام أولا فان أبوا فدفع الجزية فان أبوا فقتال .

وهو في هذا المنهج مقتد بسلفه الصالح في الفتوحـــات الاســلامية ..

وفي القصيدة أصداء للدين تظهر في تأثر الشاعر بقوله تعالى :

* قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمـون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتـــاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون * (١)

وقوله تعالى * الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من اللـــه قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكـــم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل اللـــه للكافرين على المؤمنين سبيلا *. (٢)

هذا ، وقد نهج شعراء العربية بغربي أفريقيا في هذا الفـن منهج القدامى فاذا وصفوا الجيش وصفوه بالكثرة المفرطة كقول محمـــد بللو :

بجند يملأ الأركـان طـــــرا

ويكسو السهل والحزن النشابــا

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٩.

(٢) سورة النساء الآية ١٤١.

وقوله :

اذ زحفنا لهم وقت الضحى

بجنود كجراد منتشر

وفي ذلك يقول محمد البخارى :

لجب رحيب السرب من صنهاجة

يتوقدون توقد النيران

وكذا قوله :

ساروا الينا واثقين بطولهم

بعرمرم كالليل ذى الأركان

واذا وصفوا شجاعة الجيش وبسالته شبهوه بالأسود ، يقول محمد البخارى :

بأنا قد أتينا أهل فوبر

بجمع مثل أساد التهام

بأيديهم سيوف راسيات

مترات الجماجم والبنام

ويقول في ذلك أيضا :

تذود الوحوش عن الخرق فيها

أسود الوغى فوق جرد طوال

ويقول في الموضوع نفسه : عبدالله الوزير :

يقودهم " بلّ " في خيل وفي رجل

بين الليوث كليث ثائر ضارى

ومن مظاهر محاكاتهم للقدامى في هذا الفن أيضا طريقة وصفهم للخيل .. فها هو محمد البخارى يشبه الخيول في سرعتها بالحمام فيقول :

وتحتهم خيول ضامرات
طوال جافلات كالحمام

ويقول أيضا عبد الله الوزير :

على كل جرداء وأجرد شيظم
تراه كصفراء الجراد اذا استوى
قد اعتاد غارات الصباح تخاله
اذا ما جرى فوق الربا طار في الهوا

ويذكرني هذا ببيت سلمة بن الخرشب :

فلو أنها تجرى على الأرض أدركت
ولكنها تهفو بتمثال طائر

ومن الظريف أنهم يشبهون الخيول في حروبهم بالحدأ ، فيقول محمد بللو :

وكأن الخيل في أرجائها
حدأ تخطف أشلاء البقر

وتابعوا القدامى أيضا في الحديث عن الضرب والطعن وآلات الحرب، وان لم يتأنقوا في ذلك تأنقهم ، فها هو ذا محمد بللو يقول :

تصيح الردينيات في حجباتهم
وتسقيهم كأس المنايا المخمرا

ويقول في ذلك أيضا :

تداعى أولو الاسلام حين تذامروا

بكل حسام يفرق الهام مشهـــرا

وكل رديـنـــي وأسمر قعضـــب

على كل جـهد من نجائب بـربـرا

ورجلهم يحمى سهامـا كأنهـــا

ندى صاب في جو النهار وأمطـرا

و يقول أيضا عبدالله الوزير :

نصرا لنا برماحنا وسهامنـــا

وسيوفنا ببطونهم والـــرأس

أولادهـم ونساؤهم مسبيـــة

ورجالهم مقتولـة بالفـــاس

ويقول محمد البخارى أيضا :

بأيمانهم مرهفات طـــوال

وبيض رقاق وزرق نصـــال

كما تابعوا القدامى في وصفهم مشاهد الهزيمة من قتلى وجرحى وأسرى واستيلاء على الغنائم ،فمثلا يقول عبدالله الوزير :

وكم من كمي جـدلته سهامنـــا

وأسيافنا واراه طيـــر وأضبـــع

وكم ذى جلال صرعته أكفنـــا

فجزت فئوس رأسه يتقطـــع

ويقول أيضا :

لكل الجهات قد تفرق جمعهم

بدادا ليوم الجمع لا يتجمع

فخلوا لنا أموالهم ونساءهم

على رغمهم والله يعطي ويمنع

ويقول في أسر قائد الوثنيين :

وأسر طاغوتهم قد زاد ذلهم

مقيدا بينهم في ملبس العار

ويقول أيضا :

فلما رأونا لا نمل جهادنا

لقتل وأسر جلهم خاف فارعوى

ففروا الى البلدان شتى وجمعهم

كجمع أناس كان في سبأ سوى

ويقول أيضا :

ففروا عن جماعتهم وجازوا

مسيرة خمسة في نصف يوم

وفي ذلك يقول محمد بللو :

فأين سراتكم سيدى بن برهو

ونجل كجير مشئوم قدار

(وأى صدى) تركناه صريعا

وفي لحييه والقحف ازورار

ضربنا قرن كبشكم فأضحى

أجم كأنه فيكم حمار

فحزنا يا تـوارك أهـل " أزبـن "
ففـروا كي يخلصكم فــــرار
فســيروا أربعين ونصف عـــام
ففـروا كي يخلصكم قـــرار

وقد ارتبطت صورة القتل عندهم بالطير والضباع وهي مرتبطـــة في ذلك بالشعر القديم فمثلا يقول محمد البخارى :

قوم هـم تركـوا أباك مجـــزرا
يوم التقوا للنسر والضبعـــان

ومن ذلك أيضا قول عبدالله الوزير :

وكم من كمي جدلته سهامنـــا
وأسيافنا واراه طير وأضبـــع

هذا ، وقد رافق الشعر أغلب معارك الاسلام في غربي أفريقيـــا، فكان ينبض بالقوة والتمكن ليثير في نفوس المسلمين دوافع الاقتحـــام والتحدى لصنع المستقبل المنشود الذى يبرم الله للأمة المسلمة فيـــه أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته .. ولما كان الشعر سلاحا اعلاميا معبرا ،فانه كان قادرا على التعبير عن قيمة الانتصار مـــن خلال ترسيخه قيم الثبات على المبدأ واثارة روح الاقدام واستطابـــة الموت ،التزاما بمبدأ الجهاد والشهادة في سبيل العقيدة ، ولفت أنظـار المجاهدين الى أن قتلاهم شهداء ومصيرهم الجنة حيث يلقون سيـــد الشهداء وليكن الموت في سبيل الله اذن أسمى أمانيهم ومنتهى غايتهم..

ففي معركة " كت " التي خرج منها الاسلام منتصرا ومظفـــرا ،

وقف عبد الله الوزير يتغنى بالنصر الذى أحرزه المسلمون وفيها يقول :

فيا أمة الاسلام جدوا وجاهـــدوا
ولا تهنوا فالصبـر للنصر مرجـــع

فقتلاكم في جنة الخلد دائمـــا
وراجعكم بالعز و المال يرجـــع

ويقول في قصيدة أخرى :

وان سر "غوبر" و "التوارق" ذاك وال
قتـال سجال ليس مرجعنا ســـوا

فمن قتلاهم في جهنم دائمـــا
ومن في جنان الخلد ليسوا على استوا

ومجمل القول أن الطابع المميز لشعر الجهاد في غربي أفريقيـــا يتمثل فيما يأتي :

(١) الروح الجماعية :

حيث يستعمل الشعراء ضمير الجمع "نحن" المعبر عن روح الجماعة، وهو ما وجد فيه الشعراء القوة والصلابة ،كما وجدوا في صيغة الضمير "نا" القدرة على الاندفاع بشكل أوسع ،فالأفعال "رأينا" و" ذدنا" و"نجاهد" وغيرها من الأفعال تشكل المحور الذى استند اليه الشعراء في التعبيـــر عن الروح الكبيرة التي تجمعهم والاحساس الأشمل الذى يتحرك فـــي أعماقهم و يثير فيهم الاندفاع نحو الهدف المنشود .

(٢) الطابع التاريخي الجغرافي :

ويتصل بهذا الجانب الأشعار التي ذكر فيها أسماء الأماكـــن

والحصون والحياض والأنهار التي دارت رحى الحرب حولها أو فيها .. وتبقى القيمة التاريخية الجغرافية لهذا اللون من الشعر سمة مميزة له تحكي قصة الايمان ومسيرة نضال الانسان المسلم الذى أدرك كنه حياته واستشعر قيمة ذاته من خلال هذه المسيرة ، وكانت النماذج الشعرية التي نظموها وثائق تاريخية جغرافية مهمة ..

(٣) استلهام الصور القديمة في الحرب :

لم يخرج شعر الجهاد عند شعراء غربي أفريقيا في صوره الشعرية للحرب عما كان عليه في الشعر القديم .. فقد ظلت الصور القديمة تستحوذ على الشعراء وتجتذبهم ، وظلت المنبع الوحيد الذى يغترفون منه صورهم الفنية ، فاذا وصفوا البطل وصفوه بالأسد كما رأينا ..

وصورة القتل مرتبطة عندهم بالطير والضباع ، وهي صورة قديمة قدم الشعر العربي ، وهم ينقلون هذه الصور نقلا دون أن يضيفوا اليها ظلالا جديدة بحيث تصبح صورهم جديدة أو كالجديدة ..

على أن شعراء الجهاد لم يكونوا يحترفون الشعر ، بل كانوا ممن أنطقتهم الأحداث ولم يكن لديهم الالمام الواسع بالتراث الشعرى لعصور الشعر العربي كلها ، ولا ذلك الرصيد الضخم من الألفاظ والعبارات والصور التي كان لا بد أن يلم بها الشاعر المحترف .. أضف الى ذلك حالة الشاعر النفسية وطبيعة التجربة التي يعبر عنها ، فضلا عن الظروف والملابسات التي كانت تحيط بنظم القصيدة والتي لم تترك للشاعر فرصة الاسهاب في عرض أفكاره والخوض في جزئيات الأحداث ووقائعها .. فالشاعر الأفريقي كان فارس حلبة يتحمل عبء الجهاد فهو مجاهد وشاعر معا ..

على أنه قد توجهت غايات شعر الجهاد نحو تعزيز قيم العقيدة المتمثلة في الدعوة الى الثبات على المبدأ والحض على التضحية بالنفس والنفيس مقابل الجنة .. فارتبط موضوع الحرب بالدفاع عن العقيدة وترسيخ مبادئها ، وقد شكلت الخيل والسلاح عدة الحرب كما رأينا ..

تناول شعراء غربي أفريقيا شعر الحنين ضمن أغراضهم الشعرية غير أن تناولهم لهذا الغرض يعد قليلا بالنسبة الى الاغراض الأخرى،وقد تبينت أصالتهم تبيّنا واضحا في هذا الغرض فها هو ذا الشاعر السنغالي المصطفى آن يعبر عن حبه لوطنه وحنينه اليه لما نأى عنه الى ساحل العاج فيقول :(١)

هواى في اليوم أن أحظى بإدلاجي
للأهل مبتعدا عن شاطيء العاج
فانني صرت مشتاقا الى وطني
رماني الشوق في ضيق واحراج
قومي بعيدون عن سمعي وعن بصرى
أنا الغريب بقلب جد هياج
كأنني كنت طفلا تاه مبتعدا
عن أهله ضمن فصل ليله داج
اني أجول ولا أرضا سلوت بها
وسرت تيها كولاج وخراج
أرضى بها الزهر حول الماء مبتسما
فالموج من مائها يعلو كأبراج

---

(١) الأدب العربي السنغالي جـ١ ص ٢٠٧ .

كأنما الورد يستجدى معانقـــــــة
للنـد فـوق رفيـق النسـج ديبـاج

ثم يذكر خصال قومه فيقول :

من ثم صحبي الأولى طابوا مؤانسة
للعلم كم فتشوا عن أى انتـــــاج
كل يحاول تثقيفا و يعشقـــــــه
كم بادروا نحوعرفـان بأفـــــواج
هـم فتية لا ينى قلبي يحبذهـــم
وشوقهـم طنّ في لحمي وأوداج
اني لأشتـاق من قومي شمائلهـــم
فالكل من قلبـه يحنو لمحتـــاج
أيضا أسر بأخـــلاق لجيرتهـــم
أخص منهم فتـاة طرفهـــا ســـاج
عهدى بها في مصيف كنت زائـــره
بجنـــب ماء بعيد الغـور ثجـــاج
اني تعبت وأحزانـي محركـــــة
قلبـي الكئيب وهل أحظى بافــراج
لكنني محسن ظني وفي ثقتـــي
بالله بارئنا مـن ماء أمشـــــاج
ما بي قنوط ولا يأس لرحمتـــــه
لأنه جـل يهدى خـير منهـــاج
ان الرجوع الى أهلي وفي وطنـــي
هو المنى في فوادى الخائف الراجي

فالشاعر حنّ الى بلده فذكره ووصف محاسنه و محاسن قومه كما ذكر محبوبته وحزنه على فراقها ثم تضرع أخيرا الى الله ليجمع شمله من جديد و ينعم بالعودة الى بلده وأهله وذويه و تلك غاية المنى عنده . ونرى صدى الدين في شعره في الأبيات الثلاثة الأخيرة واضحة كل الوضوح حيث ينفى يأسه و قنوطه من روح الله ورحمته .. ويضرب على أوتار الحنين الشاعر النيجيرى الوزير الجنيد محنا الى بلده "يولا" فيقول :

لي في المعاهد صبوة لكنها
ليست تعادل صبوتي في يولا
وسقى الحيا تلك الربوع وهادها
وتلاعها معمورها وطلولا
وطن تحنّ اليه نفسي دائما
ما ان أرى تختار منه بديلا
أحسن به من موطن تلقى به
الأحباب في ظل يكون ظليلا
يكفيك ان رمت القصور تلالها
حسنا وأشبه بالقصور تلولا
ومن الظباء كفاك فيها شاؤها
ترعى ترى أخلاقهن ثقيلا
ومن المزامر صوت رنة طيرها
متغردات يستلين عقولا
ومن الملوك شيوخها فقراؤها
التجار في زى يكون جميلا

ومن المواعظ ان أردت قبورهـــا
لا وعظ أعظم منه أبغ سبيـــــلا
ومن النميمة قد كفى أخبارهـــا
السوقي لكن ان أردت فضـــولا
ومن الكلام بحوس من فلا نهـــا
يكفيك " جون " مِوَرث " جاغ " مبدلا
ومن القباب كفى بها أشجارهـــا
أحسن بها من أن تكون مقيـــــلا
لا سيما في الصيف لما قاربـــت
شمس النهار على الجبـــال تسيـــلا
أمسك عنانك لست تبلغ فضلهـــا
وخواصها ما قلت كان قليـــــلا
وكفى بها شرفا اعتنا قدمائنـــا
السادات قبل بها كفاك دليـــلا
لي في المعاهد صبوة لكنهـــا
ليست تعشر صبوتي في يـــولا
يا رب فاستر أهلها الأحيـــاء واغـ
ـفر أهلها الأموات خيرك نيـــلا

لا شك أن الشاعر كان محبا لبلده حبا جما ، ويبدو أن هذا البلد يومئذ كان بدائيا لم تدخله أسباب المـدنية أو التطور العمراني الـذى يجعله جميلا ومحببا الى كل الناس ، ومن هنا نجد الشاعر يحاول أن يوجد بدائل لأسباب العمران التي تشد النفوس الى البلدان ،فجوه جميـــل

ولطيف وفيه ظلال وارفة أما قصوره فهي التلال وما أشبهها بالقصور،وظباؤه هي الشياة والمزامير الموسيقية هي رنة تغريد الطيور وملوكه هم الشيوخ أهل العلم .

وان رمت المواعظ فيه ، فحسبك قبوره موعظة وان كنت صاحب فضول فستجد بغيتك في أخبار السوقة من أهله وهكذا .

وأخيرا يؤكد الشاعر قصور همته عن ادراك شأوه وحصر محاسنه وأخيرا يدعو بالستر لمن بقطنه من الأحياء وبالغفران لمن ماتوا فيه .. وقد أكثر شعراء غربي أفريقيا من الشكوى الى الله مفرج الهم و منفس الكرب لسوء أحوال عصرهم وخاصة بعد دخول المستعمرين واستقرارهم في البلاد واستئثارهم بكل شيء ونجاحهم في تفريق شمل المسلمين..مما أدى الى ضعفهم وضعف وازع الدين في النفوس،حيث تزلف بعض المتحذلقين الى المستعمر البغيض يتملقه و يتذلل له ويتآمر معه ضد بني قومه. وطبيعي جدا في مثل هذه الحياة الاجتماعية المزرية التي فشى فيها الفسق والفساد ، ولم يحفظ فيها للدين حرمة ولا ترك للعرض حمى -أن يهرع العلماء الى التضرع الى الله ليكشف عنهم وعن المسلمين جميعا ما هم فيه من ذل وغمة، وقد تقبل الله دعوتهم فتحررت البلاد الاسلامية كلها في أفريقيا وآسيا من قيود المستعمرين وان تركوا مخلفات لهم ممثلة في عملائهم من أبناء البلاد المسلمة ينخرون كالديدان في عظام الأمة والله المستعان .. وها هو ذا الوزير الجنيد يشكو من تلك الحالة الاجتماعية السيئة بعد دخول المستعمرين فيقول :

ظمن الذين عهدت في ذا النادى

ماذا وقوفك في الطلول تنادى

وعلام تبكي من بكاء حمامة
في أيكة تشدو على الترداد
صارت مراتع للوحوش بعيد أن
كانت مقاصد حاضر أو باد
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى
الحرباء لائذة على الأعواد
قامت تخاطبني فعز كلامها
ولكم سكوت معلن بمراد
وتدير عينيها تشير بذاك دو
ر الدهر غيّر ما ترى في النادى
وتلوّنت ففهمت منه تلوّن الـ
أحوال في الدنيا فعز رقادى
ناديته يا أيّها ذا النادى
فأجابني يا أيّها ذا النادى
لما سكت دنت الي حمامة
مخبرة تبدو كلون رماد
فسألتها أين الذين عهدتهم
قالت لقد بلغوا على الميعاد
قلت أخبريني من تخلف بعدهم
قالت تخلف دولة الأكراد
مالي أرى دون الكرام وضيعة
قالت علتها دولة الأوغاد

فسألت ما خلق الذين تخلفوا

قالت ذوو فحش ذوو أحقاد

لا تكذبيني يا حمامة اكشفي

قالت ذوو حسد ذوو افساد

والقصيدة طويلة وجميلة لنا معها وقفة عندما نترجم للشاعر ان شاء الله . ولشاعرنا شكاوى متعددة في هذا الصدد نكتفي بما ذكرنا وقد ضرب على أوتار شكوى الحالة الاجتماعية السيئة وفساد الأخلاق وانتشار الفتن، الشاعر السنغالي الحاج المنصورسه فيقول :

أشكو الى الله ما بالقلب من حزن

وما أقاسي به من مضجع خشن

أنفقت كنز مداراتي لنيل سلا

مة ولم يغن شيئا في بني زمني

لولا المروءة أخت الدين ما انبسطت

روحي الى أحد خوفا من الفتن

ولا أخالط من يردى بصحبته

ديني ودنياى من غش ومن دخن

ما زلت آمل ذا ود يوافقني

به أرسق ودى غير مضطغن

والأمر بالعكس اني كنت في سنة

وأيقظتني صروف الدهر من وسن

رمت السلامة فانسدت مسالكها

ان السلامة أمر غير متهن

ويقول في مقطوعة أخرى :

زمان أناس في مكاشرة الشـــرى
تـالوا وصدق القول فيه غـرور
و تنكيث عهد والأمانة رأبهم
و تأويل أقوال تشق صـدور
زمان اذا مس الكريم خصاصة
رموه وهو عند الاله خطيـر

و يتصل بالشكوى من فساد الحياة الاجتماعية و ترديها والسخرية من المستعمرين مقطوعة الشاعر النيجيرى وزير سوكتو عبد القادر بن محمد التي يصف فيها الحياة في عصره و يسخر من المستعمر الدخيل الذى أصبحت السلطة الحقيقية في يده و يحكم بالاستبداد تحت ستار الحكم غير المباشر وذلك بواسطة الأمراء الذين استغلهم وصيرهم أداة لقمعه وارهابه ،فيقول :

عسا الليل حتى اصطاد ببر وثعلب
وناوشت الآساد ضب وأرنـب
تفر أفاعي الأرض من خوف ضفدع
و تزرع هند في الصباح و زينب
وأبصرت أقواما مع الليل أنزلوا
أهاليهم في الدشت والظبي تذهب
فولت فرارا ثم فاءت وأقبلت
فياليت شعرى هل رأى الظبي أسرب
وأما ملوك الأرض فيما لديهم
فما سهم ضر وما خاب طالـب

ولكنهم في نعمة أى نعمـــــــة

بلادهم فيهـا أمـان و زغـــرب

فشا عرنا يحاول أن يصف انقلاب الأمور رأسا على عقب بدخـــول المستعمرين وفساد أخلاق المواطنين الذين كانوا يتزلفونهم ويُستغلـون في اذلال شعبهم بسبب ما ينالون من المستعمر من سلطـة خاوية مـــن أدنى معاني السلطة. وبذلك أصبح الشريف وضيعا والوضيع شريفـا وانقلبت الموازين بسبب سياسة المستعمر الرعناء.

و قد أحسن الشاعر في وصف الحالة حيث جعل الببر والثعلب حيوانين مفترسين و تلك ليست شيمتهما ، كما جعل الضب والأرنب يُناوشان الآساد وليست مناوشـة الأسود ديدنهما ، كما جعل الأفاعي تفر من الضفادع وجعل النساء اللاتى يخدمن أصبحن يخرجن لفلاح الأرض والزراعة ،وهكـذا استطاع أن يعطـي صورة صادقة لمجتمعه بعد دخول المستعمر الدخيل البغيض . .

و نكتفى بهذا القدر من شعر الشكوى والحنين ،على أن أصـداء الدين التي ظلت تلازم الشعر العربي في غربي أفريقيا بجميع أغراضـــه لم تتخلف هنا أيضا كما رأينا.

لم يغفل الشعر العربي في غربي أفريقيا شعر المناســـبات ، فكثيرا ما استجابت قرائح الشعراء لمناسبة من المناسبات السعيدة أو الحزينة . .

على أن جانبا كبيرا من شعر المناسبات غير متشح بوشاح الشعر، وكثيرا ما يتسم بطابع المنظومات التاريخية التي تعنى بتسجيل الوقائـــع

التاريخية أكثر من عنايتها بالصور الفنية .. فمما قيل في التهنئة منظومة الشيخ أبي بكر غمي بهنئ الحاج محمد السنوسي شروما (Ciroma) يوم كان ولي العهد بعد رجوعه من الحج في سنة ١٩٥٣م حيث يقول :

غادرتنا نبكي فراقك ما لنا
حتى تعود تبسم وسرور
يا ضعفنا يوم الوداع بباكم
والناس صرعى كلهم مأسور
حتى عزمت فمنهم متلفت
ومشيع ومعول وصبور

وفيها يقول ان الشرق كان يضيء عندما يمم نحوه السنوسي وترك الغرب يشرق من الشجى اذ أصبح مهجورا .. وقد أشرك الشاعر بعض الظواهر الكونية في الفرح والمرح بهذا القائد المسلم فجعل الأفق والطير سارة لمجاورته لها وهو يطير في سفينة الهواء الى الأراضي المقدسة وأن أهل مكة قد فرحوا لمقدمه وأرخوا به ولنستمع الآن الى قيثارته :

الشرق يشرق ما قصدت تجاهه
والغرب يشرق اذ هو المهجور
والأفق سر بما مررت وطيره
والأرض تسعى للهواء تغير
حتى نزلت أمام ربك شاكرا
فيما حباك وخصك المشكور

لبيت دعوته وأنـــت مهلـــــــل
متضرع متجـــرد محســــــــــور
أديت واجبه بأحسـن حالـــة
أبشـــر بدينك انـه مأجـــــور
ســكان مكة أرخـوا بقدومكـــــم
اذ فـاز منك شريفهـم وفقيــــر
وقصدت خير العالميـن بطيبــــة
مع صاحبيه وعمك التنويــــــــر
ردوا السلام عليك حين بدأتهــم
ودعـوا لكم والحافظـون ظهيـــر (١)

ومما هو من التهاني بسبب قصيدة الشاعر السنغالي أحمد عيان سه بمناسبة قدوم الجنرال الفرنسي دغـول (De Gaulle) الى السنغال بدأ القصيدة بمقدمة في وصف بعض المناظر الطبيعية من نهر وبحر وزهور يقول فيها :

لقد أتى عبقرى الدهر سنغـــــالا
يا نهر فاجر الى الصحراء أميـــــال
ولتسقها من معين الماء صافيـــــة
عذبا زلالا ولا تســـــح بـــه آلا

---

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٩٨-١٩٩.

الى أن يقول :

هذا دغول أتاكم فاضربوا فرحـــا
له الدفـوف و خلوا القيل والقـــالا
يعد في كل حال ما يناســـبـــه
فافرح بمقدمه واشـــرح له حـــالا
يعين كل امرىء فيما يحاولــــه
يعطيه من أمر الاســتقلال ما قـــالا
قل مرحبـا قد أتى أم القرى أصـــلا
وقم له حين زار القصـــر اجـــلالا
أهـلا بطائرة في الجو تحمل مـــن
قد فـك عن شعبنـا قيدا وأغــــلالا
رئيسهم لكثير القـول مجتنــــــب
تراه يوما لما قد قال فعـــــــالا
حب المواطـن من ايمان صاحبهــــا
لذاك أحببت أوطانـي هنا حــــالا
ولتعمروا بلدا تستوطنون بـــــــه
ولستملأوه بساتينـا وأمـــــــوالا
بذاك فابغوا رضى الرحمان واتبعـوا
مراده في بقاء النـاس أجيــــــالا
لا تفشلوا بنزاع سوف يهلككـــــم
مستمسكين بما المولى لكم قـــالا
ان دام هذا سعدتم في تواصلكـــم
أولا شقيتم وكنتم بعد ضـــلالا

نرجوا من الله ان يرعى حكومتنـــــا
كالمستقلة أقوالا وأفعـــــــــــالا
و يحفظ الوزراء القائمين بهـــــا
ويحفظ الشعب والأهلين والآلا (١)

وواضح أن شاعرنا لم يكن يمدح هذا الزعيم الاستعماري لاستعمار قومه للسنغال اذ لو فعل ذلك لكان من الحمق، اذ ان السنغال لم تجن من وراء المستعمرين الا الويلات .. ولكنه يمدح " دغول " لاستجابته لاستقلال السنغال وكان شاعرنا يهوى منه استقلال بقية مستعمرات فرنسا في القارة الافريقية، وقد أكد هذه الحقيقة في قوله :

يعين كل امرئ فيما يحاولـــــــه
يعطيه من أمر الاستقلال ما قـــالا

وقوله :

أهلا بطائرة في الجو تحمل مــــن
قد فك عن شعبنا قيــدا وأغـــلالا

على أن شاعرنا قد ظلت الأصداء الدينية تلازم شعره حتى في هذه التهنئة أو المدحة التي يهديها الى انسان لا يدين بدين الاسلام . فهو يؤكد أن ما قام به لهذا الكافر انما هو واجب وطني وحب الوطـــن من الايمان . ثم يلتمس من بني قومه أن يعمروا الأرض بالزراعة والكسب المشروع وليلتمسوا رضى الله بتعمير الأرض لأن ذلك هو المقصود وراء استخلاف الله لهم في الأرض، كما طالبهم نبذ الخـــلافات والنزاع اللذين مــــن

---

(١) الأدب العربي السنغالي جـ١ ص ١١٣-١١٤.

شأنهما أن يهلكاهم و يفشلاهم فتذهب ريحهم . وكل هذه النصائح مطالب أساسية في ديننا الاسلامي .

وأخيرا يرجو الشاعر من المولى العلي القدير أن يجعل بلده مستقلا بكل ما في كلمة الاستقلال من معنى قولا وعملا حتى لا يكون استقلال البلاد مجرد حبر على ورق .. ومن قبيل شعر المناسبات تقريظاتهم الأدبية ،فها هو الاستاذ عبدالله بن يوسف النيجيرى يقرظ ديوان الشاعر عمر ابراهيم (١) بهذه الأبيات بعد أن قرظه بمنثور الكلام فيقول :

أحديقة الأزهار للقاضي عمر
ديوانه مجموعة باهي الدرر
أم هذه شمس الضحى قد أشرقت
أم أنجم الجوزا سناها قد بهر
أم ذى صحائف كونت من عسجد
فتناسبت فيها المعاني والصور
أم ذاك ديوان لأوحد دهره
شمس العلا بحر العلوم اذا فخر
هو أوحد الحكام تاج رؤسهم
مغني اللبيب اذا بدا واذا حضر
جادت قريحته بنظم فرائد
قد كان يذخر كنزها فيما ذخر

---

(١) سمى الشاعر ديوانه بحديقة الأزهار .

سرحت طرفي في محاسن روضة ال
باهي فذكرني بخاتمة الزمـــر
وحديقة الأدب البهي رواؤهـــا
قد أينعت منها الأزاهر والثمـــر
لله ما أوفى محيـــط عبابـــه
جمع المطول والوجيز المختصـــر
قل للأُلى زعموا كفاية غيـــره
هيهات هل تجدى النجوم مع القمر
وبروجه في العلم شامخة البنـــا
بشهير بلـــدان وأعـــلام غـــرر
أتظن أن الوصف جاوز حـــده
عند العيان يصغّر الخبر الخبـــر
فاضرب له ما قيل : كل الصيد فـــي
جوف الفرا مثلا تواتر واشتهـــر
أخباره في الخافقين حميـــدة
واذا زكت شيم الفتى حسن الأثـر
ومضاؤه في الحكم والاقـــدام قـد
سارت بـه الركبان في بحر وبـــر
وسعوده سعدت بها أيامنـــا
وقضاؤه من أمـه أمن الخطـــر
لله جودة علمه وذكائـــه
في حل ألفاظ الغريب من الأثـــر

حفظ الاله بقاءه وبهاءه
مصحوب عزفي البداوة والحضر
وجزاه مولانا لحسن طباعه
أسنى الجزاء مدى العشايا والبكر
وحياتكم ما زلت مذ فارقتكم
مترقبا أخباركم فيما خبر (١)

ونلاحظ أن الشاعر قد تجاوز تقريظ الديوان الى مدح صاحبه وعلى كل حال فان التقريظ نوع من المدح .. هذا ومن التقاريظ ما قاله الحاج ابراهيم بن الحاج محمد التسليمي الطوبوى السنغالي في تشطير الشيخ كشمه لبرده البوصيرى ، وها هي ذى نماذج منها :

لما وقفت على التشطير أزعجني
شوق وهيجني ما فيه من حكم
وقلت ذا النظم بحر ليس يعبره
الا ذكي خلي الذهن من وهم
فخضت فيه وأخرجت الجواهر من
لجاته وشئوج اليم في عظم
يرمي بحافته در البديع ويا
قوت المعاني فيا للبحر من نعم

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٤٨-٣٤٩ .

جم الجواهر الا أن جوهرنـــــا
هذا فريد بديع النظم في النظـم
اذ فيه ما يعجز الخنذيذ من ملح
تريك أن الفتى من فتية شهـم
شطرت بردة شيخ المادحين لنا
وتحفة العاشقين القادة القثـم
محمد القطب من نار القلوب بـه
كما به فاضت الخيرات كالديـم
أنت المصلي وهذا الشيخ قدوتنـا
هو المجلي من الحلبـات للدعـم
ملكت يا محيي الدين البراعة في
صناعة الشعر في أقرانك النجـم
للتاج من بين تيجان الجواهر في
بلادنا قيمة من أرفع القيـم
دكار طابت بطيب المادحين كما
بوصير طابت بهم فضلا من الحكـم
ياأهل "سنغال" هذا عزكم ولكـم
فخر بهذا الفتى المنعوت بالكـرم
جازاك عنا اله العالمين كمـا
جازى الامام وانجاك من السـدم
(قرظت ياحب تاج الجوهر الحسن
مرتجيا شرب ماء الكوثر الشبـم)

فان مدح النبي المصطفى سبب
لشربه والورى في شدة القحم
خذوه يا أيها الأدباء واغتفروا
عيوبه فالرضى من أفضل الشيم (١)

وقد قرظ التقريظ المذكور ابن عم المشطر الحاج المختار كشمه ،فقال :

على تقاريظكم يا شيعة الكرم
أغير قبل انصداع الفجر عن قلم
نهبتم رونق التقريظ قبل وفى
تاج الجواهر أضحى القول في حطم
كما أغار خيول النهب مصبحة
شيخ العلى في تلاد البرد لم يلم
فزوّج العزب بالعزباء فادعهما
زوجين والزوج في ذا الحكم لم يضم
شن لطبقة كفوء دفء أحدهما
شطر من البرد أو شرط من العَدم
داعي الهوى ودواعي الوجد صوتهما
سيان لا فرق بين اللحن والنغم
يثنى البوصيرى في اعجاز بردته
على مشاطره في الأجر والقمم

---

(١) الأدب السنغالى العربي جـ٢ ص ٢١٦ .

سبقت الى الشيخ هونا كل ما نسجت
أيدى الفنون فأضحى جيد الجـــدم
أقلامه اجعل إلهي وفق نيتـــه
وسائل الخير بين العرب والعجـــم
لله درك من قرم شمائلـــــــــه
وازت شمائل سر البدء والختـــم (١)

وبهذا التقريظ نختم حديثنا عن شعر المناسبات في شعـــر شعراء العربية بغربي أفريقيا .

وقد نال المديح النبوى نصيبا وافرا من بين الأغراض الشعرية التي تناولها شعراء العربية بغربي أفريقيا ، ولا غرو أن يتجهوا نحـــو هذا اللون من الشعر ،فهولون من ألوان التعبير عن العواطف الدينيــة وباب من الأدب الرفيع الذى لا يصدر الا عن قلوب مفعمة بالصدق والاخلاص وتغان في حب ذات الحبيب المصطفى البشير النذير الذى بعثه اللـــــه رحمة للعالمين . .

وقد راح شعراء هذه البلاد ينظمون قصائد طوالا في مـــدح الرسول صلى الله عليه وسلم والثناء عليه تقربا الى الله ،وتعبدا ،واشباعـا للجانب الروحي في حياتهم . . وكانوا في ذلك بين مستلهمين و معارضين لقصائد سبقت في هذا الباب ، من نحو قصيدة البردة لكعب بن زهيـــر وميمية البوصيرى الموسومة بالبردة أيضا . . وكانوا في احتذاء خطى البردتين

---

(١) الأدب السنغالي العربي جـ٢ ص ٢١٧ .

بين مشطر و مخمس ولنبدأ بالمدائح التي لم تتسم بسيما المعارضة.،فمنها هو ذا الشاعر السنغالي الحاج مالك سه يقول في مدح المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :

أبدا بروق تحت جنح الظلام
ام وجه ميتة أم ربوع شمام
ان الربوع بشارتي واماني
وربيع قلبي وهي خير شيام
والدمع ان بعدت ربوع ربوعنا
جار وجارح منحرى بسهام
مه عاذلي لو حزت علما لم تلم
هل عذل مثلي لم يكن بحرام
ملأ الفؤاد قضاة شوقي والهوى
ألما ووجدا يا لطول هيام
يا غاديا يعلو السناد فبلغن
سلما وسل عن جيرتي بسلام
فاربع على مجنون ليلى ان لي
داء دويا ما أبل سقام
واقرأ سلاما طيبا تغشيه من
حب الى ناس هديت همام
بين لهم تبيين بر صادق
اني بهم حلف الجوى وغرام
يا رب ليل بت سامر أنقد (١)
متجاويا متساجلات حمام

---

(١) أى بت ساهرا.

ارعى الكواكب في الصريم كأنها
شدت بأهدابي صمام صمام
عتم ظراف كمل لكنهم
لم يعرفوا التقوى بوقت هشام
عدل كرام معدنا لكنهم
نالوا لدى التقسيم خير سهام
الطيبون معاقدا لكنهم
من جودهم قطرات غيث غمام
لا عيب فيهم غير أن جموعهم
سم العداة سعود كل ادام
عسل صفاة معتفون نثالهم
ينسون أهلهم لطيب مقام
وهم النجوم لمقتد بسمائهم
بدر الدجى منه انجلاء ظلام

واستمر الشاعر على هذه الوتيرة فوصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالجود والكرم والهداية ... الى ان ختم القصيدة بطلب الغفران ثم الصلاة والسلام على النبي وآله وأصحابه ..

ومعاني شاعرنا في المديح النبوى مطروقة اتكأ فيها على أوصاف المداح قبله . ولنستمع الآن الى قيثارة الشاعر النيجيرى عبد الرحيم الذى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فبدأ بالنسيب فالوقوف على الاطلال فوصفه عليه الصلاة والسلام بالجود والكرم وذكر شيء من سيرته العاطرة

واسرائه ومعراجه ثم ختم قصيدته بالتوبة وطلب الغفران .. ثم الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقال :

أرى برق الغواية اذ تراءى
بأقصى الشام زودني بكاء
وما عبر الصبا النجدى الا
وامطر ناظرى دما وماء
وأكسبني الهوى العذرى همـا
وسقما لا أرى لهما دواء
وأمرضني الطبيب فيا لقوم
طبيب زادني بدواه داء
فيا للعاذلين وطول عذلي
جعلت لمن أحبهم فداء
أكاتم عنهم العبرات وجدا
وادراء السلو لهم رياء
مضت أيام جيرتنا بنجد
فأصبح كل ما وهبت هباء
أمنكرى الاخاء بغير جرم
علام وفيم تنكرني الاخاء
فدعني والذين أرى حياتي
وموتي بعدما رحلوا سواء
بحقك هل سألت طلول نجد
فلم يجدوا لفرقتنا التقاء

وهل لك بالخبا المضروب علـم
فتعلمني بمن ضرب الخباء

وكيف أسائل الركبان عمن
أقام بذى الأراك ومن تناء

وفي أكناف طيبة هاشمي
تصرفه السماحة حيث شاء

امام المرسلين و منتقاهم
حوى الخيرات ختما وابتداء

تناهى كل فخر في فخار
ولم نلفى لمفخره انتهاء

ويستمر الشاعر فيذكر اسراءه ومعراجه فيقول :

كفته كرامة المعراج فضلا
بها في القرب ساد الأنبياء

سرى من مكة ببراق عز
لأقصى مسجد وعلا السماء

فسر به الملائكة ابتهاجا
وصلى خلفه الرسل اقتداء

وكلم ربه من قاب قوس
وألهم في تحيته الثناء

فقال الله عزوجل سلني
فلست أشاء الا ما تشاء

خزائن رحمتـــي لك فاقض فيهـــــا
بحكـــك لست أمنعك العطـــاء
وشـــفعه الاله بكل عـــــاص
وكل مقصر يخشى الجــــــزاء

وبعد هذه الأبيات يذكر كريم أوصافه عليه الصلاة والسلام مـــن شجاعة وجود وكرم وكمال ثم يختم القصيدة بالتضرع والشكوى من كثرة الذنوب فطلب الغفران ثم الصلاة على الهادى البشير ..

هذا وقد ضمنوا قصيدة البردة لكعب بن زهير وشطروها وخمسوها وسبعوها .. ونختار من تضميناتهم تضمين الشاعر السنغالي محمد أنياس لروعته وبلاغته .. ولنستمع الى ألحانه في ذلك :

بريم رامة قلبي اليوم متبـــــول
متيم اثرها لم يفـد مكبـــــــول
ترنو بفاتر جفـن ليس يشبههـــــا
الا أغن غضيض الطرف مكحـــول
تريك قامة غصن البان مائســـــة
لا يشتكي قصر منها ولا طـــول
هي الشفاء لداء الصب لو صدقـت
يشفي مضاجعها شم وتقبيـــــل
تفتر عن برد عذب في مجاجتـــــه
كأنه منهل بالـــراح معلـــــو ل
لا يمسك القلب حبا غيرهـــا أبـــدا
الا كما يمسك المـاء الغرابيـــــل

بعد الصدود لعمرى لا يقربـــــه
منك العتاق النجيبات المراسيـــل
أو ماخرات سفين من دواخنهـــــا
للجو غيم على الأرجاء مشمـــول
لكن أقول لطيف الخود من ولــــه
لا الهينك انـي عنك مشغـــــول
بحب خير الورى طول الزمان ولـــو
أني على آلة حدباء محمــــــــول
لعل عفو رسول الله يدركنـــــــي
والعفو عند رسول اللـــه مأمــــول
يا سيدى انني حلف لحبكـــــــم
هل حبل وصلي منك الدهر موصول
لا عطل القلب من حبي لكم أبـــدا
ولا من المدح نال النطق تعطيـل
اني لأرجو نوالا منك يا أملـــــــي
ما فيه عند حديث النفس تعطيـل
فلا تعذب سمى المصطفى أبــدا
كلا وان كثرت فيه الأقاويـــــل

وعلى هذا المنوال سار شاعرنا في تضمينه فامتزجت أبياته بأبيات كعب والتحمت معها التحام الروح للجسد ، وفي الختام يقول شاعرنا :

قفوت كعباتها في مدحكم ولكـــم
للفضل جود على العافين مبـــذول

بمدحكم نال كعب بردة فعسى

تنيلني بردة فالفضل مأمـــــول

وروءيتي وجهك الاسنى تبشرنـي

بقولكم أنت محبوب و مقبـــــول

ثم الصلاة على الهادى و عترتـــــه

ومن عليه بيوم الحشر تعويـــل

و هناك شاعر نيجيرى خمس البردة وهو الامير محمد بللوبن عثمان ابن فودى يقول في التخميس :

يا دار أخت لسلمى وهو عاقـــول

أقوت فهام فوءاد وهو مذهـــول

و هل لصب نآه الصب معقـــول

بانت شعاد فقلبي اليوم متبـــول

متيم اثرها لم يفد مكبول

من قهوة الدن في موثوق أوعيـة

لا قهوة البرتسقي وسط أنديـــة

وكأسها ان اديرت كأس تهنئـــة

شجت بذى شبم من ماء محنيـــة

صاف بأبطح أنحى وهو مشمول

لا تلفتن لموعود لها عقـــدت

واحذر مكائد كادتها وما عمـــدت

فانها أبدا عذارت وجـــدت

فلا يغرنك ما منت وما وعـــدت

ان الاماني والاحلام تضليل

فيا خسارة من موعودها قبـــــلا

وظن أن مرادا منه قد حصـــــلا

كأن ميعادها طيف الخيال جـلا

كانت مواعيد عرقوب لها مثـــــلا

وما مواعيدها الا الأباطيـــل

عقارب العشق في الأحشاء تلدغها

والقلب بغيته فيها يسوغهـــــا

شطت نواها وأنى لي مبلغهـــــا

أمست سعاد بأرض ما يبلغهـــــا

الا العتاق النجيبات المراسيل

لجت بـعادا وشطت وهي سائـــرة

والنفس رهـن لديها وهي غـــادرة

حلت بقو عن الثلمـاء صـــــادرة

ولن يبلغها الا عـذافــــــــرة

فيها على الأين ارقال وتبغيل

يا رحمة أرسلت للناس فيه أمـــل

لكل راج وان هو قد أســاء عمـــل

يا أكرم الخلق جد بالعفو أنت أهل

مهلا هداك الذى أعـطاك نافلة ال

قرآن فيها مواعيظ وتفصيــــــل

وعلى هذا المنوال سار شاعرنا الى أن ختم التخميس بالتضرع الى الله وطلب المغفرة ثم الصلاة والسلام على رسول الله وعترته وصحابته.

أما ميمية البوصيرى الموسومة بالبردة فقد شطرها الشاعر السنغالي الشيخ محمد محي الدين كشمه ، وهذه نماذج من هذا التشطير الذى يبلغ ثلثمائة وأربعة وثمانين بيتا :

أمن تذكر جيران بذى سلم
قد بت ترعى نجوم الأفق لم تنم
أم من ظعين نأت والخوض تحملها
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
فهاج شوقك هوج الريح للعلم
أم جاورت اضما سلمى وجيرتها
وأومض البرق في الظلماء من اضم
فما لعينيك ان قلت اكففا همتا
على الثياب بدمع جاد كالديم
تحكى البلية قل لي ما بليت به
وما لقلبك ان قلت استفق يهم
أيحسب الصب أن الحب منكتم
والدمع يقطر والاحشاء في ضرم
هلا اعترفت بوجد شاع كامنه
ما بين منسجم منه ومضطرم
لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل
ولا أننت لبرق ضاء في ظلم

ولا شجاك غناء الورق اذ غـردت
ولا أرقـت لذكر البـان والعلـم
ولا أعارتـك ثوبي عـبرة وضنـى
طوارق زون والظلمـاء كالفحـم
ولا أثارت هموم القلب اذ سكنـت
ذكرى الخيام وذكرى ساكن الخيـم
كم حسنت لذة للمرء قاتلـة
والخسر في نعم تفضي الى نقـم
قد كان يخبأ في طيب الطعام أذى
من حيث لم يدر أن السم في الدسم
واخش الدسائس من جوع و من شبع
دع الغلو من الأمرين واغتنـم
ان قيل فالجـوع عند البعض يخمد قل
فرب مخمصة شر من التخـم
وخالف النفس والشيطان واعصهمـا
كلاهما غير ما يرديك لم يـرم
اياهما لا تشاور كن على حـذر
و ان هما محضاك النصح فاتهـم
ولا تطع منهما خصما ولا حكمـا
بل كن مطيعا لخصم الخصم تستقم
الخصم يمكر والقاضي يساعـده
وأنت تعرف كيد الخصم والحكـم

محمد سيد الكونين والثقليـــــن
ن من أتى مدحه في النون والقلم
المنتقى سيد السكان للحرميــــ
ـن والفريقين من عرب ومن عجــم
نبينا الآمر الناهي فلا أحـــــد
من دون تصديقـه ينجو من النقم

ولا شك أن التشطير جاء جميلا رائعا وان تقاصر عن جمـــال الأصل وروعته ..

وبعد ، فان موضوع المدائح النبوية يرجع الى تراث قديـــم منذ فجر البعثة المحمدية وعلى هذا فان الشعر العربي في غربــي أفريقيا الذى تناول هذا الموضوع لا نجد فيه شيئا من التجديد الذى يستحق الذكر والاشارة،خاصة من حيث المضمون ،لأن الشعراء الذيـــن تناولوا هذا الفن وجدوا أمامهم تراثا ضخما من القصائد يزخر بهــــا الأدب العربي منذ عصوره القديمة.. وقد شد هذا التراث الشاعر الأفريقي لمكانة الممدوح في قلبه فانكب عليه انكبابا كليا واعتبره معين ثقافته الذى ينهل منه أفكاره ويستقي منه أدواته البيانية.وظل يجول فـي فلكه فلم نجد له تجديدا في هذا الموضوع يذكر ،والأمر الذى يمكـــن للباحث أن يفتش عنه من حيث التجديد ، هو اصالة الشاعر وتفرده مــن حيث العاطفة الروحية والتدفق الأسلوبي ..

أما الجنس الشعرى الثاني فهو الشعر التعليمي ، وقد أكثر القوم فيه اكثارا وأجادوا في جميع ميادينه المتمثلة في الزهد والوعظ والارشاد ونظم العلوم الاسلامية ، من نحو وصرف وفقه وحديث وسيرة و تنجيم ومنطق وعلم كلام .. وقد نظموا هذه العلوم تسهيلا لطلبة العلم في عملية الحفظ والتذكر ،اذ ان الكلام الموزون المقفى ذا النغمة والايقاع أسهل في الحفظ من الكلام المنثور..

ويمتاز شعرهم التعليمي عن شعرهم الغنائي بلغته السهلة الشعبية القريبة الى الأفهام ،وقد جنحوا الى السهولة حتى يتسنى لهم الوصول الى الغرض من هذا النوع من الشعر وهو التعليم ..

وها هوذا محمد بلو في احدى ارشاداته يقول :

وكم عشت في غرة وعماء
وجهل ولهو وأنت صبي
ألا فانج واسلك سبيل الرشاد
ولا تسه عما يقول الحفي
من ازداد سنا ولم يكتسب
علوم التجارب فهو الغبي
ومن نال علما ولم يكتسب
به عملا صالحا فغوى
ومن نال عزا ولم يفتخر
ولم يتكبر فذاك السري
ومن نال علما ولم يستظاهر
به ويجادل فذاك الرضي

ملكت الأمور وقلبتهـــا
كأني عليهـا قديمـا ولـــي
ولم أر كالصمت منها جميـــلا
ومكسب ذا الصمت عندى ذكـــى
وذى شغب وجدال وضبـــط
يرى أن صمتا عن القول عـــى
ولم يدر أن الكـلام مـــلام
وأن الصمات مقـام علـــي
ومن ملك النفس عمـا تريـــد
وأتبعها الحق فهـو القـــوى
ومتبعها في هواها زمانـــا
ولم ينههـا عن هواهـا رضـــى (١)
وان القناعـة رشـد كبيـــر
وصاحبها الدهـر خـل غنـــى
وذو الحرص ما أن يـزال فقيـرا
وأن الحريص لئيـم شقـــي
ومن راقب اللـه في أمـــره
وجاهـد فيه فذاك التقـــي

فالشاعر في الأبيات السابقة يسجل نظرته الى الحياة وتجاربـــه عن طريق الحكم والمواعظ وان كانت معانيه في الوعظ مطروقة الا أنـــه

---

(١) كذا في المخطوط ولعله "ردى" أى هالك .

أجاد في ديباجته وعرض هذه الأفكار في قوالب سهلة لا تكلف فيها ولا تعقيد ..

وله أيضا في الوعظ والارشاد الأبيات التالية :

فافزع للـــه الحـــق ولا
تيـــأس من روح المقتـــدر
أحسن ظنـا وبه فثقـــا
كيما يكفيك مـــن الضـــرر
نفحـــات اللـــه لهـــا أرج
تأتـــي باللطـف وبالظفـــر
مهمـا اشتدت بك نائبـــة
فعليـه توكـــل واصطبـــر
عـل المولـــى مـــن رحمتـــه
يأتـي باليســر على الأثـــر
اشفقت وربـــك مقتـــدر
وبســـالف عادتـــه اعتبـــر
لا تقنـــط وارج فضائلـــه
فأمـــور اللـــه علـــى قـــدر
عجـــلا يأتـــي فـــرج بهـــج
الراجـــى منه مدى العمـــر
ســـل ربك لا تســـأل أبـــدا
غير المولى دفع العســـر
رب مـــن عـــاذ بجانبـــه
يكفـى من ظلـم أولى الأشـــر

يأس من رحمته خسر
بل كفر مفض للسقر
سبحه وهلل واعترف
ينجيك من الكرب الخطر
راج من فيض فواضله
بيقين القلب المنكسر
أتراه يضيع راجيه
كلا فالعسر مع اليسر

فالأبيات السابقة كلها تدل على الروح الدينية التي تشبع بها الناظم، اذ يمكننا استخراج معنى كل بيت من أبياته أوجلها من كتاب الله العزيز .. فقوله في البيت الأول مستلهم من قوله تعالى :
﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله .. الآية ﴾ (١)
وأبياته أيضا مليئة بحقائق التوحيد الخالص كعدم الاستعانة بغير الله ووجوب التوكل عليه في النوائب والملمات ..

وللوزير الجنيد قصيدة تعليمية في الوعظ والارشاد يقول فيها :

ألا يا أهيل العصر أين انسيابكم
كأني بكم والموت والله قد نزل
نبذتم كتاب الله خلف ظهوركم
وآثرتم الدنيا فألهاكم الأمل
غفلتم عن الأخرى ولم تتفكروا
صروف الردى في الغابرين من الأول

---

(١) سورة الزمر ٥٣ .

وقد عمروا الدنيا كتعميركم لهـــــا
وأكثر من تعميركم ومن الحيـــــل
وهم منكم أغنى وأكثر قـــــوة
وأطول أعمارا وفي عظم الـــدول
فلم يلبثوا حتى أبادهم الـــردى
فصاروا أحاديثا وضربا من المثـل
منازلهم أمست يبابا كأنهــــــا
لخولة بالأجزاع من اضم طلـل
وكم من قصور شامخات تبدلـــت
قصور من الآجام يرمى بها الحجل (١)
ولم يأخذوا شيئا لكي يتـــزودوا
به بل أضاعوا العمر من قلة العمـل
ولم يغنهم مال ولا ولــــد ولا
حميم ولا من شح منهم ومن بذل
ألا اتعظوا واستيقظوا وتنبهــوا
فقد آن وقت الاتعاظ لمن عقـــل
فعزتكم بالله لا غير فاعلمــوا
ومن رام عزا من سواه فــذاك ذل
ألا فانصروا الاســـلام وفق استطاعة
بقول وفعل موقظين لمن غفـــل

---

(١) الحجل : الذكور من القبج أواناث اليعاقيب .

ولا تـطـعـوا في العز الا بنصـره
فطوبى لمن في نصره قام واشتغل
وبالله لوذوا واستعينوا بنصـره
فما خاب من أمسى عليه قد اتكل
أيا ربنا يا مالك الأمـر كلـه
اليك لجأنا فاكفنا السوء والوجل
ولا تخزنا دنيا وأخرى وبرزخـا
وتب واعف وارحم واغفر الذنب والزلل
أجبنا بجاه الهاشمي محمـد
عليه صلاة الله ما صيّب هطـل
ولا تتركنا للعدو وكيـده
واسبل علينا السترعن سـيء العمل
ونزه فؤادي عن وساوس شدة
علي اشغلني يا كاشف الضر والعلـل

وبمثل هذا التضرع استمر الشاعر الى نهاية القصيدة . . .

على أن الشاعر في مواعظه متأثرا بأسلوب القرآن الكريم في الدعوة الى اتخاذ العبرة والعظة من الأمم البائدة من عاد وثمود وأصحاب أيكة وقوم تبع وفرعون وقارون وهامان وغيرهم . .

وللشيخ الخديم أحمد بمبه منظومة طويلة في النصح والارشاد نقتطف منها هذه الأبيات :

واعلـم بأن من أبى التعلمـا
وقت صباه سيلا قي ندمـا

اذ كل من لم يتبادر للعلـــــوم
مع تفرغ لها قبل الهمــــوم
فلا ينال غالبا مطلوبـــــه
منه وليس يحتوى مرغوبـــه
ان مدحوا تعلم الصغـــار
بكونه كالنقش في الأحجـــار
وشبهوا تعلم الكبـــــار
بالكتب فوق الماء في الآثـــار
واعلم بأن العلم لا ينـــال
الا بحبس النفس عن قيل وقـــال
ولا ينيل بعضه الدهر أحــد
ما لم يهب له الجميع واجتهــد
فأعطه بلا نزاع كلكـــا
فليلك اسهر ولتجوع بطنكـــا
ولتجمع الهمة فيما تطلـــب
بلا التفات لسوى ما يجـــب
ولا تؤخر التعلـــم ولا
تكن مسوفا به دهـرا الى
تفرغن من جملة الأشغـــال
ان رمت أن تلحــق بالرجـــال
فان للدنيا هموما تمنــع
من الهدى وهي لا تنقطـــع

والموت يأتي بغتة وربما
يكون ذا شواغل مخترما
واجتنبن ضحكا وفرحا وصخب
أمام شيخك اذا رمت الأدب
فقد ذكرت جملة من الأدب
تقضي لمن لازمها كل أرب

فهذه الأبيات السابقة تحتوى على نصائح لا يستغنى عنها طالب العلم .. وتتسم بسهولة ألفاظها وحلاوتها مما يقرب فهمها الى أبسط الطلاب .

وهناك منظومة طويلة للشيخ الفقيه عبدالله بن علي القرشي العطار تحتوى على خمسين وثلاثمائة بيت مقسمة الى ثلاثة عشر فصلا في الوعظ والارشاد ، يقول في الفصل الثالث بعنوان " في عتاب النفس": (١)

خذ في عتاب نفسك الأمارة
فانها غدارة غرارة
فذمها من أشرف الخصال
وبرها داء بكل حال
ليست على حال تدوم أبدا
ترتع في روض هواها سرمدا

---

(١) قصيدة ذات الحكم مخطوط .

من اغتدى لنفسه محاسبا
ولهواه والعدو غالبا
أصبح ما بين الورى أميرا
وكان فيه سعيه مشكورا
خالف هواك تنج منه حقا
والنفس والشيطان كي لا تشقا
ذل النفوس عزها فصنها
بالذل في الله وصد عنها
نفسي عما سرني تدافع
وهي الى ما ضرني تسارع
قد أسرتها شهوة وغفلة
تنكر شيئا ثم تأتي مثله
كأنها ناصحة بعدلها
وهي تريش للخداع نبلها
سيئة التدبير أنى أقبلت
أو أدبرت أو ان نهت أو أمرت
أزجرُها ولا تفيءُ ساعة
تدرّع الكبر وتنسى الساعة
تظهر خوفا بيّنا بين الورى
فان خلت فلا تسل عما جرى
وتزدهيها عجبها بجهل
وتزدري أفعال أهل الفضل

كيف السبيل في النجاة وهي في

فلك هواها تجر ريح التلف

فمن جنا حسابها فقد ظفر

ومن جناها غفلة فقد خسر

وفي الفصل الرابع بعنوان " في الموت " يقول :

قدم ليوم العرض زاد المجتهد

ثم الجواب للسؤال فاستعد

تطوى المنايا العمر طيا

وأنت لا تزداد الا غيا

وقد تولى ثم لم تقض الأرب

والموت قد جد سريعا في الطلب

فلا تبت الا على وصيته

وانها عاقبة مرضية

الام تسعى للخطايا صائبا

وقد مضى عمرك نهبا نهبا

أصلك والفرع معا قد سبقا

وأنت ما بينهما ترجو البقا

هيهات لا بد من النزوح

حقا ولو عمرت عمر نوح

ومن حلول القبر عزما عزما

ومن سؤال الملكين حتما

ومنزل ما بعـــده مستعتـــــب
الا النعيـم والجحيـم المرهـــب

فألفاظ الشاعر سلســـة عذبة رقيقـة سهلة شديدة القرب الـــس الأفهام ... وفي الفصل السادس بعنوان " التقوى والخوف " يقول الناظـم :

أفضـل زاد المرء تقوى اللـــــه
سبحانـــه جـل عن التنــــاه
عليـك بالتقـوى وكـل واجـــــب
وترك ما يخشى وشكر الواهـب
وكـن لأسباب التقى أليفـــــا
واعـص هواك وا حذر التعنيفـــا
فالفقـر من تقواك شر الفقـــــر
وشر ما ادرعت درع الكبـــــر
رام نعيم من جنــا المراقبـــــة
وقدم الخـوف وراعى جانبــــه
زين الفـتى خـوف ومعروف معـا
وشينـة جوف وفرج تبعــــا
فالخـوف أولى ما امتطـى أخو الحذر
واعـتقد الصمت ودع عنك الهــذر
لو أن ما استمـلاه كاتبـــاكــــا
بأجــرة منـك ختمت فاكـــا

كل كثير النطق جهلا قاتلـه
والصمت حكم وقليل فاعلـه
طول اللسان يهلك الانسانـا
والصمت علم يعقب الأمانـا
عس يوديك الى السلامـة
أفضل من نطق جنا الندامـه

وللشيخ الحاج منصور سه في النصح والارشاد الأبيـات التاليـة :

أخي أعرني بأذن القلب مستمعـا
يغدك من كان في الأحوال نقـادا
من حكم من قد أرت في نظمها دررا
تكون أفضل زاد ان تـرد زادا
ورأس مال الفتى عقل ومعرفـة
وان هما فقدا حقا فقـد بـادا
دع معشرا حجبوا عن ربهم وعموا
ملازما عارفا في الله منجـادا
حب الرياسة دع ان كنت معتنيـا
بما اعتنى القوم في مولاك مقصادا
والقوم هم حيثما كانوا على حذر
خوفا باخلاصهم سلبا وأبعـادا
للكبر ابليس أضحى خاسئا حسرا
ونال قابل منه الدهر أصفـادا

لا شيء في الدين بعد الكبر أفسد من
حقد ولاتك أهل الفضل حسادا
من آثر العرض الدنيا المعرض للـ
فنا فقد جاء بالخسران الحادا
ولا تسوء أدبا بالله وارض بما
جرى به الحكم امضاء واشهادا
فكل ما شاءه في الكون صاح يكن
كما اقتضى وقضى حكما وايجادا
سلم عليه قياد النفس واسترحن
عن المعونات تسلم نعم من قادا
من يعرف الله حقا ليس يزعجه
شيء سواه وينفى عنه تعدادا
ان كل ما كان مقدورا فليس له
فوت وما لم يقدر فات ايرادا
ان الفتى من سما نحو العلى ودنا
يوحد الله توحيدا وافرادا
ويقطع الوقت قبل القطع منسلكا
مدارج الحق عن دنياه زهادا (١)

وعلى هذا النحو من النصح والارشاد استمر الشاعر في ثلاثين بيتا على بحر البسيط في لغة رقيقة سهلة..

---

(١) الأدب السنغالي العربي جـ٢ ص ١٨٣.

ولعل من أحسن ما قيل في الزهد وحسن الأخلاق قصيدة الشاعر النيجيرى محمد سنبو بن أبي بكر التي ضمنها المقاصد الوعظية التي حوت أغلبها لامية عمر بن الوردى المشهورة التي يقول فيها :

اعتزل ذكر الأغاني والغزل
وقل الفصل وجانب من هزل
ودع الذكرى لأيام الصبا
فلأيام الصبا نجم أفل
واترك الغادة لا تحفل بها
تمس في عز رفيع وتجل (١)

فيقول شاعرنا :

من لذى عين نفى عنه ليالي
لذة النوم له طيف الخيال
يتمنى الوصل من محبوبه
لم يزل مسكنها فوق الرمال
تشبه الدر وأولاد المها
والدرارىّ وأولاد الغزال
وتراها غصن بان ناعم
مائل في كف أرياح الشمال

---

(١) الكشكول ج١ ص ٣٠٦ ، بهاء الدين العاملي ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوى ط/ دار احياء الكتب العربية .

واذا ما نلت منها نظـــــــــرة
أو دنـوا تحت أستار الكـــــلال
خلـت بدرا شق أذيال الدجـى
حوله الأنجم شدت بالحبـــال
ومتى ما وعدتنـا موعـــــــــدا
كان ذاك الوعد لمعانــــــــا لآل
مالها تنجزنـا ما وعـــــــدت
أتفى بالوعـد ربـات الجمـــال
وتـرى الغدر عليها واجبـــــا
والوفا بالعهد ضدا للحــلال
استعيـذ الله مـــن غـــــدارة
تقتـل المحبـوب قتل الاغتيـال
استحلت دم مسكين ثـــــوى
قعـر سجـن الحب منها في العقال
تلـك دنيا لا تكن مغرورهـــــا
ان من غرت لمسكين الرجـــال
لا يكن همك في شيء ســــوى
ما يفيد العيش أوخير المـــال
ليس للانسان الا ما سعـــــى
فليكن سعيـك احسان الفعـــال
خالق الناس باخلاق الرضــــا
وباحسان والا باعتــــــزال

كف عن أمر اذا ما اشتبها
تنج من خوض غمارات الوبال
واكظم الغيظ ولا تغضب على
طيش جهال هم أهل الضلال
ولباس البر والتقوى البسن
وتعمم بحميدات الخصال
ان خير المال ما أنفقته
ابتغاء الله من مال حلال
ومن الايمان امساك الأذى
عن جميع الناس مولى أو موال
وأذى الجار ابتعد عنه وان
هو آذاك فقابل باحتمال
والأمانات احفظنها لا تخن
أوف بالعهد تكن خير الرجال
كف عن مرتع ظلم واعلمن
أنه مرتع ندم ووبال
وعلى الميعاد حافظ وليكن
كل أخلاقك آداب الكمال
وحياء وسخاء ورضا
بقضاء الله مع صدق المقال
ودع الكبر وأنواع الريا
وكذا الحسد وأنواع الخيال

واحبس النفس علـى مكروهـهـا
وعـن الشهـوات تنـج من تبـال

ليست الزينـة بالأثـواب لا
انما الزينـة أخـلاق الرجـال

وابتعـد عمن تراه خائضـا
لجـة العارجر يئـا لا يبـال

صل يا رب على خير الـورى
ما طما البحر بموج كالجبـال

وعلى أصحابـه أهـل التقـى
وكـذا آلهـم هم خيـر آل

ويلاحظ أن الشاعر قد قسم القصيدة الى قسمين ، القسم الأول منها يتحدث فيه عن الدنيا ويصورها بالمرأة الحسناء بارعة الجمال فاتنة الألحاظ تخلب القلوب وتأخذ على مجاميع العقول بنضارتها الباهرة وجمالها الخلاب غير أنها غدارة غرارة مكارة خداعة .. فهي خضراء الدمن ينبغي على العاقل البصير الاعراض عنها واجتنابها حتى لا يقع في شراك غدرها ومرصاد مكرها ..

وفي القسم الثاني حث وتحضيض على حسن التحلي بالصفات الحميدة والخصال المحمودة والتخلي عن الصفات الذميمة والبعد عن سفاسف الأمور ..

وواضح أن الشاعر النيجيرى الزاهد كان يحتذى في أغلب معانيه على ابن الوردى في لاميته الرائعة كما سبق أن أشرنا .. وفي البيت

الثامن من قصيدة سنبو ما يشير الى قراءته لشعر عمر بن أبي ربيعة في قولـه :

ليت هندا أنجزتنا ما تعـــــــــد
وشفت أنفســـنا مما تجــــــد (١)

على أن شاعرنا قد نجح الى حد بعيد في ديباجته وحسـن نظمـه وكريم نصحه الذى يسهل فهمه لغته الشعبية السهلة ... أما صدى الدين في أبيات القصيدة فأجلى وأوضح من أن تحتـاج الى بيانـه فبأدنى نظرة فيها يضع القارئ يده على مواطنها مـن القصيدة ..

ويتصل بالشعر التعليمي المنضومات الحكمية والارشادية للأديب البرناوى النجيرى أبي بكر الملقب بالمسكين ، وقد أجراها مجرى الحكم والأمثال على نحو قوله :

أبنت للطبيب عين دائـــــــي
لأن ذا أدعى الى شفائـــــي
ومن تمنى أن يكون أكرمـــا
فليتق الله يكن مكرمـــــا
ومن أطاع النفس والشيطانــا
أضاع حق الله والاخوانـــا

----

(١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٢٠ تأليف محمد محي الدين عبدالحميد ، ط١ / مكتبة المدني ، مطبعة المدني القاهرة.

ومن يبع آجله بعاجل
يبوء بخسر عاجل وآجل
اياك اياك وخضراء الدمن
فانما الدنيا بلايا وفتن
وانها أخدع من سراب
وطالبوها أخسر الطلاب
كل قضاء فله جلاب
وكل درّ فله حلاب
من غض عن معايب الاخوان
جفنا ير الستر من المنان
لا تفش يا صاح من العيوب
ما ستر العلام للغيوب
ان جاءك الفاسق بالانباء
فلتتبينه الى انقضاء
واعلم بأن من سعى اليكا
لا بد أن يسعى غدا عليكا
وكم غني بات أفقر الورى
وكم فقير ظل أغنى من يرى
اذا هفا أخوك فاعف عنه
أو قطع الحبل فأوصلنه
وقد يكون للحسام نبوة
كما تكون للجواد كبوة

ولا تمدن الى المعالـــــــــي
يـــدا تقاصـــرت عـــن النــــــوال
فجوعن كلبـــك يتبعكــــــــا
ولا تســـمنــه فيبـــتلعكـــــا
عليك بالجـــار قبيل الـــــدار
قد يؤخذ الجار بذنب الجـــار
ونزهن نفســـك عن خســـائس
وجنبن قلبـــك عن دســـائس
وموت زمرة مـــن الأشــــراف
خير من ارتفـــاع نذل جـــاف
واعمل لدنيـاك كباق أبـــدا
واعمـــل لأخـراك كهالك غـــدا
واصبر لكل ما أتـــى الزمـــان
بـه فعقبى صبرك الأمـــان
اذا رأيت عبرة فاعتبـــــر
وانما الدهـــر وعاء العبـــــر
صنائـــع المعروف لله تقـــى
مصارع الســوء لكل متقـــى (١)

---

(١) جامع الأمثال والحكم الفائقة المثال ص ٢ - ٨ مخطوط ، وقد أعطاني الشاعر الجزء الأول من الديوان مصورا ولا يزال عندى . .

وعلى هذا النسق الجميل جرى الشاعر في نصحه وحكمه البليغة وأمثاله الرائعة .. ومعانيه في هذه الحكم والنصح أغلبها مطروقة ... ونفحات الدين فيها أريجة وهو يكاد يقف شعره كله في النصح والارشاد والحكم والأمثال وله في ذلك ديوان ضخم .

ومما هو الى الشعر التعليمي بسبب منظومات شعراء العربيــة في غربي أفريقيا العلمية ، وتختلف هذه المنظومات من حيث القلة والغزارة باختلاف العلماء من حيث الضلاعة والغزارة في العلوم التي يعالجونها وينظمون مسائلها ..

ولعل أبرع ناظم في هذا الفن وأكثر غزارة في ميادينه المختلفة الشاعر النيجيري عبدالله بن فودى الوزير الملقب بعربي السودان لغزارة علمه ، فله منظومات كثيرة في التفسير وعلومه وأراجيز فقهية في العبادات والمعاملات ومنظومات في أسانيده في العلوم التي درسها كالحديــث والفقه والتفسير والتصوف ، ونذكر له هنا منظومتين في النحو والصرف تحتوى الصرفية منها على ألف بيت سماها " الحصن الرصين " افتتحها بالأبيات التالية :

الحمد لله الذى تعرفــا

الى عباده بما تصــرفــا

وأنطق اللغات في البـــوادى

البلغــاء اللســن الهـــوادى

وعم بالروائح الأيـــادى

مع الغوادى المجتدى والجــادى

اذ أرسل الرسول للعباد
يرشدهم مهيع الرشاد
محمد سيد كل ناد
أفصح كل ناطق بالضاد
صلى عليه ذو الأيادى الهادى
وآله وصحبه الزهاد
ما ناحت الحمائم الشوادى
وصاح بالأنعام صوت الحادى
وبعد فالعلم له رياض
وبينها الحياض والغياض
وحولها خمائل شعاب
وفوقها شواهق هضاب
تفرعت من أصله أفنان
وانشق من دوحته خيطان
ومبرز الأسرار للجميع
علم لسان العرب الرفيع
وهو سبيل الفهم للمعاني
في سنة النبي والقرآن
قد اعتنى بحفظه عصابة
في كل عصرهم ذوو الاصابة
فأصلوا وأحرزوا دقائقه
وفرعوا فأبرزوا حقائقه

وقنصوا في نثرهم شواردِه

وسردوا في نظمه قلائدَه

وهي منظومة قوية رائعة في موضوعها جيدة في نظمها على أن المنظومة النحوية الموسومة بالبحر المحيط تتألف من أربعمائة وأربعة آلاف بيت نظم فيها ما أورده السيوطي في كتابيه جمع الجوامع وهمع الهوامع .. وقد قسم المنظومة الى مقدمة وسبعة كتب وخاتمة نذكر هنا نبذة منها :

الحمد لله على تسهيلي

فتح الأعادى مغني النبيل

بالخفض والكسر وجر الهون

والجزم فيهم لازم السكون

ورفع أهل ملة الاسلام

على سواهم آخر الأيام

بنصب راية المجاهدين

وضم شملهم فشاد الدين

اذ نحوه قد صرفوا القلوبا

فأنغموا من سره الجيوبا

مفضل الأنوار في الضمائر

وعادم الأشباه والنظائر

والبسط في المطالع السعيدة

عمدتهم بالمنح الحميدة

فأعربوا البعض على التصريــــح
والبعض مبني على التلويــــح
نهجتهم من أوضح المســـالك
خلاصة ومنهج للســـالــك
فريدة للطالبين كافيـــــة
بشرحها بالارتشاف شافيـــة
ثم صلاته مع الســــلام
على نظام جلة الأنـــام
محمد نعمته آلّت صبغــا (١)
عبـاده فيها عليهم أسبقـا
في الكلم الوجائز الجوامـــع
وصحبه غيوثنا الهوامـــع
ما قام بالنفس ضمير أعربـــا
عنه فم لسامع وقربــــا
واستعينه على نظـــام
جمع الجوامع البليغ السامـــي
على جميع كتب العربيـــة
وشرحه الحائز للمزيـــه
همع الهوامـــع الروى المحيط
كلاهما للعالم السيوطـــي

---

(١) الت أي التي .

وربما أنقص أو أزيـــــــد
لعلـة ونيل ما يفيـــــــد
وربمـا قدمـت أو أخـــــــرت
لمقتض داع السى ما اختـــرت
لقبـه إذ حوى روى السيـوطـــي
وغيره ببحره المحيـــــــط

" الكلام في المقدمة "

بنت فم صوت اذا حرف فقـــد
وما حواه لفظـه ان لم يفـــد
أولا فقولـه كلمـة في منفـــرد
فى ذى اثنتين جملـة لولم يفـــد
وما أفاد فالكـلام والكلـــم
في ذى ثلاثـها وفيد ما التـــزم

" الخاتمـــة "

أبياتـــه زادت علـــى آلاف
أربعـة بمقصـد توافـــى
الحمد للـــه وصلى اللـــه
على محمـــد ومـــن والاه
ومن آلـه وصحبـه غـــران
وتابعيهـم على الاحســـان (١)

---

(١) البحر المحيط .

وللشاعر منظومة أخرى في العروض والقافية سماها : " فتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي " .. هذا .. وللعالم السنغالي أحمد بن أبي بكر عبد القادر آن منظومة في النحو نظم فيها مؤلف ابن آجروم المعروف بالآجرومية نختار منها هذه الأبيات :

قال الفقير التلري أحمد
حفظه من الشرور الصمد
الحمد للجاعل في الكلام
النحو مثل الملح في الطعام
الرافع المؤمن بالايمان
والخافض المشرك بالكفران
وبعد ذا فانني عقدت
ما نثر الخبر وما وريت
محمد هو ابن آجروم
تسهيل حفظ لذوى الحلوم
سميته اعانة الطلاب
في فهم ما خفي من الاعراب
ان الكلام عندهم لفظ مفيد
مركب بالوضع صن يا مستفيد
قد فسر الوضع بوضع العرب
بعض ووضع العجم عنده أبى
وبعضهم فسره بالقصد
مخرج نائم بهذا القيد

وهو على ثلاثة الأقسام
ترتيبها يأتيك بالتمام
اسم وفعل ثم حرف يجلب
لأجل معنى في سواه يطلب

.. هذا وقد قسم منظومته الى تسعة وعشرين بابا ...

ويتصل بالمنظومات التعليمية منظومة الوزير الجنيد النيجيرى في معاني بعض المفردات اللغوية يقول فيها :

أيا طالبا تفسير ما كان مشكلا
عليه ورام الحفظ خذ ما تيسرا
فظمياء أنثى زين فوها بسمرة
ولثتها فافهم وكن من تبصرا
مظالم والاظلام ليس لكشفها
تباج لأن الأمر سهل لمن درا
ظبا السيف معروف وأما الذى ترى
بأسنان هند اسمه الظلم لا مرا
رويدك فاحذر من لحاظ عيونها
.......................(١)
ظليم على ذكر النعام تقوله
وظبيك معروف فكن حافظ العرى
وشيظمك الفرس الطويل وظلنا
ظليل وأحسن أن تذوق بها الكرى

---

(١) سقط من المخطوط .

وجانب لظى لا يدن منك شواظها
وذلك لهب لا دخان له عـــرى
لماظك لعق باللسان على الشفه
تتبع أثر الأكل كن من تدبــرا
حظا انتفاخ اللحم أوجمع حظوة
تأمل بما قد كان فيه مســطرا
نظيرك أي مثل ومن أرضعت على
جزاء تسمى ظئر هذا لهاجــرا
وظلفك للبقرات بل كل دابـــة
حوافرها مشقوقة خلفها تــرى
مقدم ساق الرجل ظنبوب اسمه
شظاظك عود في عرى الحمل للعرى
مظفركم فهو المؤيد فاستمـــع
ومحظوركم ممنوع أمر على الــورى
واحفاظكم اغضابكم من يسيئكـم
حظيراتكم مأوى الدواب لتستـرا

ويستمر الناظم على هذه الوتيرة في تفسير المفردات اللغويـة من الأسماء والأفعال التي فيها حرف الظاء في سبعة وأربعين بيتا علـى بحر الطويل في لغته السهلة الرشيقة . .

وبهذه الأبيات السابقة نختم الحديث عن الشعر التعليمي لدى شعراء العربية في غربي أفريقيا .. على أن الأصالة لم تخالفهم فـي هذا الباب وقد جاء نتاجهم فيه على غرار نظيره في المشرق والمغرب العربيين .

وبعد ، فقد رأينا كيف أن شعراء غربي أفريقيا قد تناولوا معظم أغراض الشعر العربي التقليدية كالمدح والرثاء والغزل والوصف والشكوى والحنين وشعر المناسبات والشعر التعليمي .. وترفعوا عن الهجاء الا فيما ندر ، والسبب في ذلك تغلغل الروح الدينية في وجداناتهم وسيطرتها على مشاعرهم ..ومن هذا النادر قول ابن المقداد يهجو ابن عمه الحاج بكاى سك عندما أهدى القوم اليه " فنال "(١) فردهم حفى حنين فلما بلغ الشاعر ذلك قال :

رد هذا الفتى " فنالا " فنالا
كل عار اذ رد ذاك الفنالا
ترك العرض نهب كل لسان
وانثنى نحو ماله ثم مالا
فالفتى من يصون عرضا بمال
ما الفتى من يصون بالعرض مالا

وللقاضي مجخت كل يهجو بعض خصومه هذه الأبيات :

يا من درى أنه مخصوص أشعاري
لما حوت من صفات الذم والعار
كفاك ذلك ذلا فلتخذه كما
في السجن قد ذقته طورا من أطوار

---

(١) " فنال " هيكل يصنع من الخشب على شكل سيارة أو طائرة يضعه أهل سانلوى في الأعياد ويقدمونه الى أحد وجهاء البلاد كهدية وتهنئة للعيد ..

وصوت " ألكات " لا تنكر ولطمتـــــه

بين الأزقـة من دار الــــى دار (١)

فاغـتم حيث القوافي سوف يحرسه

عن العرائس كلب عندنا ضــــار

هل تدعى العلم من جهل و من حمق

وأنت منذ دهـور بائع ســـــار

وفي الفخر يقول ذو النون :

مالي أخاف عيون النجل ان نظـرت

و انني لا أخاف الفارس البطـــلا

جماعة الشعرا يوما اذا اجتمعـــوا

فانما علمي فيهم أنا ابن جــــلا

كم منكر رام نقصي حين يسمع بي

لما رأني اليه مقبلا قبـــلا

ولا أرى من عـدو شاتم سفهـا

الا وذل بعـون الله وانسـفــلا

ولا أبالي اذا ما الهول يطرقنـــي

لطارق طار فوق الجـو أونــزلا

ويقول في قصيدة أخرى :

وقائعنا مثل الرعـود على العــدى

وأوجهنا مثل البروق اذا لحنـــا

---

(١) ألكات هو الشرطي باللغة الولفية.

وانا ملوك العشق بل امراؤهـــم

قـد استخلفونا في البـلاد وهاهنـا

هذا وقد رأينا أن شعراء العربية بغربي أفريقيا قد اتكأوا في صورهم الفنية في كثير من الأغراض التقليدية على القديم ،وقليل خروجهم عن ذلك .. كما التزموا نهج القصيدة العربية في أغلب قصائدهـــم في تلك الأغراض .. على أنهم قد وشّحوا تلك الأغراض بوشاح الدين ، فظلت الأصداء الدينية تلازم قصائدهم في جميع أغراضها الشعريـــة وستظـهر لنا تلك الأصداء بصورة أوضح في الفصول القادمة ان شاء اللـه تعالى ..

الباب الثاني

شعراء غربي افريقيا

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : شعراء السنغال .

الفصل الثاني : شعراء نيجيريا .

الفصل الثالث : الملامح المميزة للشعر العربي في غربي افريقيا .

الفصل الأول :

شعراء السنغال .

يونس ذو النون له :

هو يونس بن محمد ، من ذرية ألهمام يوسف سر دمبه له . .

ولد في قرية تسمى " حابه " سنة ١٢٩٨هـ - ١٨٧٧م . .

تعلم القرآن ومبادىء القراءة والكتابة في كتاتيب القرية ، ثم سافر لطلب العلم الى كل من " فوت تور " و " موريتانيا " بعد أن طرّشاربه ، وظل يتنقل من هنا وهناك طالبا للعلم . . وأخيرا ألقى عصا التسيار في رحلاته العلمية في مدينة " سان لوس " حيث تتلمذ على الشيخ أحمد أنجنك.(١)

وكانت تربطه مع علماء عصره ورجال الدين عموما علاقات جيدة ، فمدح كثيرا منهم ورثى أغلب من مات منهم ، مثل الشيخ الزعيم الروحي للطائفة المريدية في السنغال أحمد بمبه البكي ، وابنه " الحاج محمد الفاضل البكى " و " ممر جاره بص " و " بل بص " و " محمد ابن ألمام عبد القادر " و " الحاج أحمد أنجاى آن " و " الشيخ ابراهيم جوب الأندرى " و " فودى كبه " المجاهد الأكبر ، و " الشيخ سعد أبيه " و " محمد بن المختار اليدالي " وغيرهم .

توفى ذو النون في مدينة " جيس " سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م تاركا وراءه ديوانا ضخما يضم معظم أشعاره.(٢)

---

(١) الأدب السنغالي العربي جـ١ ص٢٣٧ بتصرف.
(٢) يوجد هذا الديوان في " ايفان " المعهد الأساسي الأفريقي بالسنغال .

ويعتبر ذو النون من أكثر شعراء العربية بالسنغال أصالة في الشعر . .

ويمتاز أسلوبه بالجزالة وجودة السبك وحسن النظم ، ونجده في المديح خاصة وبقية الأغراض عامة يمتاز بالتدفق والسماحة والسهولة وابراز علاقة الود بينه وبين الممدوح . . ويقف على الأطلال ويركب النياق ويقطع الهواجل ويأتي في ذلك بمتوعر الألفاظ مما يدل على سعة معرفته بأوابد اللغة وكثرة محفوظاته من الشعر العربي القديم ومدى تأثره بهذا الشعر القديم الكلاسيكي . .

مختارات من شعره :

. . في مدح "الشيخ الخديم أحمد بمبه البكي" :

مغنى سعاد عفته هوج العشير
وسقته واكفة الغمام الممطر
والعين ترفل في مراقد حورها
ترنو الرياض بكل طرف أحور
وترى مهاها البيض ترعى روضة
مطلولة نمصت ببطن محسر
أطفالها يمرحن في أطلالها
فكأنها في الشعب شعب العرعر
أوعالها تستن في أوعارها
ترعى خزاماها وغض الأزهر
وترى قلائص في تياثر آلها
فكأنهن سفائن في أبحر

غزلانها تقفو مدى ظلمانهـا
ان راعها صبحا زئير غضنفر
فالشوق لو زار الخلي أقلـه
نالته منه كسرة لم تجبر
فالشوق سهم للمشوق وسمه
لو مس آساد الشرى لم تزأر
قد كنت مبتدأ وغيري في الهوى
خبري ومعرفة غدت لم تنكر
أنا والهوى صبّان حالت بيننا
محن تترجم حالة لم تسطر
من لي برؤية من أحب وحالتي
أدهى فعالا من لقاء الفيلق
أعرض فؤادي هيض عن طلل عفا
لم يبق فيه سوى المهى والجؤذر
وذر الربوع ومن بها قد حل من
غيد عليها كل ثوب أخضر
فتفوق أوجهها البدور وتزدري
نفحاتهن بكل مسك أذفر
مهما شدا شاد أملن قدودها
كغصون بان غب ريح صرصر
وكرن شادن يستبيك كشادن
قد حف بالمزمار ثم المزهر

فالحمد منى يستهل غيومــــه
من يومنا هذا ليوم المحشـــر
فالشكر مني دائما يزداد ما از
دادت عطاياه التي لم تحصـر
لله رب العرش جل جلا لــه
سبحانه من واحد متكبــر
من حيث أطلقني وقيد في الهوى
غيرى وصير أبحرى لم تعبـر

... كونوا معي في مدح هذا المرتضـى
شمس الفضائل ذى المقام الأكبـر
ان شئت ذكره وأنت غيـره
شتان بين موءنث ومذكـر
تلقى الورى ان جئت ساحـة داره
والقوم بين مهلل ومكبـر
فالمادحون على جلالة قدرهـم
لم يدركوا مضمار هذا الأشهـر
طولت في مدحي وهم قد قصروا
شتان بين مطول ومقصـر
قد كان عهدى عن جناب أخي الندى
الشيخ أحمد بمب عدة أشهـر

فيمينه قد عممت في الجود حتـــ
ى لم يميــز يعمرا من جعفـــــر

وله حماســة ضيغـم ومـــــروءة
فاقــت مروءة كل ندب خيــــر

أما يتيم عند هذا الشيخ لـــم
يقهـر وسائل جـوده لم ينهــــر

حتى غدت منحا اذا عاينتــــــه
أحبــب به من عـارف متبحـــــر

ما مثلـه كسرى عـلا ومهابـــــة
بل دون ماواه جلالـة قيصــــر

فبنات نعش دون شسع نعالـــــه
بل دون رتبتـه السهى والمشتـــرى

بل لم يجـي حبر بأدنـى فضلـــه
ان راح يزبر رقـه من محبــــــر

هذا كلام صادر من كاتـــــــب
قد قام للفصحاء فوق المنبـــــر

يطوى وينشر في ميادين اللغـــــى
ما راق عيني منجد أو مغـــــور

يا ناسجا ثوب المديح وناظمـــا
فقر الثنا فانظـم لقولي وانثــــر

وأنـخ قلوصـك في فنائي واستـفـد
منى وراقب سر قولي الأزهـــــر

من لم يدن لي جال في تيه الهوى
حتى يموت وذنبه لم يغفر
كم ذيد عن حوض الهوى من عقنى
فالشوق من عرضى يطن وجوهرى
فتريك أقلامي بقاعا روضها
يفتر بين مدرهم ومدنّر
نظما ونثرا يعجبان لمن غدا
يتلوهما في مورد أو مصدر
ما حاك مثل ثياب مدحي حائك
في رقة المعنى وحسن المنظر
بل ما حكى حاك بديعا مثله
بل لم يعنعن في ممر الأعصر
وترى فوائد في ظروف حروفه
تبدى ثنايا بائع أو مشترى
نفحات معناه ونسج بيانه
كبصيص در أوو بيض العنبر
ألفاظه طنانة تغنيك عن
بدر غدت مكنوزة أو بيدر
فلسان حال الشيخ أعلن أنه
يهمى لهاه لعائل ولموسر
فالدهر يعلم أنه هو فرده
وعلى حقائقه النهى لم تعثر

وفيوضه وهيبة ولغاتـــــــــه
ماجابها القاموس ثم الجوهـــرى
وبمنكب ضخم يزاحم من مضـــوا
وهم وفود جمعهم لم يكســـر
هذا سمي المصطفى وخديمـــه
وأمينه في كل سر أبهـــــــر
وله من الرحمن سر باهـــــر
فعليه أفئدة الورى لم تخطـــر
أكرم بحب المصطفى وسميـــه
وشعاع ياقوت الكمال الأنـــور
فصلات جودك واصلات عندنـــا
وندى يديك لأسود ولأحمـــر

وقال يمدح شيخه " أحمد جنك " :

أيا سيدا قد طال عهدى بوصلـــه
وصرت أعاني ما أعانـــي لأجلـــه
أخبركم أن الزمان بعيدكـــــم
رماني سهاما من كنائن أزلـــــه
طويتم بساط الأنس من بعد نشره
كما كان يطوى قارئ همز وصلـــه
فؤادى في نار الهموم مخلـــد
ومدمع عيني وبله اثر طلـــه

أراني بقائي بعد غوصي في الفنا
تعلق معنى كل أصل بفضلـــه
بنفسي أفدي نور ذات سهدتـــه
يشير الى باب الشهور وفصلـــه
تجلى لطور النفس حرفا فدكهـــا
كلا شيء من اسم الجمال وفعلـــه
ونكر حال الدهر قلبا وقالبـــا
وكلفني ما لا أطيق بحملـــه
وقل للذى خلى الهوى لهوانـــه
ألا انما عز الهوى بعد ذلـــه
فصم صدى من لم ير العز والهـــوى
ويصغى الى نصح الخلي وعذلـــه
فمـن لفتى أودى بمهجته الاشـــى
وقاض قضاة الشوق أفتى بقتلـــه
ولو نال كل الخلق بعض غرامـــه
لهاموا وما بعض الغرام ككلـــه
فتى قد سقاه الدهر في طي صرفه
جوى وكساه خلعة المتولـــه
الى شطر هذا الشيخ وجهك ولّـه
وسنّ حسام المدح من بعد سلـــه
ودع عنك أيام الصبـــا وادكـــاره
ودع ذكر حيّ بالعذيب وأثلـــه

وِرض طرف شعر للمعاني وعج بـه
الى منحنى حزن البيان وسهلـه

يمج بديعا كالجمان نفاسـة
مقادا بحبل الوزن من بعد فتلـه

يريك رياضا رقة وجزالـة
على طرفي عقد الكلام وحلـه

وصف جانب الأستاذ قس زمانـه
سبيكة نور الفيض حزيت سبله

اذا اشتغل الأقران بالمال والغنى
تراه وجمع العلم أكبر شغلـه

وكم من عدو جامد جامع الخنى
فبلّ بحلم الشيخ من داء غلـه

وعلج (١) كعجل غلظة وفظاظة
فلا ينه حتى استفاد بوصلـه

أعد جحيما للعدو اذا دعى
نزال وللثاوى نعيما بنزلـه

وكم ماتح وافى قليب رجائـه
فأدرك ما قد سره ملأ سجلـه

---

(١) علج : غليظ الطبع .

بكائية في صديقه ...

نشاطر الورق في أشجانها فغـــدت
دموع أعيننا تنصبت كالقـــرب

ياناعيا قد نعى هذا الامام فقـــد
نعيت صنو اللغى والنحـــو والأدب

من للقوافي التي تحكي اذا بـــرزت
مباسم الروض أو كأس ابنة العنب

من للوسائل والاحسان للقربـــا
من للوسائل والأحكام والخطـــب

تبدى جزالة ألفاظ شعشعـــة
كماء ورد اذا ما شيب بالضـــرب (١)

في كل معنى لطيف دق مدركـــه
أصفى وأعذب من لثم ابنة العرب (٢)

أست تدب دبيب الراح ان تليـــت
للمستهام فيكسى حلة الطـــرب

يجيد حل المعاني المشكلات كمـا
يجود بالفضة البيضاء والذهـــب

تراه يفصح عن تحميد خالقـــه
ما ليس يفصح عنها ألسن السحب

---

(١) الضرب : العسل الأبيض .

(٢) العرب : الكثير من الماء الصافي و المراد هنا : الخمر .

تاج لتيجان أهل العصر قاطبـــة
سمح الخليقة حبر طاهر النســـب
فكم وكم زمر أموا منازلــــه
فأصبحوا لكمال الأمن في رحـــب
آسى لذى سقم واسى لذى يتـم
كاسى لدنى عدم دراكه الطلـب
شاف لذى وصب كاف لذى حســب
كاف لذى قرب يا أعجب العجـب
قد كان مستغرقا أوقاته أبـــدا
في ربه وبه استغنى عن اليلـب
من للرغائب بل من للغرائب بـل
من للغنون ومن للبحث في الكتـب
من للصلاة لدى مختارها أبـــدا
وتاليهـا ومن للشكر حين حبـى
من للسلوك الى البيت الحرام على
نجب كفلك وفلك كن كالنجـب
من للصلاة على المختار من مضـر
من للنوافل والاذكار والقـــرب
ومن يزحزح عنا الكد ان عرضت
بوائق الدهر في أعوامه الشهب
قد كان أجرأ من ليث وأجود مـن
غيث يفيض بلا شك ولا ريـــب

ان جاء منزله ضيف وضيفـــــــه
يفتر عن مبسم براقـــة الحبـــــــب
سحائب العفو من مـــولاه تغمــــره
فضلا وتكسيه من أبرادها القشــــب
لو كان يفدى فديناه بأنفسنـــــا
والأهل والآل والاخوان والنشـــب
قد كان يعبأ بي في كلما أربـــــى
وكان خير أب لي بعد موت أبـــي
اني أعزى جميع المسلمين علــــى
وفاة سيدنا علامة الحقـــــــب
الحاج أحمد انجاى المعتلى حسبا
بقية العلماء الكمل النجـــــب
فما لنا بعده الا الرضى بقضـــــا
ء الله بارى البرايا كاشف الكـرب
والله يرحمه فضلا و يستـــــــره
بحرمة العرش والكرسي والحجـــب
وبالملائكة الغر الكرام و بـــــال
ـمختار خير الأنام الهاشم العرب

صبابــة ..

لمن باللـوى والرقمتيـن مغانـــــي
عفاهـا سحـاب دائم الهميـــــان
مغان بـها القينـــات يلـهى كرانـها
مثالثهـا مشغـوعـة بمثـــــان
فرقرقـن ألجانـا وأرقـن أعينــــا
وأنزلـن كـل الشوق كـل جنـــان
معازفهـا تشجي القلوب رنينهــــا
فتهتـــز أغصانا قدود غـــــوان
ودمعي قبيل اليـوم أبيض ناصـــع
ولكنه في اليوم أحمـــر قـــــان
يقولون لي ذر من هويت فانننـــــي
وربي مالي في السلـــو يــــدان
ذوات الوجوه البيض والأعـين التـي
أشـد بقلبي من وقوع سنــــان
يقول عذولي حـين رق لحالتـــــي
ودمعاه منعينيه ينهمـــــــلان
هوى قد رأيناه هوانا بعينـــــه
وما الشـوق الا في هـوى وهـــوان
هوينا فهنـا حين بانوا وانهـــــم
قد استوطنوا مني أعـــز مكـــان
رأيت فؤادي دائم الخفقـــــان
ودمع جفوني دائم الســـيـلان

رأينا الهوى عين الهوان فأصبحـــا
قد اتحدا في الوصف والسـر يـــان
وما ضم مثلي في الصبابـة والهـــوى
ظروف مكان أوظـــروف زمــــان
وما الشوق الا من معاني حقيقتـــي
وما العشق الا من بديع بيــــان
أنا واحد الآحاد في كل مشهــــد
يصان من الاشواق والهيمــــان
فشؤبوب حالي دائم الفيضـــان
وخيل علوى دائم الـــــذلان
دمي ثم دمعي يجريان صبابـة
وسرى كمثل البرق في البرقـــان
أيا من يباريني ولم يدر حالتـــي
فاني شامي وأنت يمانـــــي
وما أنا الا الشمس في عالم الهـــوى
ويعلم قاص ما أقــــول ودان
معان غدت تلهي قلوب ذوى النهـــى
تريك ابتسا ما باهر اللمعــــان
تراهم سكارى ان ذكرت خصائصي
بغير كؤوس صففت ودنـــان
هم القوم لا زالوا بحورا لسائـــل
فشأوهم قد كل عنه لسانــــي

لقد وقعت منى فنون هواهـــم
وقوع سنان في حنان جنـــــان
أفاض علينا اللـه جـل جلالـــــــه
بهم غيث ايمان وغيث أمـــــان

أطـــلال ..

عفت لسعاد من يبرين دور
على أطلالهـا أسفا نـــــــدور
وقد كنا بهـا والعيش صـــــاف
وكاسات الهوى كنا نديـــــر
تجيب الصاهــلات كران شــــاد
يرن لنا كما يتلو الزبـــــــور
وعهدي عن مسا كنهاالخوالــــى
لها حجج وتتلوهـا شهـــــور
فأمسى الربع لم يؤنس طمـــــا
به الا نئيم أو زئيـــــــــر
ولم يسمع لذى الأطـــلال الا
عـواد أوبغـام أوصفيـــــــــر
يقـول لسان حالي حين بانـوا
ولم يبق الشفـاء ولا الهريـــر
فأين هنود هاتيك الغنــــا، بـل
و أين أولئك الجـــم الغفيـــر

كأن الدمع مذ غابوا وغبنا
لغرط الحزن بير أو غدير
بعيد ورودهم صدروا وكم من
ورود بعده يتلو الصدور
رعى الله الأحبة حيث كانوا
فيسقى جمعهم ماء نمير
لقد نظموا قصائدهم عقودا
فدان لهم فرزدق أو جرير
أرى رواد ها الوارد روضا
أريضا ضمه مرعى مطير
لقد طابوا نفوسا حين كنا
لهم ندما وخارونا وخيروا
نرى الأيام أعيادا ترينا
هناء لم ينله أردشير
لقد آروت مرابع تى المغاني
روابعها فأشرقت القصور
فمالت في خمائلها غصون
وغنت في جوانبها الطيور
وأرسلت السماء مثعنجرات
فتبسم من حواليها الزهور
فمن لي بالوصول الى غوان
كأن وجوههن سنا بدور

بدور في الخدور وكم بدور
تروق العين ضمتها الخدور
شعور كالشعور اذا تدلت
لقيل اذن شعار أم شعور؟
وكنت اذا ذكرن اسمي كأني
مليك أو أمير أو وزير
عسى أن يجمع المولى تعالى
جماعتنا هو المولى القدير
عسير مثل ما نرجوا ولكن
عسير عند مولانا يسير
فسوف تفي مواعدها جياد
فتطوى لي السهول وكذا الوعور
فتبتهج القلوب اذا وصلنا
أما كننا فتفتر الثغور
فتركض في الغيافي والموامي
وتندك الجنادل والصخور
وانجاز الوعود غدا فروضا
لعيس لا يغيبها الفتور
كأن البيد لما أن رحلنا
قراطيس وهن لها سطور
لقد خاضت سفائنها غمارا
فساعدها الجنوب أو الدبور (١)

---

(١) الدبور : الريح التي تقابل الصبا والقبول .

ويطوون المراحل في الصحارى
فتذرع دوها [1] عير فعير
تراها كالصوامع ان ركبنا
ذراها فانحنت منها الظهور
ولا تشكو ولو طالت وجاها
وأعمت مقلة الحربا الهجير
فتاتي لو رأتنا يوم بنا
لتعلم أنني الجلد الصبور
تسامرني أمور في هواها
تكل له القوافي والبحور
لقد لفظت بي البيد البوالي
فها هي لا تزور ولا تزار
فتاة غضة لو كنت زيرا
لزرت جنابها مع من يزور
فها هي من نفور قد تولت
وعادات الحسان هي النفور
رأتني غير مأسوف عليه
فخامر خاطرى أمر خطير
أروح كأنني من فرط حزن
أسير أو كسير أو أجير
أيا ابنة مالك اني مشوق
اليك وأنت للعينين نور

---

(١) الدو : الفلاة المستوية .

صحابى لا تقيسوني بغيـــرى
أيحسب من يطير كمن يسيـــر
يسير بشوقه قيس وانـــي
على علات أشواقي أطيـــر
وكم ليل تظل به نجـــوم
وتحت ذيوله مطر غزيـــر
يضل سواد عينك في رجاهـــا
فلا يهدى اذا ضل الخفيـــر
أشق ثياب غيهبه كأنـــي
على حافاته شرر يطيـــر
فتاتي انني لك جد صـــب
عشوق والعليم به خبيـــر
ويعلم ما أقول الخلق طـــرا
ويعلم ما أقول سعيد نـــور
لقد قاسيت بعدك من شجـــون
يذوب لخوف وطئتها ثبيـــر
سأمنح قادما منكم الينـــا
جواهر لا يجود بها البحـــور
سفائن جئن منك لهن منـــي
نفائس دونها الروض النضيـــر
أيمكن لي العبور على بحـــور
عراض ليس يقطعها العبـــور

أقول وعينك الحوراء عبرى
أهذى عبرة أم ذا عبير
أماوالراقصات الى المعلى
وما حوت المباسم والخصور
وما للغيد من وصل مروم
وصد دونه يعمى البصير
لأنت حياة روحي دون ريب
وذكرى القلب ان أزف المسير
سمي أبي لديك فحاذرى أن
تخاشنه الأذية اذ تطير
اذا رخصت نونا من هواني
يكون هوى فيحصل لي السرور
اذا ما القينة الشنباء غنت
غدت أوتارها شجني تثير
بأيدى فتية قد أنستني
فأنستني الخطوب اذا تدور
فأيام اللقاء لنا جنان
وأيام الفراق لنا سعير
بدا فتيانهم وهم أسود
تصيد وهذه الفتيات حور
على لباتهن عقود در حرائر جل كسوتها حرير

حماسة ..

مالي أخاف العيون النجل ان نظرت
وانني لا أخاف الفارس البطلا
جماعة الشعرا يوما ان اجتمعوا
فانما علمي فيهم أنا ابن جلا
كم منكر رام نقصي حين يسمع بي
لما رآني اليه مقبلا قبلا
ولا أرى من عدو شاتم سفها
الا وذل بعون الله وانسفلا
ولا أبالي اذا ما الهول يطرقني
لطارق طار فوق الجو أو نزلا

ذات القوافي ..

شبابك فر وشيبك قر
وعمرك مر فأين المفر
ذيولا تجر كأنك عمر
وعيشك صبر وخيرك ضر
تهيم لبكر لدى أنت بدر
وريقك خمر وثغرك در
للهو تخر ومالك فكر
وحلوك مر كأنك غر
فعامك شهر وقلبك صخر
ودنيا تسر وسرك شر

فطورا تغر كأنك هر
وطورا تضر ككلب يهر
وأنت تسر لأمر يضر
ولست تقر لهذا المقر
ولا تستقر لهذا المستقر
ويكفي لحر شعير وبر
ومن هو حر جميل السير
لكان يفر لهول سقر
أدر قلب بر بوجه أغر
هوى قلب فر عنى فى صرر
دموعا تدر لحزن يتر
كصخر أبر أرتنى العبر
بروض يمر سحاب مدر
به ما يسر لأهل الفكر
فطورا أجر وفى السر حر
وفي القلب حر كوخز الابر
جديد كطهر ونظم كنثر
وترب كتبر لقوم غرر
وحبر كبحر وسر كجهر
وطي كنشر لمن يدكر
ازل كل كبر ونزه وكبر
إلهك واشكر لتالي الخبر

وهـنـدى كـمـر و بسر كـمـــــــــــر

ونهـي كأمـر لمن قـد كـفـــــــر

ومن يكفهر دواما كـنقـــــــــدر

كـن يقشعـر أسى للقـــــــــدر

يضـر مضـر وفي القلــب مكـــــر

ولم يـك أمر لمـن قـد غـــــدر

وكـن مـن يغـر لما فيـــــــه وزر

وذل وفـقـر شعـار المصـــــــــر

شبابـك طـهـر وذا الرجـز فاهجـر

ورافـق وشـمـر قبيل السفـــــــر

وبحـر كبر وليل كـفجـــــــــر

لمن هو حبر بـدا أو حضـــــــر

دواما تـدر صـــــلاة تقـــــــر

وعينا تـمـر لخيـر البشــــــــر

وآل نســــر بهـم ويــــــــــدر

لنـا كـل بـر وصحـــب وصبــــر

تقاصيـر شـــــكر موائـد بـــــــر

برائـد نـصـر لمـن يا تمـــــــــر

ويردى طـمـر مكـر مفـــــــــر

بكـل أبــــر عليـــــه غــــــــدر

مدارس ســـر جحاجـح غــــــر

فللـــه درهـــــم مــــــن درر

كواكـــب زهـر مــوارد فخـــــر
مصـادر ذكـــر مـن المقتـــــدر
لهـم كل بــرلـه طيـب نشـــــر
بـــه يســتمر لكـــل البشـــــر

القاضـــي مجـخـت كـل :

ولـد مـكـل بن موسى الذى اشتهر فيما بعد بالقاضي "مجخت كـل " في قرية " كرمكـل " وقد نزحت أسرته من " انجامبر " واستقـــروا في القريـة المذكورة .

نشأ وترعرع في كنف والده ،وتثقف عليه ويعتبر والده هـــو شيخه الوحيد .

وكان والده أول من أتى بعلم النحو الى " باكـل ".(١)

وبعد أن طرشاربـه انتقل مـن قرية جده "كرمكل " وأســس قرية سماها "عين ماضي " وكانت بينه وبين ملوك السنـغال علاقـــات وطيـدة مثل الملك " دميل لتجور جوب " الذى عينه قاضيا في بلاطـــه ، وقد أظهر في هذا المنصب براعـة نادرة . وكذا الملك " علبرى انجاى " و " بَوْر سِسَّنْ ".

كما تربطه مع شيوخ وعلماء عصره الأكابر علاقات وديـة . مثـــل الشيخ أحمد بمبه تلميذه والشيخ الحاج مالك سـه والإمام قابه جـــخ والشيخ أحمد شيخو التجانى المجاهد الباسل والحاج ماجور سســه وكذا الأمراء المستعمرون .

---

(١) الأدب السنـغالي العربي جـ٢ ص ٢٤٨ .

القاضي والقضاء :

يقال ان سبب تولية " لتجور " له القضاء هو أنه دعا له في بعض حوائجه ،فاستجاب الله لدعوة القاضي ،فأراد " لتجور " تقريبه اليه وجعله من خاصته فأولاه القضاء .

ومن أشهر أعماله القضائية فتواه بوجوب دفع الزكوات الى " لتجور " وذلك عقب عودته من " سالم " بعد وفاة الملك " تفسير مابه جخ " واعلانه نفسه أميرا للمؤمنين في " كجور " فامتنع كبار العلماء عن دفع الزكوات اليه فقاضهم الى القاضي " مكل جخت " وكان قضاؤه أن قال :

" اني قرأت في الكتب أن الزكاة تدفع للامام ".

ومن أبرز مواقفه القضائية التي تنم عن قوة شخصيته امتناعه عن دفع الزكاة الى الملك " دمب وارسل " فقد أرسل اليه ذات يوم جابيا لجمع الزكوات فقال القاضي للجابي : قل لدمب وار لا أوتيه الزكاة واني لساع في منع النهب والسلب باسم الزكاة . وفي ذلك نظم قصيدة عربية وَلْـغـيَّـه مطلعها :

يا حاجبا ساكنا حيث الأمير سكن
وَقَلَّمَ توبِّ فبور ب تَيِّب أكسبكن (١)

ثم ذهب بالقصيدة الى الحاكم الفرنسي في " سان لوى " فمنع هذا النوع من السلب وأكد في المنع. (٢)

---

(١)

(٢) الأدب السنغالي العربي جـ٢ ص ٤٩.

ومن مواقفه القضائية ما ذكر من أنه (١) : " ترافع اليه رجلان ذات يوم فأقام أحدهما الدعوى على الآخر قائلا : فإنّ لي دَيْنا على صاحبي هذا وفي وقت كذا تحت ظل شجرة كذا ، والآن أنكر عليّ الدَّيْن. فقال القاضي لصاحب الدعوى :

اذهب الى هذه الشجرة وارجع إليّ بغصن منها ، أما أنت الذى أنكر هذا الدين امكث هنا وابق وانتظر ، ولما خرج صاحب الدعوى خطا القاضي معه بعض الخطوات ورجع الى مجلسه . وقبل رجوعه الى مجلسه همس صاحب الدعوى " لا تذهب بل انتح زاوية وانتظر ، ولما طال الانتظار قال القاضي بغتة :

ان صاحب الدعوى لبطيء لم يرجع الى الآن ، فقال من بقي في المجلس : لأنّ الشجرة لبعيدة جدا ، فصاح القاضي نحوه " قد اعترفت بالدين وأقررت بأن صاحبك صدق في اتهامه اياك وأن له دينا عليك انعقد أمام شاهدين ، الله والشجرة ، ثم دعا بصاحب الدعوة فقال له : " لقد صدقت فالدين لك ". (٢)

ويمتاز القاضي بالذكاء الحاد والشجاعة الأدبية ، والجرأة والفصاحة وحضور البديهة وصفاء الذهن والعقلية القضائية والحرية العقلية والاعتداد بشخصيته العلمية والأدبية ، وكان يحب التحرش بالعلماء ومناظرتهم ومساجلة الشعراء . وكان نابغة زمانه في العلم والأدب والقضاء.

---

(١)
(٢) الأدب السنغالي جـ٢ ص ٨٣ .

وقد عاش القاضي في بيئة تعج بالقضايا السياسية التوسعية التي أدت الى حروب بين الملوك السنغاليين من جهة وبينهم وبين الشيوخ المجاهدين من جهة أخرى وبين المجاهدين والمستعمرين من جهة ثالثة : مثل جهاد " ألمام ما به جخ " وجهاد " أحمد شيخو" الذى حارب المستعمرين وقاتلهم قتالا مستميتا ، وكذا غزوات " دميل لتجور" التي كان الكثير منها من وحي القاضي الى هذا الملك الذى أولاه القضاء وجعله وزيرا وكاتبا ومستشارا له.

وقد أوحى اليه القاضى بحروبه تلك لهديه الى الاسلام ، وكان "لتجور" مدينا للقاضي في أغلب انتصاراته .

ويبدو أن القاضى قد خاب ظنه في لتجور وخيّب أمله في اتجاهه الوجهة الاسلامية المطلوبة. لذلك فقد رأينا القاضي المستشار يشمت بلتجور عندما هزم من قبل الجيش الاستعمارى بقصيدة رائية مطلعها :

أصادق في ادعاء الدين "لتجور"

أم انما همه في ذاك " كجور"

وما أن سمع " لتجور" بهذه القصيدة التي تفضحه حتى توعد وهدد وعرض القاضي للقتل . ولم يكن القاضي ممن ينقصهم الذكاء حتى يقع في شرك " لتجور" فقد شفع قصيدته تلك بقصيدة أخرى أشاد فيها ببطولة " لتجور" وجعله ناصرا لدين الله في "كجور" وهازما لجيوش أعدائه ، فقال في مطلع القصيدة :

بشرى لقد شاد دين الله لتجور

فأحيي اليوم بالاسلام " كجور"

ولما قتل " لتجور " طلب القاضي من الأمير الفرنسي العودة الى "كجور" . وفي ذلك يقول أحد الباحثين : " كان " مجخت كل " الشيخ الشهير مستشارا حميما للتجور وشيطانا مهلكا ".

وقيل انه لما قبل القضاء من "لتجور" كان يريد أن يجعل ظلم " جيدو " وقسا وتهم وهمجيتهم بعيدة من حدود الله ومبادئ العدل والمساواة والاخاء الاسلامية ، وان سعي القاضي في الرجوع ب "لتجور" الى اقامة حدود الله قد لاءم المستعمرين لأسباب أمنية وتجارية. (١)

القاضي والولاة المستعمرين :

حذر المستعمرون من ذرابة لسان القاضي وتأثير قريحته التي طالما أيّد بها ملوك البلاد مثل "لتجور" و "علبرى انجاى" بمدائحه لهم ومساهمته الفعالة في الحروب التي دارت رحاها بينهم وبين الغزاة المستعمرين .

وقد عدوه زعيما دينيا ذا مكانة عالية وكلمة مسموعة، وهم من جربوا مرارة القتال مع رجال الدين في هذه المنطقة ، مما جعلهم يضطهدون كل زعيم ديني .

وقد حاول الفرنسيون اكتساب ولاء القاضي فعينوه قاضيا فخاب مسعاهم . فاستدعي القاضي الى " سان لوى " وهناك حددت اقامته ، فاحتج على ذلك بقصيدة ، الشطر الأول من كل بيت باللغة العربية

---

(١) الأدب السنغالي العربي ج٢ ص٥٧ .

والشطر الثاني باللغة الولفية ، وألقى القصيدة أمام الحاكم الفرنسي . يقول في مطلع القصيدة :

هل من سبيل الى دارى وساكنـــه

تَبـوَلا دِ وَخْ وَيمَه يومَن فِتل كَميتـــه

وقد عثر في الوثائق الوطنية السنغالية على خطاب القاضي الـى امير "أندر" في ١٤ من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٨٦م يقول فيها : لم تمنعني عن الرجوع الى دارى ؟ عشت عابدا الله وحده معلمـــا تلاميذى وأولادى حارثا حقولي .. طلب مني "لتجور" أن أكتـب رسالاته الى والي "أندر" ورسمت كل ما أملى علي بلا زيادة ولانقصان . لا فعلت سوى ذلك فلم أك مرتكبا شيئا من السلب أو السرقة وما ظلمت أحدا ، وانما أنا قاض بين الناس بالعدل لا غير". (١)

ولم نطلع على جواب من أمير "أندر" على هذا الخطاب .

ومهما يكن من أمر فإن القاضي لم يكن منعزلا عن أحداث مجتمعه السياسية .. والاجتماعية والثقافية .

لقد عرف القاضي بسعة علمه وعلو كعبه في الفقه والأدب والتصوف.

ولم يأخذ عنه العلم الا قليل من طلبة العلم ذوى الهمم العوالي والعزم الأكيد ، لما عرف عنه من تشديد في مسلكه التربوى والتعليمي الشاق ذى ثلاث شعب .

---

(١) الأدب السنغالي العربي ج ٢ ص ٦٢ .

فهو يعتني بالطالب من الناحية العقلية والنفسية والدينية ، وقلّ من بين طلبة العلم من يتحمل هذا السلك المثلث في التربية والتعليم، وخاصة اذا علمنا أن هذا المنهج التربوى الجيد يخالف ما درج عليه معاصروه من العلماء الذين يهتمون فقط بإلقاء الدروس على الطالب و يهملون ما سوى ذلك ،ولذا لم يكثر تلامذته غير أن القليل الذين تحملوا أعباء منهجه كانوا جميعا من الشخصيات البارزة في مجال الأخلاق والعلم والزهد والتربية ،و يكفيه فخرا أن من تلاميذه الشيخ الخديم أحمد بمبة الزعيم الروحي للطائفة المريدية في السنغال ،والذى عرف عنه الذود عن حمى الدين والذى أقض وجوده مضجع المستعمرين رغم أنه لم يكن مجاهدا بالسيف .

وقد خلف القاضي لنا آثارعلمية ،منها كتابه في علم اللغة والذى سماه " العين " ،وقد ضاع هذا الكتاب في مدينة " جيس " السنغالية. كما ترك لنا منظومة عروضية تتألف من أربعة وثمانين وثلثمائة بيت على بحر الرجز سماها : " مبين الاشكال " ذكرنا نبذة من أبياتها في الشعر التعليمي .

كما خلف لنا ديوانا سماه " مكلية " ويحتوى على خمسين قصيدة وهو الآن عند العلماء الموريتانيين ،كما ترك لنا قصائد ولفية و أخرى عربية ولفية . (١)

---

(١) راجع كتاب الأدب السنغالي العربي جـ٢ ص ٥١ .

ويمتاز القاضي بشاعرية نادرة ، كما يتسم شعره بالتدفق والانسياب والتعبير التلقائي السهل ،كما تتسم ألفاظه بالسهولة والرقة والبعد عن الاغراب والتكلف مع سلامة التراكيب وجودة النظم .

مختارات من شعره :

" كشف النقاب "

أصادق في ادعاء الدين لتجور
أم انما همة في ذاك " كجور "
مروه يذعن ويخضع للملوك معا
وهل يراز النصارى البيض مقدور
ما اهتم مذ شب الا باحتساء طلا
حتى مضى يومه المعروف في " لور"
اذ جاءه عسكر " افليز " (١) قائدهم
فيهم " كمندا " و " كبتين " و " دكتور"
وهم ينادى بأسماء المجوس الى
أن جاء " لستر " و " دركن " ثم " ماجور"
حتى اذا اجتمعوا طرا رموا فرموا
بكنّ (٢) فافترقوا والجيش مكسور

---

(١) افليز : اسم قائد فرنسي .
(٢) كن : مدفعية فرنسية .

وهم يقولون ماذا الرعد حل بنـــا
حيث الرصاص مع البارود منشـــور

وأننـا لا نرى الا هزيمتنـــا
فجل جيشك مقتول ومأســور

فثم ولوهم الأدبار فانهزمـــوا
بالذل فادعوا الاسلام في "جور"(١)

وظن أن له منجا ومعتجمـــا
اذ صار "جور" له سكنى وكوور(٢)

فجاء بالدين حلق الرأس عمدتـه
هل ذو حلاق بغير الحج مأجور

حتى لقوه لدى يوم الخميس ضحـى
في "لوك"(٣) أيضا كلا اليومين مشهور

مثلا بمثل فقد حل الغدير لهـم
من بعد تحريمه إياه والبيـــر

فللنصارى شئون من عجائبهـــم
فلا تقل عوض ان أخبرتهـا زور

لله درهم في كل معركـــة
أميرهم مستطير الشر محـــذور

فهل أمير نحييه "بدو" و"جمم"(٤)
بل التحية فينا اليوم "بنســور"(٥)

---

(١) جور : قرية .

(٢) كوور : قرية . (٣) مدينة في السنغال .

(٤) وم وجمم : كلمتا تحية بمعنى : هل أنتم بخير وعافية .

(٥)

" في مدح " لتجور " بعد الوفاق " :

بشرى لقد شاد دين الله "لتجور"
فأحيي اليوم بالاسلام " كجـور "

تلفيه يأمر بالمعروف عسكره
كأنما جاءه من ربه النـور

وهل ترى ناديا فيه تمر به
الا ويسمع تهليل وتكبيـر

يروع أفئدة الأعداء كتائبه
كأنهم غنم للأسد مذعـور

فليدخل الناس طرا في طريقته
طوعا والا فسيف الموت مشهـور

علام قال النصارى "لا يزول لنا
ملك - وهل قيلهم الا أساطيـر

مار النسور مرارا والضباع معا
منهم وهل جمع أهل الشرك مكسور

ما زال يضربهم بالبيض يطعنهم
حيث الرصاص مع البارود منشـور

لم يشتك الجوع من نسر ولا ضبع
الا وهامهم في البيد مجـرور

أقام سبعة أعوام يبارزهم
حتى رأوا أن جند الله منصـور

فحاولوا السلم منه قائلين له
"لك البلاد فهذا خذه " كجـور "

تالله ما سلموا الا لما عهـــــــدوا
أيام لاقوك في " كونكول " وفي " لور"
و " لوك " بعد " مخٍ " فالسلم موجبها
لم يخف أنك ياضرغام محـــــذور
فلا يسوءك مدى الأزمان أنهـــم
فاجوك في " مخٍ " الثاني وفي " لور"
كم حاربوك حروبا لاتطيب لهـم
نفسا وأنت قرير العين مســـرور
خالوك منزعجا إذ غبت ذا بعـــد
وإن ذاك من الأكباش تأخيـــر
ومن " مداخ " جمعت الخيل يركبها
مرد علامتهم حلق و تقصيــــــر
مثل الجراد بهم غص الغلاء وقــد
غاظوا وفاروا كما قد فار تنّــور
يبادرون حياض الموت قاطبــــة
شم العرانين أبطال مشاهيـــر
ينازعون جيادا في أعنتهـــا
ترنو إليهم نساء الجنة الحـــور
يمشي المشاة أمام الركب واحتفلوا
أقدامهم تشتكيها التل والغـــور
لهم غبار يكاد الجو ممتلئــــا
منه اذا قلت فيهم آمرا " سيروا "

سيّرتهـم فأجدوا سيرهم واتـى
بهـم سُرى ثم إصعاد وتهجيـر
يقودهم عمك المختار محتزمـا
كالليث ذى اللبد الشاكى أظافيـر
وقد تلقاك بالتأمير أهل نهـى
إذا مقال النصارى "مِرْسِ لتجـور"
لله درك من جمع قوائلـه
باقى الثناء ليوم الدين مذكـور
هل تغضبن لقصيد قلته وجـلا
عند العدى إن ذا الأوجال معـذور
لم أدر هل أنا تيس في السباع اذا
أم أننى في يد الصبيان عصفـور
والله يعلم أنني لم أكن أبـدا
أهوى أناسا أحبيهم "بيونور"
وما "كمندك" و"كبتين" لديَ ولا
"سرسان" ولا "كولونل" الا اليعافير
ولا "التلايور" ولا "السندرمر" معهم
"كبلار" قائدهم الا خنازيـر
وهم جحاش أتان بيننا نهقـت
اذ أحدقوا لتداويهم ب "دكتـور"
حمدا اذا ما النصارى أخرجوا فلنـا
من بعدهم لديار الدين تعميـر

أخرجتهم بحروب ذكرها أبـــدا
باق بقاء جبال الأرض مشهـــور

*

"تحذير من الاختلاط والبدع" :

فتب الى الله توبا خالصا حسنـــا
لازم حياتك يا باغي الهدى السننا
ومن أتى غير مسنون فقربتـــه
مردودة شَرَّرَن كلما علنـــا
فصار ذا الدهر من لم يأت من بدع
فهم يقولون هذا المرء قد رعنـا
وان أشرت الى ترك ابتداعهــم
تكن لهم صدفا اياك والحزنـا
هر الكلاب فلم يولف له ضـــرر
والله حافظ من يهدى لما حسنـا
نعوذ بالله من عبد يحلل مـــا
قد حرم الله مكر الله قد أمنـا
وباعدوا بين أنفاس الرجـال وأنـ
ـفاس النساء كلام صدقه متنـــا
تالله دين أتى رفع الخرائد من
أصواتهن بمندوب لقد زمنـــا
من بعد ما كان في المفروض ممتنعا
ان الشياطين يوحى بعضهم فتنـا

فما الدليل لمن يأتي الجـواز بـذا
الا التمرد والاتباع من شـطنـــــا
لأنْ تحريم ذاك الرفيع أظهر من
شمس الضحى كل آفاق فلا تهنــا
لنا الأدلـة لا يحصى لها عـــدد
آى حديث واجماع ذروا الفتنـــا
ان الشريعة ما ترضى وما قبلـــت
بشاهد وامام أهلـه أذنـــــا
الى الخروج لهذا غير معتـــذر
وراجعن كتب الأعـلام والأمنـــا
اهانـة الشرع والتعظيم ما اجتمعا
خافـوا اهانـة هذا الدين يا فطنـا
بدا غريبا كما قال النبي بـــــه
وعود غربتـه قد كان معتلنـــــا
كفى من القبح اذ لم يأت فعلهم
دين النصارى يهود فاتركوا الددنا
لولم يكن غير تحقير الأجانب من
طوائف ديننـا يكفي لنا الوهنـــا
وهم يظنـون جهـلا أن يثيبهم
مولاهم وهو ذاك الجمع قد لعنـــا
بالله والله تالله العظيم فمـــن
أعانهم نال ما للّعن مفتتنـــــا

وكل من سكتوا في ذا وقد قـدروا

تغيير اثمهم في الشرع ما كمنـا

ثم الصلاة وتسليم الاله علـى

هادى الخلائق آل صحبه الخدنا

أحمد عيان سه :

ولد "بأندر" في ١٧ من شهر نيسان سنة ١٩١٣م .
وأبوه عثمان سه وأمه السيدة آمنة جلو ..

وقد تثقف على والده في علوم الدين ،كما درس على المعلم "مودآج" كثيرا من علوم الدين ،ثم درس التصوف على والده وأخذ منه الورد التجانى . وقد درس الشعر والعروض على يد السيد محمد عبدالله بن فقا الدوءلي الموريتاني . (١)

ويعتبر شاعرنا من فحول شعراء العربية المعاصرين في السنغال ، ويكاد يقف شعره على المديح النبوى والمديح عموما ثم الرثاء فالقضايا الوطنية والاجتماعية .

ويمتاز شعره بالتدفق والسلاسة وجودة السبك وحسن النظم وحيوية التجربة وصدق العاطفة بعيدا عن التكلف والتقليد .

*

مختارات من شعره :

" مسمطة نبوية " :

مالى غزال لحظ الغزال
أخو الدلال برح الخيال
رد السلاما لنا وقاما
يبدى ابتساما مثل الهلال
لكن جفاني لما رآني
في الحب عاني بادى اهتلال

---

(١) الأدب السنغالي العربي ج١ص ١٣٣.

صبرى تهاوى عن وصل آوى
فلن أساوى منها بحال
مثل الكثيب مثل الخطيب
وللحبيب بلا نوال
مهدى الأيادى دأبا بدادى
مغنى الأعادى يوم النزال
عالى المنار باز الفخار
مثل النهار وقت الزوال
من يدن منه لم يسل عنه
اذ فيه كنه أسنى الخلال
بدر البدور فخر الدهور
مجرى الأمور على اعتدال
ذاك الأمين الكنز الثمين
ذاك المكين بلا جدال
ذاك الرسول البر الوصول
الهادى الجليل عين الكمال
هو الرؤف البر العطوف
له زخوف على التوال
أصحاب طه بهم يباهى
لهم تنهى كل الكمال
أسرى الاله به اصطفاه
على سواه مدى الليال

يا مصطفى يا خير البرايا
كن ناصرى يا بدر المعال
الى الطباق على البراق
بلا شقاق ولا جدال
أسرى فحلا قرب المحلا
جبريل ولى دون المنال
فالأنبياء منه استضاءوا
اليه جاءوا في كل حال
صلى اماما بهم اماما
ثم استقاما لذى الجلال
فنال فيه من مصطفيه
ما يشتهيه من الكمال
أتى بخمس لكل نفس
تضحى وتمسى مثل الزلال
فالله الأعلى للذكر أعلى
بالليل يتلى وبالزوال
له الكتاب المستطاب
فيه الصواب لكل تال
هو المراد لمن أرادوا
هدى وحادوا عن الضلال
هو السلام هو الامام
فيه الحرام مع الحلال

فيه الحقائق فيه الدقائق
فيه الرقائق لذى المعال

فيه العجائب فيه الغرائب
فيه الرغائب لذى السؤال

هو المبين الحبل المتين
به الأمين أخو المحال

هو المنير عذب نمير
به أسير بلا كلال

به عنيت به رويت
به أنيت أخا النصال

به سقيت من اعتميت
به جنيت أهل الدوال

به اكتفيت به احتميت
مما خشيت من الرجال

به أفوق قومي أروف
به الوثوق عند النضال

بسر فزت لما عجزت
لذاك حزت أعلى الكمال

بمدح هادى كل العباد
أرجو الأيادى مع النوال

اني فقير ذنبي كثير
أنت القدير على امتثال

ياذا الجلال يا ذا الجمـــال
يا ذا المعال زيـن فعـــال
ربي تعالـى أرجـو اتصـــالا
منه بما لا يغني بحـــال

حقق مرادى واملأ فـؤادى
بسر صادى خير الرجـــال
أفض علينا مما اشتهينــــا
فيضا يرينا أعلى امتثـــال
وصل ربي على المربـــى
وذاك حبي طـــه والآل

*

" حنين الى كولخ " :

ربع ليلى بقنة الريحـــان
عم صباحا سقاك كل يمانــى
ما سلونا ربوع ليلى ولكـن
طال عهدى بأهل تلك المغاني
لست أنسى ظباء " كولخ " فيها
وظباء القنا وعين عمــان (١)

---

(١) مدينة.

وشهورا بها كشهر ربيـــــع
وسنينا كقـرة النيســــان
وبدورا بهـا فتن عقــــولا
ولحاظـا بهـا رمين جنانـــي
وظبيـا بهـا أغـن كحِيـــلا
فاتنـا فاتـر الجفـون سبانـــي
فتـن القلب دلــه فشـجـــاه
يا لقلبـــي من ذلـك الفتـــان
لا تسلني عن غيرهـا فهواهـــا
بلـغ الحد في الهـوى والهـــوان
وقريض من الحبيب أتانـــي
كعقود الجمـان والعقيـــان
خلتـه للسـيوط قدما جليســا
رونق الشعر من بديع المعانـــي
طالما قد شغفت مني قريضـــا
جرذيلا على قريض الزمـــان
ان نسج القريض طوع جنانـــي
ولساني وكاغدى وبنانـــي
وخفيف القريض عندى خفيـــف
وطويل القريض طوع لسانـــي
آخـذ الشعر من طريق جــــرير
وجميل وعروة وأبـــان

وسهيل ومعمر ويزيــــــد

وأبي طيب وشعر الأغانـــي

هاكها بنت يومها قد تبدت

ربعة القد من رياض البيـان

*

" هتفات الى أهل السنغال " :

يا أهل " سنغال " لاعاداكم الزمن

لم لا تسير بكم نحو العلى سفـن

فلتشرعوا ساحة الأعدا رماحكم

فلتختلى منهم الأذقان والوتـن

بمرهفات كلون الملح ساعدها

في طعنها ساعد ما مسه وهـن

جيوشكم يكشف الألباس طالعها

وكل قلب عراه خوفها حـزن

يكفي مقدمة الحساد طالبهـا

ان لاح سيف صفت مرآته حسـن

خلاصة سرها الوهاج زورقهـا

فيها النجاح وفيها الأمن واليمـن

مسالك أنبتت وردا ولاح بهـا

وشي ألح عليه العارض الهتـن

ينبوع نيلكم تشفى مواهبـه

وعقد جوهركم ما شانه درن

وانما الأحمر الكبريت وصلكـــــم
فعنه ما أن تصان الروح والبــدن
وما سامركم يبغى بــه بــــدلا
وليس في أمره بخس ولا غبـــن
فلتبتغوا درر العليــا لنخبتكـــم
نصيحة كلٌ عن أمثالها لســـــن
فعلمكم فيه ما يكفيكم ولكـــــم
في أرضكم مستقر واسع حســـــن
فلتقرأوا علمكم ولتعمــروا بلــــدا
قد طاب فيه على سكانه العـــدن
وفيكم كل ندب طبعــه سلـــس
تجلى بطلعته الضراء والشجـــن
وفيكم خرّد بيض عوارضهـــــــا
سود الغدائر في أصواتها الغنـس
والناس في كل فج لا تزال لكـــم
تحدى بهم راقصات العيس والسفن
وعندكم كل شيء في حضارتكـــم
وفي بداوتكم ما مسكم أفـــــــن
فلتجمعوا شملكم لله دركــــم
للمجد حتى تقر العيـــن والأذن
ولا تكونوا عباد الله أزلفـــــــة
شتى فتنحط جبرا منكم الغنــــن

ماذا التدبر والاسلام يجمعكـــم
والطبع واللـون والأنساب والوطـن
فلا يطب في سوى العلياء مقامكـــم
ولا يطب في سوى العليا لكم ظعـن
صلوا عقود حبال الوصل بينكـــم
ولا تكن بينكم يا قومنا الاحـــن

*

"عمارة الأرض" :

الى الأرض أوبوا بالهنا وتقدموا
لإصلاحها فهو المهم المقـــدم
ألا فابذروا الأرض الكريمة واعمروا
منازلها ما شـئتم وتنعمـــوا
فبالبذر تحيِ شـيبكم وصغاركم
وينضم فيه شملكم وينظـــم
ومهما تركتم بذركم تتبـــددوا
وتضعف قواكم هاهنا كم وتندموا
ولا تجعلوا سقيا مذانبها دمـــا
فمن حقها أن لا يراق بهـــادم
أرى الأرض لم تخلق لسفك دمائكم
فان الهوى بالبرية أرحــــم
ولا تتركوها للأجانـــب فرصـــة
فللحر رأي في المواطن أحـــزم

فحق لأوطان الفتى أن يصونها
ويبني فيها ما غدا يتهدم
ويصلح فيها ما يخاف فساده
ويلقي فيها بذره ويعمم
فأوطانكم فيها دواما تنافسوا
ولا تزهدوا فيها ولا تتلعثموا
أليست من الأشياء طرا بلادكم
أهم إليكم والمهم المقدم
فقيمة كل الناس ما كان عاملا
فيصغر فيها تارة أو يعظم

*

"رسالة الشاعر" :

ان أغمدت حادثات الدهر بتاري
فسوف أعمل أقلامي وأسطاري
فسوف تسمع أو فسوف تبصر ما
يلقيه مجدي لأسماع وأبصار
ان ألبس الشعر أقوامي بمحمدة
فسوف تلبسني بالحمد أشعاري
اني أحب بلادا كن لي وطنا
عصر الصبا وأفديها بأخطاري
ان لان مسي فما أن لنت عن خور
كلا ولكنّ سنّي في العدا جاري

والشعر ما بعته بالبخس معتمدا
لكن قصدت به ايقاظ أنظــار
فما أخذت به فلسا أريد بــه
نفعا فيزداد بالأشعار اضــراري
فاربأ بنفسك عن جهل وعن سفـه
وعن عداوة ذى جهل وذى عــار
يا موطنا عاش فيه الحر ذا نسـب
قد هاج ذكرك لي الأشواق كالنـار
قل للعدو طلنا من ولايتكــم
لا نرتضيك وصيا بين أعصــار

*

" دموع على الشيخين " :

وقال يرثى الشيخين الطالعين في الأفق الاسلامي طلـوع النيرين ، ابراهيم جوب وأحمد كي رحمهما الله :

أإن عرضت بسلع دارس الطلل
أجريت ما كان في عينيك من بلـل
وقفت في الدار محزونا تسائلهـا
عن ساكنيها فلم تسمع ولم تقـل
وأجهل الناس من يبغى الجواب لدى
ربع محيل بعيد العهد بالحلـل
يظل فيه سوام الريح منجفـلا
بعد الأوانس والأنماط والكلـل

كأنني لم أبت فيها بمنتـــــزه

سامرا فتية شما ذوى جـــــدل

كالشيخ أحمد من بفضلـه شهدت

معاصروه من الأصحاب والخـــــول

وذى المدارس ابراهيم من صـــدرت

منه بحور علوم لسن كالوشـــــل (١)

هو الامام الذى عمت دراســـته

كل البلاد بعلم غير مبتـــــذل

قد كان بدرا منيرا نستضوء بــه

وسـط الدجنات من حاف ومنتعل

فليبكه كل ندب كان علمـــــه

بالنعت والعطف والتوكيد والبـدل

تبكي العلوم التي قد كان يدرسها

للواردين من الاشراق للطَّفَـــــل (٢)

الفقه يبكي ويبكي النحو مجتهدا

يبكى الحديث مع التفسير بالمقـــل

جازاه ربي عن الاسلام قاطبــــة

خيرا وحياه في الفردوس بالحلــل

قد كان للديـن ابراهيم منتصـرا

والشيخ أحمد معوانا لذى أمـــل

وقد قضى الله في وقت حمامهمـــا

والله يغفر منهم جملة الزلـــــل

---

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) الطفل : بالتحريك بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب .

قد شط قرن لموت السيدين كما
يأتي الكسوف ببرج الجدى والحمل
السيدان الكريمان اللذان همـــا
في الصالحين كخير الخلق في الرسل
هما امامان كانا في الظلام سنـا
وفي الهواجر بين الناس كالظـلل
هما اللذان أعاد الله نفعهمـــا
لساكنى " سانلوى " في العلم والعمل
لولا هما لغدت أبناوءه همجـــا
لا يهتدون نهارا واضح السبـــل
لولا هما كانت الجهال غالبـــــة
أهل العلوم مع العادات والحيــل
يا أهلهم أبشروا من بعد صبركم
برحمة الله تغشاكم على مهـــــل
و من على الأرض فان لا بقاء لـــه
ولو تمطى الى الجوزاء أو زحــل
أين الملوك التي من قبلنا سلفـت
وأين أصحاب ذاك الملك والـدول
أبادهم صرف دهر سوف يلحقنا
بهم غدا فلتكن منه على وجــل
ثم الصلاة على المختار من مضــــر
والآل والصحب أهل العلم والعمل

* تحسر على موت الصديق * :

وقال يرثى حبيبه وصديقه الشيخ الأمجد السيد الخليفة رحمه الله .

مات الامام وكل الناس في حـــزن
فلتبكه مقلة الاسلام والوطـــن
ما زال مذ هو في فجر الشباب فتى
يبنى المكارم في ســرّ وفي علــن
حتى بنى لبني دنياه مكرمـــة
لا تنقضي بانقضاء الجيل والزمن
لـه عوارف أسرار لو اجتمعـت
في قنة الطود خر الطود ذا قنــن
ان جئتـه جئت شيخا عالما فطنـا
يغنيك عن كل شيخ عالم فطـــن
فلتبكه كتب التاريخ يكتبهـــا
وليبكه مجمل القرآن والسنـــن
و ليبكه النحو والتوحيد معتقـدا
وليبكـه الفقه من فرض و من سـنن
لا لوعة تترك الأكباد سالمـة
وفيضة الدمع فوق الخد في هتن
نار الأسى أحرقت قلبي فواشجنـي
لو كان يطفئها في القلب واشجنـي
لو كان يقبل هذا الدهر فديتـــه
لكنت أول فاد منه بالبـــدن

ان المنازل في وحشس لما ازدهرت
بك البرازخ اذ لففت في الكفن
كأن نعشك شمس اذ تسيربه
ضيفا الى الروضة الفيحاء ذى الحزن
يخال نعش حسين في بكا وأسى
بكربلا بين مكبود و ممتهن
أعواد نعشك مذ مستك لوعلمت
لا ورقت فوق هام الناس كالفنن
شمائل مثل ضوء البدر لو مزجت
طبع الدجى لم يبت يشكوه ذو فتن
دقائق لك في الأخرى زجرت بها
قلوب من عظموا الدنيا بلا ثمن
باتت تسائلنا في كل مشكلة
عنك المسائل اذ غادرت وأحزاني
لو يبتغي الكون شيخا مفردا علما
لكنت للكون شيخا مفرد الزمن
أو يبتغي الميت في الأعضاء مقبرة
دفنت في القلب والعينين والأذن
أولم يخل عدد الرسل الكرام لنا
لكنت ذا عزم منهم وذا رسن
رثيت في الذكر والأسفار لو سبقت
حياتك الخير أحيت نسمة الوسن

يا راحلا تحت ظل الله مستترا
ومكرم الضيف أمسى ضيف مؤتمن
هذا مقامك عند الله معتليا
فارق الى الله محتازا بكل هني
تساءلوا عن جنان قد نزلت بها
مأوى نزلت أم الفردوس في القنن
في عليين مكان الرسل منزلكم
ترى هناك جمال الله أنت فني
قالوا رأوك طليق الوجه مضطربا
كالطير ينقل من غصن الى غصن
وان علا زاد في الأبرار عافية
وان هوى فرج الأشرار عن فتن
فليعمل العامل الراجي لطائفة
لمثل ذا كنت في الدنيا على السنن
جاورت ربك في الفردوس مبتسما
وجئت قومك في الفردوس بالقرن
أبكي عليك ولم أبرح ببرح أسى
الى اللقاء غدا في جنة عدن
وانني لك راث بالقريض فما
يقضي القريض لعمرى حقكم زمني
لولا مغالبة الأشجان في خلدى
لقلت فيك رثا في الدهر لم يكن

روحي فداؤك يا من روحه طلعت
لحضرة الله حيث النور في علـــن
في روضة ذات أنهار وأبنيـــة
من رحمة الله فاسكن غير ممتحـــن
يهاب سوءلك لولا حكمة سبقـــت
ملائك الله كم قدمت من حســـن
في ذمة الله نم للحشر مغتبطـــا
فرحمة الله تغشى الروح بالمنـــن

*

" وداعا يا تلامذتي " :

وقال يودع تلامذته الدّكاريين :

اذا ما الركب شمّر للذهـــاب
وآذن للمواطـــن بالإيـــاب
فودّع ما استطعت وحيي ناســـا
نزلت لدى بيوتهم الرحـــاب
أناس في" دكار " لهم عطايـــا (١)
وأحلام من العجب العجـــاب
وكلهم له كرم ومجـــد
ومعرفة بعاقبة الصـــواب

---

(١) دكار عاصمة السنغال.

اذا وضع النقاب رأيت حـــرا
جميلا وجهه تحت النقـــاب
فمن دار السلام لهم نسيـم
يشاهد في ابتعاد واقتـــراب
فما منهم يرى الا رجـــال
يرى نور الجمال بلا سحـــاب
اذا نزل الغريب بهم تـــراه
وما أن يشتكي ألم اغتـــراب
لهم في ساعة العلم اقتـــراب
وليسوا للسقاه ذوى اقتـــراب
وشغلهم كتاب الله دأبـــا
وقد ألقوا سواه من كتـــاب
تراهم قارئين بكــل آن
جميع العلم من باب لبـــاب
وقل للسائلين هناك عنهـــم
وعن أخبارهم طرا كفى بـــي
ولم يك فيهم الا ظريـــف
خبير باللغـات وبالحســـاب
أديب من أديب من أديـــب
عباب من عباب من عبـــاب
جواد من جـواد من جـــواد
سحاب من سحاب من سحـــاب

أريب من أريب من أريب
لباب من لباب من لباب
وقاهم ربهم شر الأعادى
وكان جنابهم خير الجناب
ويجمع شملهم ويصون منهم
نفوسا لا تسير الى المصاب
وبوأنا الاله بلا حساب
غدا جناته وبلا عقاب
رعى الله دكار وساكنيها
من الاخوان فيها والصحاب
وصلى الله لمحة كل برق
على المختار مفتاح كل باب
وما أن قال مشتاق غريب
اذا ما الركب شمر للذهاب

*

"لقاء بعد طول افتراق".

وقال يرحب بالتلاميذ عند مقدمهم اليه في "سان لوى".

بشرى لنا فهلال السعد قد لاحا
والبشر عنا أزاح الغم وانزاحا
والجو طاب وريح النصر جارية
والروض من عرفه الوردى قد فاحا

وأصبح الماء عذبا سائغا وبـــــدا
للقلب ما يشتهي فازداد أفراحـــــا
والدهر أصبح يزهـو في غلائلــــه
يجـر أردانـه فـي الأرض مرتاحـــا
بشرى بمقدم سادات علوا هممـا
فكلهم لاكتساب المجد قد لاحـــا
بالبذل قد عرفوا قدما ولو سئلوا
أرواحهم بذلوا في الحين أرواحـا
قد رجعت "سنلويسا" روحـه وزهـا
وسرّسـو ر كما شئناه وارتاحـــــا
هذى شموس "دكار" حل طالعها
فينا فكل بما يخفيـه قد باحـــــا
أهلا بها من شمـوس كلما طلعـت
طاب الهوى واستنار البدر وانصاحا
من مد راحا الى إدراك سعيهـــم
قد أتعب الروح في مسعاها والراحا
هذا ولا زال رب العرش يكلؤهـم
مما يخافـون امساء واصباحـــــا

*

" حد الحب "

الحب شـيء عجيب لا حياء لـــه
يسعى بلا دعوة نحو الأحبـــاء

يسقي القلوب كؤوسا من صبابته

فيها الشفاء وفيها لاعج الداء

*

"سلطان الهوى" :

أرى شوقي عليّ بكل حال

أميرا أو بمنزلة الأمير

كتمت هوى سعاد فنم دمعي

بما قد كنت أكتم في ضميري

*

" لا تجمع بين القبيحين " :

انظر لوجهك في المرآة معتبرا

وان يكن حسنا فافعل مناسبه

وحيث كان قبيحا افعلن حسنا

اذ جمع قبحين حق أن تجانبه

الشيخ الهادى تورى :

هو محمد الهادى تورى المشهور بشيخ هادى تورى .

ولد سنة ١٣١٥هـ - ١٨٩٤م في " فاس " وهي قرية أسسها والده شيث ، حفظ القرآن الكريم على يد والده ، ثم ذهب الى " تواون " حيث قرأ على الشيخ الحاج مالك سه رحمة الله عليه علوم الدين والدنيا مثل الفقه والتفسير واللغة والأدب العربي والرياضيات والفلك .

وكان فلاحا معلما وعالما شاعرا زاهدا وفلكيا بارعا صنع ساعة تأخرت بخمس وأربعين دقيقة بالنسبة الى الساعة الرسمية. (١)

وكان له مؤلفات في الفلك والحساب منها :

" تحقيق المقال على ظل الزوال " و " كشف جلباب اللباس عن أوقات الصلوات الخمس " وكتاب " تبصرة الطلاب بمبادئ الحساب ".

وكان له ديوان يضم ثمان وخمسين قصيدة. وقد ضاع مع حقيبة له في سفره إلى الحج وكان يريد أن يطبعه في الحجاز. (٢)

وقد عثرنا على بعض أشعاره في " إيفان " بالسنغال وان كان أغلبها آجوبة إلى خاله سرصاصم ابن القاضي مجخت كل . وتلبية لندائه الى الأخذ في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره .

وقد جمع شعره بين وعورة الألفاظ ومتانة النسج وجودة النظم وأعرابية الأسلوب قلبا وقالبا .

---

(١) الأدب السنغالي العربي ج٢ ص ٩٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٠ .

مختارات من شعره :

" حب على طريقة القدماء " :

لمعان برق الليل نحو المشـــرق
أبـــدى هوى قلبي بنـور مشـــرق
أم على أطلال دار أحبـــــــة
لي البرق خيلها كرو يا المخفـــق
فتخيلت لي دار عـزة والربــــا
ب وفرتني والكمـل كالمتحقـــق
فوقفت أبكيها ولا كبكاء خنـــ
ـــاء على صخـر ولا كالخرنـــق
أبكي عليهم بالدموع و يـــزدرى
صوب الدموع حيا السحاب الدغفق
أفلا أبكي فتيــة غرا كـــــرا
مـا مرفـرى اللهفان عند المقلـــق
أفـلا أبكي فتـية أهل القـــرى
ومزودى الضيفان عند تفـــــرق
أبكي عليهم في الحياة وان أمـــت
قسم البكاء على جميع المشـــــق
أبكي عليهم ما حييت وان أمـــت
وكلت من يبكي بدمع مطبـــــق
والعيش أحسن عجوة ومياههم
كالسلسبيل فضيفهم كالموهـــــق

والنخل باسقة لها طلع نضيـ

ـد رزق كل مؤمل مسترزق

أعوامها مثل الشهور شهورها

مثل الليالي ليلها كالمبرق

ونساؤها حور حسان خرد

ظبيات وجرة كاملات الرونق

فلئن رنون فذاك أقتل للفتى

من ضرب أسياف ورمي البندق

ان قمن أوهمت الخصور بأنها

أمثال أحقاف بدعص أمهق

يقتلن بالغنج المليح مخاطبا

وفتور أعينهن عند المرهق

رق الخصور وراق دمعي دهشة

وكفلت بالكفلات زيد المخرق

يتركن أفكار الأريب بحيرة

ويطلن قلب المتقى للمعنق

فحذارهن فهن عين الغول لو

لاهن لا يلفى الجنون بمطبق

يا راكبا وجناء مرقا لامتى

أرخى الزمام لها سواها تسبق

بسراتها مثل الرماح وعينها

مثل الزجاج ورأسها كالمطرق

تختال في رمل التلاع وتوقد ال
ـنيران في حزن أمام الأينـــق
أرخى الزمام لها وأوب دائمــا
وذر البطالة فهي شر معـــوق
واذا وصلت الحي فاسأل دارهن
ـن وبلغن عني أمانة معشـق
راد (١) تخجل فيه بيوحا (٢) وجهها
بدل السراج لدى الدجى للطـرق
لا علم لي أبقدها أم خدهــا
أم جيدها أم قولها المترفـــق
تسبى العقول وتسترق قلوب جن
ـسي غير أني كالأسير الموثــق
والقد غصن واللهيب كخدهــا
والجيد جيد الريم عند المطـرق
لو نال ذو سقم بفيها قبلـــة
كان الشفاء له بدون ترنـــق
كنت السعيد بلهوها ودلالهــا
وغدت تباعدني، فالآن أنا الشـق
لرهقتني يا ذا الزمان بفقدهــا
فجزاك ربك يا زمان بمرهـــق

---

(١) ناعمة غير طوافة.
(٢) البوح : الشمس .

أنا بعدها ما بين جوف سهامـــه
وتجاوب لصياح كل مطـــوق

*

" مناجاة الحمامة " :

فأقول عند سماع نوح حمامـــة
يا جارتي ماذا دعاك لأمـــق
ما تشتكين أتفقدين معيشـــة
أم خلة وأخا يموت فتشهقـــي
ذا ساق حرّ مؤنسا لك مخلصا
لك وده ماذا طلا بك فانطقـــي
وتنزهي بين الرياض وبختـــرى
بين الحياض وغردى وتمشدقـــي
أما البكاء فلم تكوني أهلـــه
فدعى البكاء لذى الفؤاد المحرق
فلو ابتليت بما ابتليت بمثلـــه
لذريت دمعا كالحميم المذعـــق
فقفي نبك ولا نمل ولا نميـــ
ـل للائم وثياب ريشك شققـــي
نبكي على ليلى وما يدريك مـــن
ليلى فلو تدرينها لم تطـــرق
مهما تذكرت المسامرة التـــي
جادت بها لي بالبكاء اشـرورق

" مغامرة عمر بن أبي ربيعة الافريقي " :

فلرب ليل مثل ابهام القطـــا
بتنـاه فوق سريرها في عيهـــق (١)
لا سيما ليل طرقت خباءهـــا
وهنا وبتنا في تمام المأنـــق (٢)
فكأن بردى من مباشرتي لهـــا
من بعد فرقتنا لطيخ الزئبـــق
حتى اذا استبدلت نكهة ثغرها
من أذفر المسك الذكى المعبـق
نبح الكلاب وصاح ديك الحي وان
تشر الضياء فبابنا كمصفـــق
قلقت وقامت تشتكي غير الرقيـ
ـب ووجهها متغير للمقلـــق
قالت لاشفاق الهلاك عليـــا
هـذا ألا تحت السرير اخرنبـق
كثر الرجال على الطريق وكلهـم
بطل غيور رمحه ذو ممـــرق
فأجبتها والله لست بفاعـــل
وستعلمين بأنني لم أخفـــق

---

(١) عيهق : سرور.
(٢) المأنق : تمام السرور.

أما القتال اذا تعرض لي فـــلا
أبدا أرى بمجن عمر أتقـــى
علم القرون بسالتي وتقدمـــي
في الحرب مثل الخادر المستمزق
فليعلمن بأنني أسد لـــه
ناب وأظفار سراع المرشـــق
بكي عليهم ما استطعت فانهـم
همد بهم حد البكاء استغرقي
ان كان فيهم والد لـــك أو أخ
فعليهما اغلى ثيابك شققـــي
وسللت سيفا مثل برق دقـــة
وتلألؤا والحد من سم ســـقي
عضب اذا وقف الذباب بحـــده
قطع الذباب فياله من محـــذق
فحديده من خالص الكبريت بالـ
ـقدر المواتى من صفى الزئبق
ما بالكثير ولا القليل تجاذبـــا
كي لا يكون كآنك أو مخـــرق (١)
بل قدر كل منهما متوســـم
فلذاك ليس بمخصر أو مزلـــق
فاذا تجهد في الظلام ترى لـه
ألألا كنور البارق المتألـــق

---

(١) الآنك هو الأسرب وهو الرصاص الأبيض .

ذاك السلاح اذا تمكن في يدى
فسلاح غير مثل عود الخربق
وفتحت باب البيت بعد تزودى
منها بقبلة ساقب عن مغرق
وبرزت من بين الكماة كهنبس
يأتي بظلم ثم غيظ محنق
فصرخت فيهم صيحة جزعت بها ال
أطفال من مغمى ومن مستزهق
لقلقت فيهم كي يصيخوا كلهم
قولي وقد فعلوا بغير تفرق
حتى أراني كالامام بخطبة
يوم العروبة للمنابر مرتقي
قلنا لهم والقول حق بعضكم
بي كان يسمع وهو غير محقق
من كان يعرفني فذاك أنا ومن
لا فليصغ رجلا فصيح المنطق
اني امام أسود بيشة كلها
والأسد ان رأت الصفوف تمزق
صعب مصارعتي ومر مصرعي
سل ذائقي يخبرك بالمتحقق
لا ينكر الأقران بطشي في الوغى
بل بعضهم عني ببعض يتقي

من ذاقني يوم الطعان يجنـــــى
اذ حنظل ان ذقت مر الملمـــــق
سيفي خفير الموت وهو رأيتمـــو
ه ممزق الأشخاص كل ممـــــزق
يبتل من دهن الدماغ بعيدما
قدّ لترس كان فوق المفـــــرق
فلربما بارزت وحدى فتيـــــــة
كعديدكم بطعان رمح مـــــرزق
وأثرت فيهم قسطلا متراكمـــا
طاشت به ألباب ذاك الفيلـــق
حتى تبدل ليلة ذاك النهـــــا
ر وما النجوم سوى السيوف البـرق
أطلقت فيهم صائحا شبه الشبيـ
ـب أو العرير عنان طرف أبلـــق
يجرى فتنغلق الأزجة والقـــوا
رير العلية من دوى المصـــــدق
حتى اذا استصدرت في غاب الوغى
ومعي خفير الموت نيّر مألـــق
فحملت حملة ساخط متسلـــــط
فتك قتول مهمد مسترهـــــق
جلنا به فيهم وطلّ دماؤهـــم
وأنلت شوكتهم فظيع تدهـدق

فتفرقوا ما بين مقتول لقــــــى
ومعبّد وأخي الفرار لمرهـــق
وغدا الجواد مطأطئا نحو اليميـ
ـن مع اليسار برأسه من مأنـــق
أذناه مثل براعتين براهمـــا الـ
ـكتاب ناوى أن يشي في مهرق
كرار أعداء الجحافل هيكـــل
مخلولق عرد نقي الـــــزرق
رديانه طيران باشق باشـــق
يكفيك عن جرى لسبق المطلـــق
ومطاه يبرق حابيا متطـــــاولا
أعلى ذرى نيق الجبال الشهـــق
فكأنما وقع السنابك في الكـــدى
زند المقدح أو حباحب مخفـــق
فاذا تمطاه الخفيف هوى وقبـ
ـل سقوطه ميلا يجوب بمسحق (١)
ضخم السنابك معرق أرســـاغـــه
مهما يجار بحلبة يدرنبـــــق (٢)
فهو المجلّى والمصلّى معــــرق
عكسا له فلمثل ذا لم يعــــرق
ساطٍ أقيدز لا أحق ولا شـــئـ
ـت مجمح بحر وليس بأفـــرق

---

(١) المسحق :الجرى السريع .
(٢) يدرنبق : يقدم .

واذا وقفت بـه الوراء لحاجـــة
عرضت يجاذبني اللجام ويطـرق
يشكو لنا بلسـان حال أننـي
كلفته خجلا دهاه بمخـرق (١)
ويعـوم من بين الخيول وان جرت
طلقا أمام جميعها يستبـق
فلذا لكم يوم اللقاء ركوبتـي
ولرجلتي أيضا كصاب مذعـق
عرفتكم نفسي وما فاجئتكـم
فعليكم الأسياف حتى نلتـق
لما وعوا منى الكلام وأيقنـوا
أن الطلاسم عن قساور قد تـق
وتأملوا سيفي وليس مشابهـا
لسيوفهم والحد داهى الحيلـق
قالوا جميعا مالنا من طاقـة
ببراز مثلك فهو ليس بأليـق
ان الشجاع وأنت ذاك اذا رأى
مترحما يرثى الفؤاد ويشفـق
ان اللئيم ولم تكنه هو الـذى
لا سلم يقبل عند نيل المصـدق
أغمد خفير الموت يا هذا الهـا
م ولا ترق بدمائنا وترفـق

---

(١) المخرق : الحياء.

أنت الأمير وانما كنا هنـــــا
مثل الرعية والعيال الرفـــــق
فاحكم بنا ما أنت تحكم اننـــا
بك لوّذ وبك النوائب نتقـــى
فرجعت عنهم دون فتك رحمة
ورضى بقول سالم مترفـــق
هذا فخارى لو عَنيت به لمــــا
ألفيتني الا كمثل الصيـــدق
هذا فخارى هل عثرت بمثلـــه
لسواى في جيلي فقل لا تصدق
ونمير بالجفنات ضيفـــا واردا
والمعتفين قريض لحم الخـــردق
ونميح للمتاح مهما جاءنـــا
بجزيل مال للجزالــــة مخـــدق
يأوى الينا الجار عند شـــدائد
حلت به فنجيره من مَخفَـــق
عهد العفاة ديارنا لا سيمـــا
دارى لكون مؤملي لم يخفق
بذال مالي للرفيـــق وغيـــره
بل لست زاجر باسط عن مبشـــق
ولذا حديثي لا يمل لأننـــي
عذب الدعاب ومرفق المسترفـــق

" زهو على طريقة المتنبي " :

وأقول شعرا لا يجود بمثلـــــــه
أفكار غيرى من جميع الحـــــــذق

أنا شاعر يا صاح لا متشـــاعـــر
شتان ما بين العيـي والأشــدق

آتي بنظم دونه وشي البـــرو
د ولا يرى مثل له لغـــرزدق

بقصيدة طنانة رنانـــــــة
حسانة تنسيك زينة ديســـق (١)

أكسو القصائد بالبديع ملابسا
فوق الحرير فتزدهي للرونـــق

قول الهجاء وانني لقليلـــــه
أفرى به عنق المهاجي الأخـــوق

فاذا هجوت أخا العلا غادرتـــه
كالقرد ان رام السمو يتفتـــق (٢)

فتراه فـي خجل وذل قائـــلا
ان البلاء موكل بالمنطـــق

هذا ومدحي للعليل شـــفاؤه
طيبا وحلوا واحتلاب المشمشق (٣)

---

(١) الديسق : الفضة.
(٢) تفتق يتفتق : اذا صعد على مرمى أملس فزلت قدمه للملاسة.
(٣) المشمشق : النشاط .

ما كان ترياق الضريب مروّقــا
بالقند ممزوجا بماء السيّق
ساقت به الارْيام من أفق السـما
ء تديثه فزعاته للمشــرق
حتى اذا التأم الجميــع غمامــة
سوداء حالكة ببرق مشــرق
سحرا وأرعد تحتها رعد حـدا
فسخت لها حبك بوبل مطبــق
حادت بوابلهـا وريّق صوبهـا
شيب الشراب به بكأس مُشنـق
تسقيكه راد على ظمـا لـدى
وسط الرياض وتحت سرح مورق
يومـا بأحلى من مديحي الفائق الـ
زارى جمان خريدة في المَخنـق
لكنما الكرماء قلّوا في الزمــا
ن لذاك لست الى الثنا بشمقمق (١)
لم يبق الا باخلون وعندهــم
جود الجواد كمثل حمق الاحمق
قوم اذا وعدوا الغياث لخلهـم
يحتج بذاك الى سجايا البَـروق (٢)

---

(١) أى بنشيط .

(٢) البروق شجرة تخضر بمجرد السحاب والرعد ولا تحتاج الى مطر وربما ماتت للمطر .

والمدح أغلى ما يباح فصنـه لا
تسمح به فتكون مثل الأ وميق

من كان يعقل لا يرى يثني على
كفوء له غير الجواد المرفق

عقل الفتى مثل القليب وانما
مسباره لفظات فيه بمنطق

فمقاله لا بد اما أن يبيـ
ـن بفضله أو عيبه المسترق

لا سيما شعر يجاب به بلا
د الله للمغضى وللمستخرق

سبحان ربك من يروض لعبده
نظم القريض وصوغ شعر عسنق (١)

ان القوافي والبحور جميعها
ذلل المطايا لي فلم تتصفق (٢)

علم الطويل بأنه طرفى الطويـ
ـل وان ركبت مجاريا لم أسبق

أما المديد فهل يماددني به
كريب غير يلندد وزبعبق

أما البسيط اذا بسطت له يدى
فيد المنازع ذات كسر مصلق

---

(١) العسنق الحسن من كل شيء.
(٢) أى لم تنغلق .

واذا ركبت لدى التفاخر وافـــرا
وفر المحاسن لي وكنت كصيدق
ولطالما سرجت كاهل كامـــــل
وشننت غارات بسيفي الأشـــدق (١)
وفريت أعناق المهاجين الألـــى
جهلوا بتوكيل البلاء لمنطـــق
سل كاملا عن ذا وهاهو حاضـــر
كلا فانك ان سألت يصـــدق
هزج الغناء وهكذا رجز البسرا
ز مطيتاى لدى السرور ومذعـــق
طورا يكون ركوبتي رملا لـــه
رمل يقرب لي نواى كزيلـــق (٢)
وكذا السريع كذاك منسرح فكل
ل كان لي طرفا سريع السحـــق
ولدى التنزه فالخفيف ركوبتـــي
بخ بخ به بخفيف سير ترفـــق
أما المضارع فهوليس مضـــارع
لي فيه وهو مضارع للحيلـــق
وكذاك مقتضب ومجتث كـــذا
متقارب ما شئت منها أنتقـــى

---

(١) الأشدق الفصيح النطق البليغ القول .
(٢) الزيلق الريح السريعة .

فاذا أردت الشعر بأوا كاملا
مثل الجمان وفوقها في العشق
فأنا الذى آتى بذلك مرغما
أنف العدو ومفرحا لصديق
وأغوص في لجج البيان وأنتقى
فيقال نعم المنتقى والمنتقى
فاذا ترى متعلما سحر الكلام
م فدله دارى لبابل يرتقى
أنا ساحر ومعلم سحرا وأعـ
ـنى بالقريض وبالبيان المبرق (١)
فقصائدى موشية ورسائلي
مكسية حلل البديع المشنق (٢)
فاذا تلوت قصيدتي في محفل
ميزت الكريم عن اللئيم المصمق (٣)
فكلام ذا في كل بيت قلته
لله درك من بليغ مغلق
وكأن تقول لذاك عند تلفظ
بالدرة البيضاء صه لا تنطق

---

(١) المبرق : المحبر .
(٢) المشنق : المزيل .
(٣) المصمق : الكثير التكبر والحسد .

فتراه يطرق مثل مشتوم بـــه
وُيرِمّ من حسد بقلب محــرق (١)

ويغيظ بي أبدا ولست بظالـم
مالي وما للحاسد المترهّــق

والله يكثر حاسدىّ فإنهــم
أفشى لفضلي من حبيبي الأشفق

ان الدليل على المكارم كثرة الـ
أعداء فهي علامة المتبسـق (٢)

يكفي الأريب من الهوان خلـوه
عن حاسد يبدى العلا يتحـرق

واذا فنيت وصار جسمي ثاويا
تحت التراب فذاك شعرى قد بقى

واذا رأى الأولاد والأسباط ذا
علموا بأن الجد ليس برُمَّـق (٣)

ولعلهم يدعون لي بدعيـة
تمحو الذنوب وبي السلالم ترتقى

---

(١) يرم : يسكت.
(٢) المتبسق : الرفيع القدر.
(٣) الرمق : الرجل الضعيف الحقير الذى لا بال له.

" نغمات تعليمية " :

لا تبتغي نيل الغنى بل اشترى
بالمال مدحا فاشيا في الرفق
ان الدراهم والدنانير التي
يرتادها المسكين هل موتا تقي
لو مال ذى مال يزيد بعمره
لجمعته وحرسته بالمسفق (١)
ولرمته بتجارة وحراثة
وطعان قرني بالرماح المُرَّق (٢)
ولكنت أبخل باخل بعطائه
اذ بذله اذ ذاك سيما الأحمق
وبذلت في تحصيله هم الزما
ن وكبد كيس هدهد متحذق
حتى اذا شحن المخازق والصنا
ديق التي عندى خَدَيت لمغلق
لا حاجبا أعطى مفاتيحي ولا
ربضا ولا ولدا ولا للمشفق (٣)
لكنني عند المنام ويقظة
ليدى بها أبدا دوام تعلق

---

(١) المسفق : الاغلاق عليه.
(٢) المرق : جمع مارق أى النافذ عند الطعن.
(٣) ربض : زوجة.

لكن ذلك لا يفيد سوى الفشـــو
و بوصفه في جيله بالخنبـــق (١)

لو كان مال المرء يحمى عـــن ردى
لحمى الغنى فرعون عند المغـرق

ولكان نمرود بن كنعان الـــذى
جمع النفائس سا لما من مزهـــق

ولكان عاد أو ثمود وصالحـــا
للموت عن روح بدفع الأينـــق

دارابن دارا فيه عبرة خاشـــع
لله وهو بدثره لم ينفـــق

أولم يكن قارون ذا وفر وصـــا
ر بخسفه في الأرض عبرة متـــق

هامان شلهم الى ما ليـــس يحـ
ـصيه سوى الله القديم الصيـــدق

ورأيت أن الجود ليس بناقـــص
رزقا وربك رازق للمنفـــق

والبخل ليس يزيد رزقـــا لا ولا
يجدى سوى العارات للمتحـــزق

من كان يعقل ولتكنه أخـــيَّ لا
يبخل بمال للتراب مصمـــق

---

(١) الخنبق : البخيل .
(٢) المتحزق : البخيل .

الفصل الثاني :

شعراء نيجريا .

"عبدالله بن فودى الوزير" :

هو الأستاذ عبدالله بن محمد الملقب بغودى بن عثمان بن صالح ابن هارون بن محمد الملقب بغردُ بن جَتُ بن محمد سنبو بن أيوب بن ماسران بن بُوبَ بَاب بن موسى جَكَلُ ، وأمه حواء بنت محمد بن عثمان بن حَمَّ بن عال .

وقد نزحت قبيلته من " فُوتَ تُورُ " غربي بلاد نيجيريا الى بلاد الهوسا .

ولد سنة ألف ومائة وتسعة وسبعين هجرية ، وتوفى وهو ابن ست وستين وذلك في أوائل سنة خمس وأربعين ومائتين بعد ألف من الهجرة النبوية (١) ، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وقد نشأ عبدالله وترعرع في بيت علم وصلاح حيث قرأ القرآن على أبيه وتثقف أول ما تثقف على أخيه الشيخ المجدد عثمان بن فودى ، كما تثقف على والدته حواء بنت محمد بن عثمان بن حَمَّ بن عال ، وعلى جدته رقية بنت العالم المشهور بمحمد سعد بن لاَدَنْ .

---

(١) ضياء التأويل في معاني التنزيل ص ٣ .

ومن شيوخه الشيخ جبريل وعمه الحاج محمد ابن راجى مُودِبٌ ابن حَمّ بن عال وابن خاله محمد بن محمد الذى قرأ عليه مقامات الحريرى وغيره ، وخاله عبدالله بن محمد ابن الحاج الحسن بن حَمّ بن عال الذى قرأ عليه قطر الندى وشرحه للماردينى وشذور الذهب وشرحه بلوغ الارْب وخلاصة ابن مالك مع شرحه البهجة المرضية للسيوطي وغيرها من كتب النحو .

وأخذ عن الشيخ ابراهيم البرنوى من كتب العربية التحفة الوردية والخلاصة وبعض شروحها كالمنهج السالك للاشمونى . ومن شيوخه محمد تَنْبُ ومحمد بن عبدالله الذى قرأ عليه الغريدة للسيوطي ، وابراهيم المنذرى الذى أخذ منه الدرر اللوامع والرامزة في علم العروض والقوافي والترياق في علم الاوقاف . . وممن أخذ عنهم ابن خالته وعمه محمد الغِرَبْرِ الذى قرأ عليه المنطق والورقات لإمام الحرمين والشيخ أحمد بن أبي بكر بن غَالِ الذى قرأ عليه البلاغة حيث درس عنده التلخيص والنقاية وغيرهما ومنهم ابن عمه المصطفى بن الحاج عثمان ابن محمد . قرأ عليه الكوكب الساطع ، ومنهم خاله وعمه الحاج محمد ابن رَاج قرأ عليه صحيح البخارى ، وأجازه جميع مروياته ، ومنهم عمه محمد المعروف بَبيتُغ قرأ عليه ألفية الاثر للسيوطي وأجازه جميع مروياته . ومنهم شيخ شيوخه محمد المَغْور قرأ عليه المختصر .

ومنهم الشيخ محمود الزَّنْفَرى الطِورِى أخذ منه علم القراءات كمنظومة ابن البرى والقصيدة الشاطبية .

وقد أخذ عن جمع غفير من العلماء لا يسع المكان لذكرهم .

وكم عالم أو طالب علم أتاهم من الشرق فاستفاد منه وكم عالم أو طالب علم أتاهم من الغرب فاستفاد منه ما لا يحصيه.(١)

الا أن شاعرنا لم يترك فنا من فنون المعرفة المعروفة وقتئذ الا وخاض غماره ونال منه أوفر النصيب وألف فيه أبدع التأليف ، وقد ترك لنا مؤلفات تربو على المائة . نشر قليل منها ولا يزال أكثرها مخطوطا رهين الصناديق ورفوف المكتبات على أنه كان يتسم بالجد والاجتهاد في العلم والتأليف والجهاد وكثرة التهجد .

وكان يكتب بالدواة التي تأخذ وقتا طويلا قبل أن تجف ،فاذا كتب الصفحة تركها وانتحى ناحية من بيته لينفخ الكير ويصنع سهما من سهام جهاده أو رمحا أو فأسا ،فاذا مضى وقت كاف لجفاف الدواة على الورقة رجع الى الكتابة من جديد وهكذا دواليك.

وكان يملك مكتبة ضخمة متنقلة نظرا لظروف الجهاد التي كانت لا تبقيهم في مكان بعينه . فلربما جاء نذير الحرب بخبرها وهو في أثناء الكتابة أو المطالعة . وعندئذ يكون أول ما يفعله استنهاض همم العبيد لربط كتبه وحملها على الجمال وكان يأكل من عرق جبينه وعمل يده ،فقد كان وراقا يستنسخ الكتب ويبيعها لطلبة العلم.

مؤلفاته :

أ - الفقه والحديث والتصوف والتفسير وعلومه :

١ - ضياء الأئمة في أدلة الأئمة.

٢ - اللؤلؤ المصون.

---

(١) ايداع النسوخ ورقة ١ - ١٠.

٣ - كتاب الترهيب .

٤ - ضوء المصلي .

٥ - ضياء السنـد .

٦ - مصالح الانسان .

٧ - منن المنان لمن أراد شعب الايمان .

٨ - مطية الزاد الى المعاد .

٩ - ضياء السياسات .

١٠- ضياء الحكام فيما لهم وعليهم من الأحكام .

١١- كتاب النصائح في أهم المصالح .

١٢- ضياء الأنام في الحلال والحرام .

١٣- سراج الجامع للبخارى .

١٤- ضياء السلطان .

١٥- ضياء الأمراء .

١٦- ضياء الأمة .

١٧- ضياء القواعد ونشر الفوائد .

١٨- ضياء الاحتساب .

١٩- ضياء المجاهدين .

٢٠- ضياء أولى الأمر والمجاهدين .

٢١- ضياء علوم الدين .

٢٢- ضياء الخلفاء ومن دونهم من الأقوياء والضعفاء .

٢٣- ضياء الامام .

٢٤- ضياء أهل الرشاد .

٢٥- طريق الصالحين .

٢٦- طريق الجادة .

٢٧- خلاصة الأصول .

٢٨- درر الحكم .

٢٩- دواء الوسواس .

٣٠- درء الكيئة .

٣١- ألفية الأصول .

٣٢- اصلاح الزاد .

٣٣- ألفية النكاح .

٣٤- آداب المعاشرة .

٣٥- آداب العبادات .

٣٦- اصلاح العمل .

٣٧- النيات في أمور الديانات والمعاملات .

٣٨- التبيان لحقوق الاخوان .

٣٩- النصيحة بتقريب ما يجب على كل عامة الأمة .

٤٠- مفتاح التفسير " منظوم " .

٤١- ضياء التأويل في معاني التنزيل .

٤٢- كفاية ضعفاء أهل السودان في بيان تفسير القرآن .

٤٣- الفوائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة .

٤٤- ايضاح زاد المعاد .

٤٥- التقريب .

٤٦- أخلاق المصطفى .

٤٧- المفتاح للتبصير .

٤٨- بذل النصيحة .

٤٩- تقريب الضرورى من علوم الدين .

٥٠- تعليم الأنام .

٥١- تعليم الأصحاب .

٥٢- تمييز أهل السنة .

٥٣- تهذيب الانسان .

٥٤- حصن الحصين .

٥٥- خلاصة الأصول .

٥٦- درر الحكام .

٥٧- دواء الوسواس .

٥٨- سلالة المفتاح .

٥٩- سبيل النجاة .

٦٠- سبيل أهل الصلاح .

٦١- سبيل الصلوات .

٦٢- سبيل العين شرح مرشد المعين .

٦٣- سبيل السعادة .

٦٤- شفاء الناس من داء الغفلة .

٦٥- شفاء الناس من داء الوسواس .

٦٦- شكر الاحسان .

٦٧- ضياء القواعد .

٦٨- الفرائد الجليلة .

٦٩ - فتح البصير في علم التبصير.

٧٠- فتح المنان في جميع ما ورد من الفاظ الشيخ عثمان.

٧١- فضائل أفاضل الأذكار.

٧٢- كتاب النسب .

٧٣- كتاب النصيحة .

٧٤- كتاب النيات .

٧٥- كفاية الطلاب في النكاح .

٧٦- كتاب عمل اليوم والليلة.

٧٧- لمع البرق .

٧٨- لباب احياء علوم الدين .

٧٩- لباب المدخل في آداب أهل الدين والفضل.

٨٠- مصباح التراوى .

٨١- نصائح الأمة.

٨٢- نظم الوسطى .

٨٣- نيل المأمول .

٨٤- نيل المرام في شيم الكرام.

٨٥- نظم الدرر في مصطلحات البخارى.

٨٦- نظم تلخيص الموطأ. (١)

---

(١) من املاء الشيخ محمد المنتقى الكوماسي الكشفاوى . والثقافة العربية في نيجيريا ص

ب : النحو والتصريف واللغة والأدب والعروض والقوافي :

١ - البحر المحيط (في النحو) .

٢ - الحصن الرصين (في الصرف) .

٣ - فتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي .

٤ - تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات.

٥ - روض العاشق في مدح سيد العباد .

٦ - البحر في علوم النحو والتصريف .

٧ - النفحات البشرية في شرح القصائد العشرينات .

٨ - الداليـة .

٩ - التعريب.

١٠- المنظوم في أصول النحو.

١١- تخميس العشرينيات .

وكان شاعرا مجيدا أديبا أريبا نحويا لغويا فقيها محدثا مفسرا ومقرئ ، ويمتاز شعره في المدح بالجزالة ووعورة الألفاظ وجودة النظم وأعرابية الأسلوب ، وقد يجمع بين الجزالة والسهولة اذا كانت القصيدة تحمل رسالة الى الناس جميعا الخاصة والدهماء كما رأينا في الحائية التي وجهها الى قومه الغلانيين ليستنهض هممهم لنصرة دين الله بالجهاد بالسيف ضد ملوك الهوسا الوثنيين ، كما يزاوج بين الجزالة والسهولة في الرثاء وشعر الجهاد الذى يسجل فيه انتصارات جيشهم ضد جيوش الوثنيين ، أما في شعره التعليمي فيجنح الى السهولة والرقة حتى يسهل ايصال المراد الى السامع.

مختارات من شعره :

" ألحان أعرابية " :

عج نحو أضواج الأحبة من " مج "
واشرب من الانشاج ماء الزعبج (١)

شجَّ الدموع على منازلهم بها
واشف الجنان من الهموم الدمَّج (٢)

قف عندها سل من بها فعسى تجب
حوجاء أو لوجاء ترضى من شجي (٣)

---

(١) مج بفتح الميم وكسر الجيم المخففة واد ، واضواج جمع ضوج وهو منعطف الوادى ، وأنشاج جمع نشيج أو نشج وهو مسيل الماء والزعبج الغيم الأبيض أو السحاب الرقيق .

(٢) شج : أى صب الدموع صبا كثيرا ، الدمج : المستحكمة المستترة.

(٣) الحوجاء : الحاجة ويقال مافي صدرى به حوجاء ولا لوجاء بمعنى واحد .

واذا مررت "مرت" حي حيهم
وانشر عليهم لؤلؤا وزبرد ج (١)

كم لي أخا بأبأته فيهم وكم
خلماء لم أك بينهم بمزلج (٢)

ومدارس أضنى بحب شهودها
فيها نجاح حوائج المتحوج

وجحاجح علماء يحلب رفدهم
كل كبحع في العطا متموج (٣)

ولهم ككان ومبتدا في جارهم
عمل لغيرهم كلم أو في يج

ولربما عملوا كما من كف
يعدو وتقوية الضعيف الطتجي

ومواطن أشجى لفقد روابها
ليست سخارج في هواء سجسج (٤)

دع عنك ذا عد للذى منع الكرى
لابن السرى لا تسر سير الدعلج (٥)

---

(١) مرت : موضع .

(٢) بأبأته : أى قلت له بأبي وأمي .خلماء : جمع خلم بالكسر وهو الصديق الخالص أو الرجل العظيم . المزلج : هو الناقص أو الملزق بالقوم وليس منهم.

(٣) جحاجح : جمع الجحجاح وهو السيد الكريم.

(٤) سخارج : صحارى ،وسجسج : واسع.

(٥) الدعلج : الذى يمشى في غير حاجة والدعلجة ضرب من المشي .

وادرع دلاص العزم فوق قلاصه
بمزاد صبر في الموامي متلج (١)
بسرى وادلاج معا وتهجر
وتأوب حتى تزيل شجى الشجي
بزيارة اللذ زار طيبة بعد أن
قد زار مكة في وفود الحجج
من قد سبا قلبي فتاه بحبه
فثوى لديه فلا أسير ولا يجي
شمس الضحى بزغت بغرب فانتحت
للشرق تشرق في قريش وخزرج
متفنن متبحر في علمه
متعطف متلطف للمعفج (٢)
سجح طليق الوجه هين لين
للمسلمين ومزدر للعمهج (٣)
شجر اذا نزلت عليه سفنة
لم ترتحل عنه لفقد الخرفج (٤)
من جاء يشكو العوائص ينثني
عنه بقلب ذي انشراح مثلج

---

(١) الدلاص : درع دلاص ،براقة لينة.
(٢) المعفج : الأحمق الذى لا يضبط العمل والكلام.
(٣) العمهج : الضخم السمين والسجح : لين الخد .
(٤) الخرفج : أحسن الغذا .

ولسوف يروى منـه كأسا سائغا
أصفى وأحلى من كؤوس السعمج (١)

شيخ الشيوخ فريد دهر ظاهـر
فوق المبارز بالعلوم متـوج

جبريل من جبير الاله به لنا
دينا حنيفا مستقيم المنهج

وافى وحزب ضلالة في تلعـة
والدين في وهد كشيء بهرج (٢)

فأزاح عنه حنادس الأعلاج من
عاداتهم وكساه حلة زبرج (٣)

لم يخش في اظهار دين الله من
مستهزىء أو لائم متجمج (٤)

وله شبول نائبون منابـه
والشبل عند السبر مثل الخزرج (٥)

فغدا له نور الزمان مساعدا
أو ساعدا في فتح باب مرتج

---

(١) هكذا في المخطوط ولعله السمعج وهو اللبن الدسم الحلو .
(٢) التلعة : ما انهبط من الأرض . والوهد : المطمئن من الأرض .
البهرج الباطل والرديء من الشيء .
(٣) الزبرج : الذهب .
(٤) المتجمج : الذى يخلط الأمور ولا يتبين .
(٥) السبر : ما عرفت به لؤم الدابة أو كرمها : والخزرج الأسد .

اظهار دين الله بين عـــدوه
لم يلتفت لمكذب متلجلـــج
عثمان من قد جاءنا في ظلمـــة
فأزاح عنا كل أسـود دجـدج (١)
ودعا الى دين الاله ولم يخـف
في ذاك لومة لائم أوفجفـج (٢)
فانصات خلق حين صات لصوتـه
وعلا لـه صيت فويق الأبـرج
بشرى لأمة أحمد ببلادنا السو
دان في هذا الزمان المبهـج
كم سنة أحييتها وضـلالـة
أخمدتها جمرا ذكى بتأجـج
وطلعت في أرض عوائدها عـدت
وتخالفت سنن النبي الأبهـج
استعظمتها أهلها فاستأسـدت
وصدت دوين الدين باب الولـج
فاستنسرت بغثانهـا وتنمـرت
جرذانها ترمى بنصل سلمـج (٣)
من راد دين الله يمحو عزهـا
فقمعتها قمع القوى الأعـوج (٤)

---

(١) الدجداج : الاسود من كل شيء وليلة دجداجة شديدة الظلمة.
(٢) الفجفج : كثير الكلام والفخر بما ليس عنده .
(٣) السلمج : يقال للنصال المحددة أى القاطع .
(٤) الأعوج : شديد القوة.

فقصمتها بالبيض من آياته
وأسنة سنن النبي الأدعج
صلى عليه الله ماهز الصبا
عذبات غصن في الرياض خربج (١)
ولكل فرعون طغى موسى سطا
وقضية عاصت على تنفج (٢)
فابيضّ وجه الدين بعد محاقه
واسودّ وجه الكفر بعد تبلج (٣)
والدين في عز ونهج منهج
والكفر في ذل ونهج منهج (٤)
والسنة الغراء صبح ينجلي
والبدعة السوداء ليل يدجي
طمست معالمها وأخلق ثوبها
والدين في درع يميس مدبج
وتفجرت للدين من بركاته
عين الحياة تذل ماء الحشرج (٥)
فجرى المذانب للمشارب أفهقت
ماء يقول صفاؤه هل من يجي (٦)

---

(١) الخربج : هكذا في المخطوط و لعله خبرنج بمعنى الناعم.
(٢) الانفاج : ابانة الاناء عن الضرع عند الحلب حتى تعلوها الرغوة ومعنى تنفج تظهر.
(٣) التبلج : الاشراق .
(٤) المنهج : البين الواضح المنهج الذى أسرع فيه البلى .
(٥) الحشرج : الماء العذب من ماء الحسي .
(٦) المذانب : جمع مذنب وهو السيل ،فهقت ماء أى ملئت ماء.

حتى تبلج مثل بدر طالع
بليال صحو أو صباح مبلج
أو روضة ضحكت بها أزهارها
تزهى بها عذبات غصن عسلج (١)
أو عنقر أوجنة أو أنجم
بخميلة أو ربوة أو حندج (٢)
فأجادها جَوْدٌ لدى جُود له
هب الصَبا من بعد مرى الخزرج
فتفرعت قضبانه وتساجعت
أطيارها كالشاعر المتهزج
و تكاثفت قصباتها غُبّالها
ضعفان من أكل حبته سلجلج (٣)
وتباهجت فتضوعت أرياحها
بنضارة مع خضرة وتأرج
وكأنما أنواره بين الملا
أنوار روض أو منائر صولج (٤)
سعد الزمان بهم وزايد خيره
فبحبهم غفران ذنبي أرتجي
وبجاه من يرضى غدا لشفاعة
كهف البرايا فهو أعظم ملجج (٥)

---

(١) العسلج : الغصن الناعم.
(٢) العنقر : قلب النخلة لبياضه والحندج رملة طيبة تنبت ألوانا من النبات .
(٣) سلجلج : سهل .
(٤) الصولج : الفضة الخالصة .
(٥) ملجج : ملاذ وملجأ.

أصداء تعليميه :

فلا يمنع الارشاد عدم قبولهم
فمد خلهم مولاهم أنت فاتح
فانك ان بلغتهم ضاع عذرهم
فساقيهم الولى فانك جادح (١)
مطيع لما قد قاله سيد الورى
به بلغوا عنى أتته صحائح (٢)
وآمر معروف وناه لمنكر
على شرطه للناس بالحق قارح (٣)
وامر بمعروف ونهي لمنكر
طريق من القرآن باد صمادح (٤)
وفهمهم ما يلزم المرء عقده
من الدين مما سهلته القرائح
وغسلا وضوءا أو صلاة زكاتهم
وصوما وبيعا ثم كيف يناكح
وواجبها سنونها مستحبها
ومنهيّها والكل في الكتب واضح
وعلم نساء سترهن بأن ترى
على غير وجه والأكف القواسح (٥)

---

(١) جادح : من جدح السويق وهو أن يحركه بالماء ويخوض حتى يستوى .

(٢) اشارة الى حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام " بلغوا عني ولو آية" .

(٣) القارح : المخبر به .

(٤) صمادح : واضح لا يجهل .

(٥) القواسح : جمع قاسح وهو الثوب الغليظ الذى لا يظهر الاكتاف والثدى .

وعلمهم الاحسان كيف يراقبـــــو
ن مولاهم ذوجدهم والصمــــادح (١)

وكيف التخلى من صفات ذميمـــــة
وكيف التحلى بالحميدة ناصــــح

وكيف تراعى نيـة في جميعهـــــا
ليرعاه ذو فهم يطيعك لاتـــح (٢)

بنفسك فابدأ حائدا عن هوى الهوى
لدى سوسها ترعى وانك كابـــح (٣)

أضرعدو من بدارك ســـاكـــــن
مطيع لشيطان وللدين قافـــح (٤)

سلامة عيب النفس عزت لما لهـا
يكون خلال المنكــرات المســارح

فلا تستطيع الترك عن شهواتها
ولم تحتمل ذلا كذاك السبادح (٥)

لجاوءك بالمولى وتقليل مطعـــم
دواء لادواء النفوس مطحطـــح (٦)

وبالاصغرين احفظ وبالاجوفين وال
جواسيس صن دوما تطعك الجوارح

---

(١) الصمادح : الخالص من كل شيء ويقصد به هنا المزاح .
(٢) لاتح : عاقل داهية . والمقصود هنا الذى ينقاد لك .
(٣) كابح : أى جاذب لجامها .
(٤) قافح : الممتنع عن الشيء أى كاره للدين .
(٥) السبادح : أيام قلة الطعام.
(٦) مطحطح : أى كاسر أو مكسر.

تبـاع القرانِ والنبي وصحبـــــــه
وتابعـهـم ترياق من هوصالــــح

"بكائية في مجاهد ناسك" :

ان ارعواءك اذ أرتـك الـــدار
بفعالهـا من أنهـا غـــــدار
دار يموت بهـا حبيبك لا تــرم
فرحا بدار صفـوهـا كـــدار
لكنّ هذا لـم يكـن بدعـا بهـا
قد مات فيها قبلـه الأخيـار
ولسوف تمضي مثلهم وتـذوق مـا
قد ذاقـه الأخيار والأشـرار
فالمصطفى من بيننـا هوكاسـه
مرضينـا وأمينـنـا المختـار
ان الرزايـا فقـدنا أمثالـــه
لكـن رضينـا ما قضى الجبـار
سبحـان من قد خصه بالعلم والتـ
ـقوى وخلـق يرتضيه الجـار
قد قـام في اظهار ديـن محمــد
بين الورى والجرح فيه جبـار
حتى بدا في الحصن من أقوالـه
وفعالـه ترمى بها الأحجـار

كم واجبات في الضيـاع أقامهـا
في الحي تسخره بها الفجـار
ومحرمات دعّنها قد صُيّـرت
مثل المباح يلومه الأغمـار
وعوائد مذمومة قدزادهـا
يجرى بها العلماء والأبـرار
ما خاض لهو الجاهلية قط مـن
حال الصبا حتى أتى الانـذار
ولقد فقدت أخا حبيبا ناصـرا
في ديننا اذ أعوز الأنصـار
خلا صدوقا لا يريبك فعله
ومقاله يختار ما تختـار
فدع العيون تجود فوق حبيبها
فَحَربها هجم او اسـمدرار
لو أن عينك ساعدت لهمى دمـا
بدل الدموع سحابها الحدّار
فليبكه من كان فيه غيـرة
في الدين فهو أمونه الحدبـار (١)
نبكي عليه ترحما مع أننـا
نرضى بما قد جاء الأقـدار

---

(١) الأمون : البعير الحدبار المذلل أو المعين.

فسقاه من رب غفور راحـــــم
غيث المحبـــة والرضى المــدرار
سبحان من قهر الخلائق كلهـــا
بالمـوت وهو الواحد القهـــــار
ما ترتجي في هذه الدنيا التـــي
ما تأتلي تذكو بهـــا الأخـطـــار
فالدار مثل جهامة وسغاســـــط
أو قبل سراب ريهـــــــا آوار (١)
أو نهر طالوت الذى شـــرّابــه
هيم وضاعت منهـــم آصـــار (٢)
وخيالُ طَيْفٍ مُسْتَراحُ مســـافر
رام المقيل فصاحـــه جمّـــار
قد شيب سمّ أريهـا من شربها
فتخالطـــا فبخورهـــا أبخـــار (٣)
أو مرتع مستو بل حيوانـــــه
مستوبد موتانـــــه دفـــار (٤)
وعجوزة زلاّء فـي مصبوغـــــة
ثم ارتدت مخضـــرة مكـــار

---

(١) أوار : العطش .
(٢) آصار : جمع اصر وهو العهد .
(٣) ابخار : جمع بخر وهو النتن وأريها : عسلها وشربها أي حنظلها .
(٤) دفار : من الدفر وهو النتن .

حتى سبت أغمارنا باسـارهـا
إثارهم ما نالـه إشـار
أو حية جسم مليح ليـن
والسم فيها ناقـع ضـرار
وشريدة مسمومة مغموسـة
في السـمن ذُرّت حولها أبـزار (١)
شرك الردى وقتّار مكسر سلعـة
الشـيطان يغرى والهوى سمسار
وسَباطة الحرقين ترمى فوقها
جيف الموات كِلا بُهـا التجـار (٢)
قد آذنتنا بالفـراق بحالها
ومقالها فغرابها مجهـار
فالله ينجينا معا من شرها
بمحمد فيمنا الأنـوار
صلى الإله عليه مع أصحابه
ما نُمْنِمت لسلامهم أشعـار

" هجرة معلم " :

ولما مضى صحبي وضاعت مآربي
وخلفت في الأخلاق أهل الأكاذب

---

(١) أبزار : التوابل .
(٢) السباطة : الكناسة .

يقولون ما لا يفعلـــون وتابعـــــوا
هواهـم وطاعـوا الشح في كل واجب
وليس لهـم علم ولا يسألونـــه
وأعجب كـل رأيـه في المذاهـــب
وقطـع أرحاما وأزرى معارفـــا
وآثر عـن قرباه جمـع الأشـائـب
وما همهـم أمر المساجد بـل ولا
مدارس علم بلـه أمـر الكتائــــب
وهمتـهم ملك البـلاد وأهلهـــا
لتحصيل لذات ونـيل المراتـــب
بعادات كفار وأسماء ملكهـــم
وتوليـه الجهـــال اعلى المناصـب
وجمع السرارى والثياب الحسان وال
جياد الجـوارى في القرى لا المحارب
وأكل هدايا الجاه والفـي‌ء والرشى
وعود ومزمـار وضرب الدبـــادب
وباعـة أحرار وفي السوق بعضهم
ولاة قضاة في لباس الثعالـــب
فرارا من القاضـي وأكل الامان وال
الموالاة للكفار خوف العواقـــب
فَجمّوا وقلَّ الصالحون وأظهـــروا
مداهـنة الفســاق أهل الكتائـــب

واعجز أهل الحل والعقد أمرهم
فجانبت الأعراب من كل جانب
وأبدت جهارا خافقاء ضبابها
ولاحت ذياب في ثياب الأرانب
وأيقنت ان لم يرجعوا عن ضلالهم
لتختلفن أسيافهم في الغوارب
وان قرين السوء يعدى قرينه
بما فيه اعداء الصحاح الأجارب
وقد طار قلبي للمدينة ثاويا
سنين بها شوقا وليس بآئب
وقيد جسمي عنه ذنبي حائرا
بصدر هواء فاقد القلب دائب
صرفت عناني عنهم متوجها
الى خير خلق الله معطى الرغائب
وصبّرت نفسي في ركوب مغاوز
خلال فيول كالهضاب قوارب
ولا أثرًا في الأرض الا خفافها
ربيعا وصيفا كالبآر السواقب
أسير بلا علم ولا قود قائد
ونيل سبيل في الغيافي العواشب
بخمسة أحرار كذاك الرقيق مع
ثلاثة أفراس كمثل الركائب

نشيم عطاشاحين حان نزولنـــا
ذوائبَ أشجار المياه الشـــوارب
وكم ليلة بتنـا بها نابغيـــة
ولا نار الا نارنا فـي السباســـب
وسمارنا جيراننـا أقرباؤ نـــا
بعوض وحيات وجمع العقــــارب
خمائلها والقاع أثمارهـــا الأضـا
جدار ودار والقرى كأس شــــارب
أوانسنا أقواسنا وجعـابنـــا
رماح وأسياف رقاق المضــــارب
وصارلنا الآثار للنـــاس بعدمـا
قربنا لعمران عجيب العجائـــب
وأولى كلام الناس أحرى ديارهـم
وأنفسهم صارت غريب الغرائـــب
فقلت وذا أمريسيرٌ بجنب مـــا
نريد اذا ما حُمَّ نَيْلُ المــــآرب
أحادى المطايا حثّها للمشـــارق
ولا تلتفت في سيرنا للمغــــارب
فان حظيت بالوصل فالله واهــب
وان أخفقت فالذنب فيه لذاهب
وما خاب من أمّ الكريم لحاجـــة
وان كان بطّـا لا خبيث المكاســـب

فياخير من حف العفاة ببابه
يصوب عليهم منه عَشرُ سحائب
أمتك مأسورا بذنبي راسفا
لأ لحق قلبا عندكم غير غائب
فحقق رجائي فيك يا سيد الورى
فراجيك في الدارين ليس بخائب
وفك قيودى ثم صلني اليك يا
كريم السجايا أنت بحر المواهب
فها أنا عبدالله اسما وحرفة
لديكم فسهل لي نجاح المآرب
كما نالها منكم سوادٌ وسائل
بما سا له منكم سواد بن قارب
عليكم صلاة الله ثم سلامه
بأصحابكم والآل يا كهف هارب (١)

" غزوة غوبر الوثنيين " :

أمن طلل خلا أم فقد قوم
ألفتهم تبيت بغير نوم
فكم خل فقدت رضى تقي
شجاع فاره سراد صوم
وكم طلل علمت بريم خال
وشمغل .. " كوكن " وغم غلم (٢)

---

(١) تزيين الورقات في بعض مالي من الأبيات ورقة ٤٦.
(٢) ريم وشمغل وكوكن وغلم : أماكن.

فتلك ديار "غوبر" والتـــــوارق
ولا ة الكفر خاوية بظلـــــم (١)

وكم يوم بكُنّ لنا عليهـــــم
وطان غادا وغردم أيّ يـــوم (٢)

بأيدينا هلاك جميع غوبـــر
هلاك توارق برمـاح زُرم (٣)

غداة يقودهم للحين جهـــلا
طبيلهم أغنبل دون علـــم (٤)

يوازره " زنافرة " وغوبـــر
وأهل كيا ومع غوغاء بُـــرم (٥)

فأوردهم . بغافر حوض مـوت
قفر لأهله بلبـاس نـــوم

وسابق حامد شيطـــان آدر
وزدى قدارهم أصحاب لـــؤم

ففروا عن جماعتهم وجـــازوا
مسيرة خمســـة في نصف يـــوم

---

(١) غوبر : احدى قبائل الهوسا الوثنية.
(٢) طان ، غادا ، وغردم : مواضع.
(٣) زرم : قربة.
(٤) أغنبل : قائد من قواد الوثنيين .
(٥) زنافرة أي المنتمون الى قبيلة زنغراوا وكياوا مدينة ، وبرم كذلك.

فما بالوا بآبال وخيل
وأعبدِهم وأثوُبهم وطُعم
وأحرار ثوءوا في زرم نحوا
ثلاث مئين تؤذنهم بحزم
فتاب جميعهم عن جمع جيش
لزرم وصوبوا طلاب سلم

" اندحار بني غار الوثنيين ":

حمدا وشكرا لربي الواحد البارى
على هلاك طغاة من بني غار
على يُدَيّ جموع من جماعتنا
مهاجرين وفيهم جمع أنصار
أمامهم دعوات القادريِّ لنا
إمامِنا راجماتٌ جمعَ كفار
يخربون بلاد الكفر ان نزلوا
بدار كفر فساءت حال ذى الدار
يقودهم " بلٌّ " في خيل وفي رجل
بين الليوث كليث ثائر ضار
حتى أناخ على ساحات دارهم
فأصبحوا مثل عصف حط في النار
فأصبحوا لا ترى الاحصونهم
وليس فيها جميعا صوت ديار

وأسر طاغوتهم قد زاد ذلهـــــم
مقيدا بينهم في طبس العـــــار
يا أهل " غار " ألما يكفكم " كشنا "
والجار يسمع ما قد حل بالجـــار
كذا " كنو " مع " زكزك " وهي قربكم
و " زنفرا " مع " غوبر " نسل " بابار "
تلكم بيوتهم بالظلم خاويـــة
منهم وصاروا أحاديثا لسمـــار
بقدرة الواحد الجبار قاهرهـــم
فالحمد لله في جهر وإســـرار (١)

---

(١) تزيين الورقات ورقة ٥٥ .

الأمير محمد بللو :

هو محمد بللو بن عثمان بن فودى .

ولد يوم الأربعاء في شهر ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائة بعد الألف ، في بيت دين وعلم وولاية ،فأبوه هو الشيخ المجدد عثمان بن فودى الولى المجاهد . نشأ على سيرة حسنة وحالة حميدة من طلب العلم والفطنة والحفظ والادراك التام وقوة الحفظ وحدة العارضة وفصاحة القول ونصاعة الألفاظ وسعة البلاغة ،فأدرك في يسير الزمان ما لم يدركه غيره من الأحقاب المتطاولة ،فأحرز العلوم كلها واستولى على المعاني الموفقة والحقائق .

وتضلع بالأسرار والدقائق ،ولاحظته السعادة الالهية وأفردته التربية الربانية وسرت فيه نورانية والده الشيخ فعمته بركاته وخيراته فصار بحمد الله آية الله في أرضه فذا لا ينقضى عجائبه الى ما أوتى من الأخلاق الحميدة الكاملة والأوصاف البهية الشاملة واستبحاره في العلوم الأصلية والفرعية ومعرفة السياسات العقلية والشرعية وماجمعه من علم سير الأنبياء وآثار للأولياء وبراعة العلماء وحكم الحكماء وعدالة الخلفاء وما لا يحصى من المحاسن في الظاهر والباطن. (١)

صحب شيخه ووالده عثمان بن فودى ووازره وكفاه المهمات من أمره وجاهد الأعداء بالسيف والقلم فأنجع وفتح فتوحات عديدة كانت للمسلمين في الدنيا فتحا ونصرا ،ولهم في الآخرة ثوابا وذخرا . . فجزاه الله عنا خير ما يجزى اماما عن أمته وبوأه منازل الرضوان والسلام.

---

(١) انفاق الميسور في تاريخ التكرور ص ٢١ طبعة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

تربى في بيت علم وولاية بين أبيه الشيخ المجدد عثمان وعمه علامة الزمان وعربي السودان عبدالله بن فودى واخوة علماء ،فلا غرابة أن تجده أعلم من بعده. وأنه مع انشغاله بالحروب والسياسة والادارة ألف كتبا عديدة ما بين الظاهر والباطن ،وفي علوم الحرف والسياسات والادارة وفي الأديان والطب وأصوله والصيدلة وأنواعها .

وكانت خلافته بعد أبيه كخلافة أبي بكر وعمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم . فانه رد أهل الردة الى الاسلام وكسر ملوك الكفار ومصر البلاد وأسبلها في الله للمسلمين حتى أحبه المسلم والكافر .

توفي عشية الخميس الخامس والعشرين من رجب الفرد من شهور سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة الموافق ١٨٣٧م وعمره اذ ذاك ثمان وخمسون سنة الا شهرا .

وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة وكان آخر كلامه في الدنيا : " لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ثلاث مرات ثم قرأ قوله تعالى : * فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * (١) ".

وقد بنى بيتا في ناحية من نواحي داره قبل مرضه / الذى توفى فيه، يرابط فيها وكان كثيرا ما يذكر أن ذلك البيت مسكنه وأنه سينتقل اليه .

ثم انه في مرضه الذى توفي فيه عين ذلك البيت بأن يدفن فيه كما عين ثيابا يكفن فيها ،وأوصى ألا ينقل الى " صكتو " عاصمة مملكته لأن نيته ومناه أن يقيم في موطن الرباط ويتوفى فيه ويدفن به ،لما يؤثر

---

(١) الاعراف ٣٤ .

أن المرابط اذا توفي في مكان رباطه ودفن فيه فانه لا يطوى سجله ويكتب له ما كان يكتب له حيا من الأجر والصواب الى يوم القيامة ... ولذلك أوصى أيضا أنه اذا توفي في " وُرنو " ألا ينقل الى " صكتو " .

وقد أتم الله له ما نوى وتمناه من الاقامة بموضع الرباط والممات فيه والدفن به رضي الله عنه وغفر له وتغمده بواسع رحمته.(١)

تثقف على والده وعمه علامة الزمان وعربي السودان الشيخ عبد الله ابن فودى كما قرأ على أخيه الكبير محمد سعد النحو والتفسير، وقرأ على شيخه محمد بن أبي بكر الونكرى التنبكتي أصول السبكي وتسهيل ابن مالك وتلخيص المفتاح بمختصر السعدى وشرح الجزائرية والحكم العطائية وفرعي ابن حاجب ومنتقى الباجي وجامع معيار الونشريسي . وألفية العراقي وصغرى السنوسي ونظم ابن مقرعة والهاشمية في التنجيم مع شرحهما ، ومقدمة التاجورى ورجز المغيلي في المنطق والخزرجية في العروض بشرح الشريف البستي وتحفة الحكام لابن عاصم مع شرحها ، كما قرأ عليه تفسير القرآن العظيم .

وقد أجازه بخطه جميع ما يجوز له وعليه.(٣)

ومجمل القول أن صاحبنا قد قرأ جميع الكتب المقررة على طلبة العلم في عصره كما قرأ جميع الفنون التي اشتهرت في زمانه.

---

(١) نقلا عن الشيخ أبوبكر غومي .

(٢) انفاق الميسور ص ٢١٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢١٦ .

وقد خلف لنا مؤلفات قيمة منها :

١ - افادة الاخوان .

٢- القول المختصر .

٣ - الغيث الوبل .

٤ - انفاق الميسور في تاريخ التكرور .

٥ - الطب النبوى .

٦ - البدور المسفرة .

٧ - التحرير في قواعد التبصير .

٨ - القول المنثور .

٩ - القول السنا في الشمس بالسنا .

١٠- الطب المهين .

١١- التربيح في صلاة التسبيح .

١٢- السيف المسلول .

١٣- القول المبذول في أحكام الغلول .

١٤- المسائل المهمة .

١٥- النسر فيمن بلغ سن الأربعين .

١٦- الدرر الزاهية في اوراد القادرية .

١٧- الترجمان في كيفية وعظ الشيخ .

١٨- الدالية .

١٩- التنبيهات الواضحات .

٢٠- النصيحة الواضحة .

٢١- القول المنعوت .

٢٢- الرسالة الشافية في الأمراض .

٢٣- الجمل النحوية.

٢٤- الاعلام بما يجب على الامام من حفظ بيضة الاسلام.

٢٥- آداب التوسل .

٢٦- تخميس البردة .

٢٧- تنبيه الاخوان على أودية الديدان.

٢٨- تنبيه السامع على أحكام سقوط الجامع.

٢٩- تنبيه أهل العقول .

٣٠- تخميس بانت سعاد .

٣١- تنبيه الأمراء على اصطناع صالحي البرداء .

٣٢- تنبيه الأفهام على أن المهدى هو الختام.

٣٣- تنبيه ذوى العقول .

٣٤- بيان الأركان .

٣٥- تعليق وجيز في شرح القصيدة الطبية.

٣٦- تنبيه الأفهام.

٣٧- تنبيه أهل الفهوم.

٣٨- تنبيه الجماعة على أحكام الشفاعة .

٣٩- تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب.

٤٠- تنبيه الراقد .

٤١- تمهيد العماد فيما زاد على عمدة العباد .

٤٢- تنبيه الغافل في التوسل بأعظم المسائل .

٤٣- جلاء الصدور.

٤٤- جلاء الصمم .

٤٥- حلية البصائر في الأحكام الأزمة.

٤٦- ذكر المجددين .

٤٧- رفع الشبهة.

٤٨- رسالة أمير المؤمنين بل الى جماعة المسلمين.

٤٩- رفع الاشتباه في التعليق بالله وأهل الله.

٥٠- رحلة البصائر .

٥١- رسالة الأمراض الشافية.

٥٢- سرد الكلام.

٥٣- شفاء الأسقام.

٥٤- شرح على البدماصي.

٥٥- شرح الصدور في تحرير جناية الرقيق على الحر.

٥٦- شمس الظهيرة فيما يجب على الوالي من حسن السيرة.

٥٧- ضجالة الراكب .

٥٨- عمل الساعة .

٥٩- غيث الشؤوب في وصية يعقوب .

٦٠- فوائد مجملة فيما جاء في البر والصلة.

٦١- فضل الفاتحة.

٦٢- فتح الباب في شأن الجيلي فرد الأحباب.

٦٣- قصيدة أمير المؤمنين الى أهل كنت.

٦٤- قصيدة أمير المؤمنين بل .

٦٥- متاب الذكرى .

٦٦- كف الاخوان عن اتباع خطوات الشيطان .

٦٧- كتاب النقول والنواطق .

٦٨- كشف الغطاء .

٦٩- كتاب الاشاعة .

٧٠- كشف القناع .

٧١- كفاية المهتدين .

٧٢- كف الاخوان عن التعرض لأهل الايمان .

٧٣- الكواكب الدرية في مصطلحات الصوفية .

٧٤- مجموع الأنساب .

٧٥- مفتاح السداد في أحكام الردة والموالاة .

٧٦- مفتاح السداد في ذكر الاقطاب الأربع الافراد .

٧٧- مرآة القلب .

٧٨- مسائل الجهاد .

٧٩- مصوغ اللجين في أمراض العين .

٨٠- مطية السلامة .

٨١- منظومة في شأن القطب .

٨٢- منظوم الدرر في شرح وظيفة حزب البحر .

٨٣- نصح كاف وفي المقصود ان شاء الله واف .

٨٤- نبذة في أودية البيدان .

٨٥- نصح كاف وللأمراض شاف .

٨٦- نظم ايساغوا جي في المنطق .

٨٧- نور الفجر .

٨٨- وثيقة أمير المؤمنين الى أبي بكر.

٨٩- وثيقة أمير المؤمنين الى جماعة المسلمين.

هذا وكان محمد بللو شاعرا مغلقا ، يميل في شعره الى نهج الجاهليين في المدح وشعر الحماسة ، ويمزج بين السهولة والجزالة في بقية أغراض شعره .. كما ينبض شعره الحماسي بالحياة والتدفق وطول النفس.

مختارات من شعره :

" الى شيخه الكنتي " :

وقال يمدح شيخه المختار الكنتي :

ألمم بساحة أحبابي وساداتي
واشف الجنان بهم من كل اعنات

واربع عليها وشم من مزن عارضها
برق الوصال وادرار المسرات

وانف الهموم وأشجانا تكابدها
فقد تخلصت من وعث المعرّات

وباكر الكرع من صهباء صافية
بقف لا نزق الاخلاق لـوّات

واحطط رحالك في أمن وفي دعة
فأنت آمن سرب وافر اللذات

فلا عليك فقد جاوزت ذا كرم
يحمي المجاور عن عات ومختات

ما خان عهدا ولا أزرى بجيرتـــه
ولا اشمئز لعافي العرف صـــواب

تلقى المكارم فيه وهي ملقيـــــة
كف المكارم عن طوع واخبــــات

فكيف لا تحتمي من كل نائبـــة
وقد حللت بأكناف متينـــات

وجاورتك الكرام العرب عن عـــرب
شم الأنوف جميع غير أشتـــات

توارثوا المجد عن فهر وأعقبهـــم
بالفخر عقبة فاستوفوا الكرامـــات (١)

كم أسبلوا ذيل عز من أقادمهـــم
واستحدثوا كل مجد غير فتّـآت

وكم وفوا بمواثيق لهم وهــــم
من ولد وافى الحلا عالى المزيات

وأحرزوا خصل سبق من مفاخرهـــم
من كل ساع الى التقديم مصـــلات

ما زال سبقهم في الفضل متسقـــا
فيهم وفخرهم مستعلي الصّـــات

حتى تبلج صبح العز وانتشـــرت
أنواره منهم خير أوقــــــات

بأحمد القوم أخلاقا وأعرفهــــم
مجدا وأرفع قدرا في السياســـات

---

(١) اشارة الى نسب الغلانيين .

وواسع القوم علما ثم معرفـــــة
لله في الوصف والأسماء والــــذات

وأبلج القوم ايقانـا وأيمنهــــــم
نقية ثم أدرى بالسيـــاســـــات

ومن هو العلم المشهور سورتــــه
ومن هو المورد المعسول لـــلات

ومن تبلج من أضواء طلعتــــه
نور الهداية عن سبل الضــــلالات

ومن تأرج من أكناف دارتــــه
شذا الحقيقـة من تلك الحقيقـات

ومن تفجر من أمواج راحتـــــه
معارف هي ترياق الجهــــالات

ومن تصوب بصوب البر منه يـــد
تحكى هواطلها صوب الغمامـات

ومن تبين من معنى عبارتــــه
هدى الشريعة في أسنى المقامـات

ومن تألف من معنى اشارتــــه
يرى الحقيقة فتحا للبصيــــرات

ومن هدت منه أوراد توظفهـــــا
أهل السلوك الى أعلى المقامـــات

حتى أناخوا بها في كل مركبــــة
عز الوصول اليها بالــــدلالات

واستنزلوا بهداها عن معاقلهـــا
عنقاء مغربة في كل مرقـــات
ذاك الامام الذى في رحب ساحته
حططت رحلي وامست فيه حاجـات
ويستباح به في كل مأربـــة
أقصى المراد وأضعاف المثوبـات
أعني به السيد المختار من بــده
تهمي عوارف درّات فـــدّرات
به تدرعت من همي وعن كــرب
تغشى فؤادى ومن وسواس خنات (١)
ومن ذنوبي وأوزارى ومظلمتــي
فانني أختشى منها العقوبــات
ومن شدائد يرميني بها زمنــي
ومن مكائد ذى ضغـن ومن عات
بالسيد الغوث أنت المستغاث بـه
فاشفع بجاهك لي في محو زلات
ما أعظم الذنب الا أن جاهكـم
أحظى شفيع أرجى منه مرضـات
فداركوني فقد خلفت منتبـــذا
دون الرفيق بعيدا عن محـلات

---

(١) خنات : خناس .

قد جل خوفي وفي افضالكم طمع
فها أنا اليوم في نفسي واثبات
ان تسعدوني بسيب من نوافلكم
فقد تحقق لي نيل السعادات
أو تلحظوني بعين من رعايتكم
فقد تهوطت في ظل الكرامات

" بكائية هزجية " :

وقال يرثي أخته :

ايا دهرا لنا عات	تولى بالرزيات
وهت أعشارها طرا	لو قع من ملمات
ولا درت لياليـنا	تبكينك بعبرات
وقد ذهبت بآباء	واخوان وأخوات
وأعمام وعمات	وأخوال وخالات
وذي قربى وذي رحم	وجيران وجيرات
فان الموت أفناهم	فأضحوا بين أموات
فأمست دارهم وحشا	بموتات خليات
ولولا خوف آثام	قرفناها وحوبات
ومطلع ما وراء الموت	من هول العظيمات
لهان عليّ شوقا فيـ	ـهم صعب المنايات

لعمرك ما لنا الدنيـــا بدار للمســـــــرّات
ولكــن دار أكـــــدار وأقدار مصيبــــات
وما أحـد من النـــاس من المـوت بمنجـــات
فطوبى لامرئ ولّـــى الى الاخـرى بنيـــات
وأعمال لـه صلحـــت وأخــلاق نقيـــات
أعنا ربنا في كـــــل ما يفضي لجنـات
ويقصينا من النــــار وأثقال شــديــدات
ويجمعنا وموتانـــا بجنــات رفيعـــات
فراديس عَريضـــات وكثبـــان عليـــات
ويحظينا بنظــــرات اليه من الزيـــادات
فحمد للذى يقضـــي فيعدل في القضيـات
وصلى دائما أبـــدا على خير البريـــات
وأصحاب لــــه والآ ل سادات وقـــادات

* جهاد المرتدين :

بانت فعز على الفؤاد سعـــاد
أيُرى لمن شطّت عليه فـــؤاد
سعدية من آل بكر شعبهـــا
فطن السيل مصيفها المعتـــاد

وتحل في البادين تنتجع الكـــــلا
بمنى اذا ما أجدب الـــــــــرواد
حلفت على وعد ببرقـــة صـــــــادر
ميعاد عرقوب لها ميعــــــــــاد
دع عنك ذكراهــا وذكرى مربع
حلته قبل رسومه الأوتــــــــاد
فدع العيون تجود دهرا سرمدا
بدموعهـا وتشقق الأكبـــــــاد
حزنا على نور أضاء بأرضنــــــــــا
وهو الهدى في الدين والارشـــــاد
قلّ المتاع به كأن مقامـــــــــــه
(١)
ظمأ الحمار قد انتطته ثمـــــــار
خطب جليل حل حين نعوا لنـــا
ذاك الضياء فغاب فيه ســـــواد
جلت مصيبتنا لفقد حياتـــــه
فاذا المصيبة بعدها تـــــزداد
نجم النفـاق وأشـمتت لوفاتـه
بصحابه الكفار والحســـــــاد
ثارت علينا في الجوانب كلهـــــــا
منهم خفافيش الورى الأوغـــاد
ظنا بأن يستأصلوا أصحابــــــــه
ولهم بكل محلة أجنــــــــاد

---

(١)

والله يكلؤنا وينصر جمعنـــــا
ولنا وقائع فيهم أشـــهـــاد
يزجيهم للحين أبرهـة الغـــرى
فتحزبوا وتأهبوا وارتـــادوا
فغدا يمنيهم أمانـــي فريـــة
ويقودهم فتجمعوا وانقـــادوا
حتى اذا وردوا بساحة أرضنـــا
ضلت فراه وضلت الأجنـــاد
من بعد ما وردوا حياض منيـــة
حتى ارتووا منها وهم أكمـــاد
حمدا لمن قد ردهم وأبادهـــم
فضلا وربـي قادر وجـــواد
صلى الاله على الرسول محمـــد
وصحابه وهم لنا القـــواد

" انتصـار " :

يا دار سلمى باللوى فالبـــاب
قفرا لطول تراوح الأقـطـــاب
ولقد وقفت بها أسائل رسمهـــا
اذ لم أجد متكلمـا بجـــواب
ولقد عهدت بها الحلول يزينهـم
بين الوجوه ثواقب الأحســـاب

دع عنك ذكرى خودة وديارها
وأوانس جاراتها أتـــراب
واذكر بلاء معاشر من قومنـا
ساروا الى الكفار بالهيجـاء
زحفوا لهم وقت العشي بجحفل
فيه الجياد لواحق الأقـراب
وجلالها وقوانس مرسومـة
وصوارم في غمدها وقـراب
فيه الرماح اذا تعد سنابل
للدخن في ابانه المنتـاب
وبغتية وردوا عليهم يومهـا
أشباه جنّ حازمين غضـاب
سرنا الى " غمكي " وفرّ " الاسَون "
قوّاد أهل الشرك والأحـزاب
نزلوا " كدابي " بالعتوّ وألبّـوا
أهل القرى وبوادي الأعـراب
لما تراءينا وأقبل جمعنـا
جاشوا بأرماح لهم ونشـاب
فاذا جماعتنا تسوق جموعهم
بقنا وكل مجرّب قضّـاب
ولقد تركنا جمعهم بفنائهم
جزرا لطير سغب وذيـاب

أبلغ " لواشر " ان عرضت رسالــة
منى مغلغلة تـغى بصـــواب
ان تبتم بالصدق من أحوالكــــم
من نصر أهل الشرك والأنصـــاب
ورددتم أحرارنا نقبل لكـــم
واذا أبيتم فاتقوا أصحابـــي
حمدا لمن أسدى الينا نصـــره
فضلا وربي ســيد الأربـــاب
صلى الاله على النبي محمـــد
والآل خيرتنا مع الأصحـــاب

* فهل بعد شيب من صبا "؟

لمن طلل عاف بذات بطـــاح
فأكناف دارات فذات بـــراح
وقفت به صحبي أسائل ربعـه
عن الحي أيا يمموا بسجـــاح
فدع عنك ذكراها وذكر رباعهـا
وهل بعد شيب من صبا ومـــزاح
وحتى متى لا ترعوى بمواعـــظ
من الدهر بالآصال أو بصبـــاح
ولم تزل الدنيا تريك تقلبـــا
بأضداد أيام بدت بمتـــاح

تريك اجتماعا ثم تأتي بفرقة
كجمع منى صدروا بيوم صراح
وأنت الى الشهوات دهرك مسرع
مضيع سبيل سلامة وصلاح
مطيع هوى في أخذه عرض عرى
فيا بئس هرّاج الردى وطلاح
فهلاّ رجعت وتبت من كل وصمة
وهلا سلكت سبيل أهل صلاح
وهلا عكفت على القران تدبرا
ففي فهم ما هو فيه كل نجاح
وهلا حبست النفس في مشهد الرضا
لاطفاء نيران وفوز قداح
وهلا عزمت على الجهاد بعدة
سيوف وفتيان الوغى ورماح
وهلا أقمت على الجهاد مرابطا
وهلا حرست بها جميع سلاح
وهلا صمت عن الفضول معوضا
بذكر الاله وهو نيل رباح
الى الله أشكو حال نفسي وضيمها
وقد لكشت واشتد برح احاح
فمنك أرجو توبة وصلاحها
وغفران ذنب سابق وجناح

محمد البخـــاري :

هو محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي .

ولد سنة ١٢٠٠ هـ - ١٧٩٤ م في بيت علم وولاية .. فأبـــوه هو الشيخ عثمان بن فودي الولي المجاهد .

نشأ على سيرة حسنة وخصال حميدة من التقوى والزهد والورع وجهاد في سبيل الله .. فقد كان من الذين جاهدوا في بلاد " تـفـا " وابلو في ذلك بلاء حسنا .

تربى في أحضان والده وعمه الشيخ عبدالله بن فودي .. وأخذ عنهما وعن بعض أخوته العلم فبرع في علوم عصره ، وكان لعمه عبدالله ابن فودي اليد الطولى في تثقيفه وتربيته تربية روحية .

توفي سنة ١٢٥٥ هـ - ١٨٤٩م وهو ابن خمس وخمسين سنة ، بعد حياة مفعمة بأعمال جليلة ممثلة في الجهاد بالسيف والقلم واللسان ..

وكان محمد البخاري شاعرا رقيقا مرهف الاحساس ، يمتاز شعـره بالعذوبة والسهولة والرقة والتدفق والانسياب وحرارة العاطفة ..

مختارات من شعره :

" بالأسياف لا بالدفوف " :

الا أبلغ عتيقا من أخيـــــــه
ومحض النصح ينفـع من يعيـه

أتقصد بالفجور أخا كريمـــا
يدافع عن حماك وتزدريـــه

وتغرى كل ذى سفه عليه
معاذ الله من سفه وتيه
فان تطمع بذلك نيل ملك
يطيب به المعاش وترتضيه
فان الملك بالأسياف لا بالـ
دفوف ولا بشقشقة السفيه
وكن كأخيك " بلّ " تفز بملك
وتعلو فوق كل أخ نبيه
هو الكرم الذى قد كان نورا
لنا من بعد سيدنا أبيه
فان مدت حياة أبي علي
نعش في العز والعيش الرفيه
والا فالفرار الى لصاب
وخرق بلقع من أرض تيه

" جهاد المرتدين " :

أمن أم محمد طللان
مخلولقان " بجن " ذى القيمان
وجنب " ثامي " ذى الربا عفاهما
قدم وكل أجش ذى هطلان
أقوت ديارهما سنين فما ترى
فيها سوى الآرام والريلان (١)

---

(١) الريلان : جمع رال وهو ولد النعام.

ولقد أطلت بها الوقوف وصحبتي
نسل الديار عن أهلها الخـــلان
فأجابنا من بعد طول قائـــل
أنتم ومن تسلونه ســـيان
كيف الثواء والاصطبـار بهـــذه
الأوطان بعد أولئك الأعيـــان
بل من لكروان تهـدد أعقبــا
وثعالب تسطو على أســـدان
فاصبر فلست على الزمان بقـادر
من عاش يلق عجائب الأزمـــان
أبلغ لأعدائي اذا ما غرهـــم
حلمي وامهالي لهم وليـــان
اني امرؤ عند الأحبـة طغـــرس (١)
حلو ومر للذى عادانـــــي
أوما علمتم انني يوم الوغـــا
أروى قناتي من دم الأقـــران
وأطا عن البطل الكريـه نـزالـه
ان صد عنه أماثل الشجعـــان
وأذود عن قومي وعن أحسابهـــم
أهل النواء بشكة ولســـان
حولي أسود ضاريات من بنـــي
موسى وليد وجاء أهل طعـــان (٢)

---

(١) طغرس : أى لين سهل .
(٢) يشير هنا الى نسب الفلانيين .

سل أهل "زنغر"[(١)] عنهم يوم التقوا
"بابيت"[(٢)] بعد تحزب السودان
من أهل "باور"[(٣)] كلهم وكتنكرو[(٤)]
وسواهم من ناصرى الشيطـــان
يوم استخف الرعب كل مشجـــع
بطل وطارت نفس كل جبـــان
ساروا الينا واثقين بطولهـــم
بعرمرم كالليل ذى أركـــان
فأمدنا رب العلا بسكينـــة
وكتيبة من قوة الايمـــان
راجين احدى الحسنيين لجمعنا
من جنة أو نصرة الرحمـــان
صالوا وصلنا بالشجاع وسعـــرت
نار الوغى وتنازر الجمعـــان
وتصابر الصفان تختلف القنـــا
حينا وأوغلنا هم بطعـــان
فأعزنا رب العباد بنصـــره
وأذل أهل الكفر بالخـــذلان
ولوا وخيل الله تردى وسطهـــم
تسقيهم كأس الردى وهـــوان

---

(١) سبق أن أشرنا الى انها قبيلة وثنية.
(٢)، (٣)، (٤) مواضع .

ولقد تركنا جلهم في معـــــرك
جزر السباع وأسغب العقبـــان
هذا وكم لي من مشا هد جمــــة
مشهورة في سائر البلـــــدان
كانت لنا عزا وعند الله مـــا
قد جاء وعدا منه في القـــرآن (١)
فله المحامد اذ حبانا نصـــره
وأعزنا مع كثرة العصيـــان
واليـه نضرع أن يديم لجمعنـــا
نصرا وتشريفا مدى الأزمـــان

* وقعة "كداكي" :

ألا من مبلغ عني كلامـــي
لقومي بعد توفير الســلام
بأنا قد أتينا أهل غوبـــر
بجمع فيـه آساد التحـــام
كرام من بني روم بن عيـــص
وعقبة أبـرآء مـــن المـــلام (٢)
بأيديهم سيوف راسبـــات
مترات الجماجـم والبنـــام

---

(١) اشارة الى قوله تعالى * ان الله اشترى من المؤمنين .. *.
(٢) يشير هنا الى نسب الفلانيين .

وتحتهم خيول ضامــــــــــرات
طوال جافـــلات كالحمــــــــــام
نقودهم بتدبيـــــر و وعظ
و تشويق الى دار الســـــــــلام
الى أن قد أتينا بعد ظهــــــر
ديار القـــوم في لجب لهــــــام
وقد جمعوا توارقهم جميعـــــــــا
و من يحميهم مـــن آل حـــــــام
فصفوا واستعدوا ثـــم طـــــاروا
علينا بالرماح وبالسهـــــــــام
فشد عليهم نفر كــــــــرام
فولى عنهم جمـــع اللئـــــــــام
فذاق الموت من بركت عليــــــــه
وبالناجين أظفــــــار دوام
فغادرنا كماتهـــم وكبـــــش
ـهم جزر لخامعة الظــــــــلام
قتلنا منهم ما ليس يحصـــــــى
وأبنا بالغنيمة والســــــــــلام

" بكائية في ابن خالته " :

أسلت أيا رزء الهمام أبي بكـــــر
لعيني دما بعد الدموع على نحـــرى

فتى لا يــزال الدهر يولي جميله
ويلقى الرماح والصوارم بالصــــدر
تراه اذا ما الحرب شبّ ضرامهـــــا
يصول كضرغام هزبر أبي أجـــــر
لنعم الفتى قد كنت للحي جُنــة
تذود الردى عنهم برأيك والسمـر
وغوثا لمكروب وكهفا لعائـــــذ
وغيثا على العافيـن في ساعة العسر
فما زال غيث من رضي الله ربنـــــا
يسيل على قبر "بَدَند"(١) مدى الدهر
أقول لنفسي أسوة وتجلـــــــدا
وقد غيضت أشجانها فضل الصبر
أقلّي فان الموت حتم على الــــــورى
وكل امرىء يوما يسير الى القبـــر
هنيئا له نيل المنى من شهـــــادة
وتطهيره من كل ذنب ومــــن وزر
وروح وريحان وأمن ورحمــــــة
وما وعد الشهدا من الرزق والبشــر
ونيل الرضى والقرب من خالق الورى
وجنات خلد والشفاعة في الحشــر

---

(١) دند : موضع .

الوزير الجنيد :

هو محمد الجنيد بن البخارى بن أحمد بن غدادو بن ليـــم بفتح اللام وسكون الميم ..

ولد سنة ١٣٢٢هـ - ١٩٠٧م في بيت دين وعلم ووزارة .. وهو من أحفاد السيدة أسماء "نانا" بنت الشيخ عثمان بن فـــودى الشاعرة ..

نشأ في كنف والده فتثقف عليه ودرس عليه معظم العلـــوم التي كانت تدرس يـــومئذ، ثم تتلمذ أيضا على الشيخ مالم بوبي والشيخ محمد الأول وزير زاريا مستفيدا منه ومفيدا ..

قام بعدة رحلات الى الشرق فزار من البلاد العربية مصر والعراق وليبيا والسودان والقدس .. وقد كتب عن بعض هذه الرحلات.

له عدة كتابات ومقالات منها :

١ - ضبط الملتقطات .

٢ - افادة الطالبين ببعض قصائد امير المؤمنين محمد باللو .

٣ - عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ .

٤ - ديوان قصائد الوزير .

٥ - تفريج النفس بذكر زيارة العراق والقدس.

٦ - روائع الأزهار من روض الجنان.

٧ - متحف الاخوان لما أتى في الكشف والبيان.

٨ - تحفة الاخوان ببعض ما لشيخنا عثمان من كرامات .

٩ - تعليق وجيز .

١٠- تجديد ذكر السادات .

١١- تجديد ذكر الشيخ .

١٢- نسق كتاب سعد على حروف أبجد .

١٣- نيل المرام .

١٤- تأنيس الأحياء .

١٥- اسعاف الزائرين .

١٦- التحفة السنية .

١٧- قلائد العقيان .

١٨- تسلية القلوب .

١٩- تنبيهات أمير المؤمنين محمد بللو .

٢٠- مجموع الدعوات والتوسلات .

٢١- اتحاف الحاضر بمرأى المسافر .

هذا ويتمتع الوزير الجنيد بشاعرية نادرة فهو جيد الشعر ، يمتاز شعره الغنائي بالتدفق والانسيات والتعبير التلقائي ، مزاوجا فيه بين الجزالة والسهولة ، كما يجنح في شعره التعليمي الى الرقة والسهولة ، وهو الجنس الذى أكثر منه إكثارا . .

مختارات من شعره :

"مناجاة الطلول" :

ظعن الذين عهدت في ذا النادى

ماذا وقوفك في الطلول تنادى

وعلام تبكي من بكاء حمامـــــة
في ايكة تشدو على التـــــرداد
والدمع يجرى فوق نحرك سائـــلا
كالماء يجرى في مسيل الـــوادى
ذهبوا وغير رسم دارهم البلى ال
المردى وطول تهجر وبعـــاد
حتى كأن ذراهم لم يغشهـــا
ذو حاجة من رائح أو غـــادى
صارت مراتع للوحوش بعيـــد أن
كانت مقاصد حاضر أو بـــادى
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى
الحرباء لائذة على الأعـــواد
قامت تخاطبني فعز كلامهـــا
وَلَكُم سكوت معلن بمـــراد
وتدير عينيها تشير بـــذاك دو
ر الدهر غير ما ترى في النـــادى
وتلونت ففهمت منه تلون ال
أحوال في الدنيا فعز رقـــادى
لم لا أناد في الطلـــول وهذه ال
أطيار فوق غصونهن شـــواد
ألوانها ما بين أبيض ناصــــع
أو أحمر أو مشرب بســـواد

تشدو و ترقص في حلى أرياشهـا
رقص القيان بحلـة الأعيـاد
أسفي على طلل يمازحني متـسـى
ناديت خالفني على المعتـاد
ناديته يا أيها ذا النـادي
فأجابني يا أيها ذا النـادي
لما سكت دنت إليّ حمامـة
مغبرة تبدو كلون رمـاد
فسألتها أين الذين عهدتهـم
قالت لقد بلغوا على الميعـاد
قلت اخبريني من تخلف بعدهـم
قالت تخلف دولة الأكـراد
مالي أرى دول الكرام وضيعـة
قالت علتها دولة الأوغـاد
فسألت ما خلق الذين تخلفـوا
قالت ذوو فحش ذوو أحقـاد
لا تكذبيني يا حمامة اكشفـي
قالت ذوو حسد ذوو افسـاد
هل يحسد الرجل الكبيـر صغيره
قالت فذلك عادة الأكـراد
فسألتها مالي أراك هزيلـة
قالت لكثرة لوعتي وسهـاد

ما بال لونك مغبرا متغيــــرا

قالت لبست عليّ ثوب حـــداد

ماذا وقوفك هاهنا في وحشـــة

قالت لأندبهم على الأوتـــاد

هلا قفوت اليهم آثارهـــــم

قالت قعدت لقلة الأزواد

رحم الاله جميع من مكثوا هنـــا

آمين وشتت دولة الأوغـــاد

وأعاد دولة من عهدت بهم هنا

أهل التقى والجود والارشـــاد

ثم الصلاة على النبي وآلـــه

وصحابه أبدا الى الميعـــاد

" دموع على أخت شيخه "

عظم المصاب فعز فيه عـــزاء

ونمى البكاء ولا يفيد بكـــاء

حار الفؤاد فليس يبصر مسلكـــا

للصبر أو يأتي اليه شفـــاء

وجرى الدموع على الخدود كأنهـــا

فوارة أو مزنـــة هطـــلاء

وبقيت مكتئبا وزادت وحشتـــي

و جزعت يوم توفيت حـــواء

لا رزء أعظم عندنا من فقدهـــا
قد أزعجت من موتهـا الصلحـاء
ميمونـة أخلاقها مرضيـــة
أفعالهـا شهدت بـه النبـــلاء
أحسن بها صوامـــة قوامـــة
ومتينة من دينهـا شـــمـاء
زهادة وراعة دراســـة
القرآن قد شهدت بذى الأنـاء
وتبيت دائمة الخشوع لربهـــا
ولذكره حتى يغـش الاسـاء
ويظل ذكر الموت يزعج قلبهـا
وبربها أنى يكون لقـــاء
دأبا تحذر من متابعـة الهـوى
علمت بذا القربـاء والبعـداء
ويسرها ما سر أهل الله مـن
قول وفعل نفسها سمحـــاء
أبدا تحاسب نفسها وتراقـب
المولى على ما تفعل الرقبـــاء
وتبيت باكية العيون لخوفـه
بتواضع يرضى به الأدبـــاء
نفاعة للناس بالتفسيـر والـ
إقراء قد شكرت لها الطلبـــاء

حمالة الأثقال بل حنانــــــــة
للمعتفين وكفها معطـــــــاء
ما كنت أقدر عدهاتيك الحلــــى
يكفى القليل وفي القليل كفــاء
فالله يرحمها ويشكر سعيهـــــــا
ويعمها منه الرضى وحبـــــاء
فالله يرحمها ويوسع قبرهـــــــا
بمحمد ويعم فيه ضيـــــــاء
فالله يملأ بالنعيم ضريحهـــــــا
ويزورها السعداء والشهـــــداء
فالله يونسها ويذهب خوفهـــــا
وتكون حيث تبوأ الأمنـــــــاء
يا رب ألحقها بخير الانبيـــــــا
وبمن هم من بينهـــم رحمـــاء
واغفر لها يا رب وارحمها وكـــن
متفضلا يا من لــــــــه الآلاء
كن خير كاف نسلها واحفظهـــم
من كل شر ما بدا الامســـاء
ثم الصلاة على النبي وآلـــــــه
ما أنشدت أشعارها الشعـــراء
يتلو السلام عليه مع أصحابـــــه
والتابعيـن متى استجيب دعـــاء

" في طريق الى خرطوم " :

خرجنا بعون الله في "غلس" (١) الى الـ
مطار وكنا كالطيور البواكـــــر
فطارت بنا من " برو" (٢) ولاجة الهوا
تدافع أمواج الهوا في الهواجـــر
تخوض عباب الجو عند ارتفاعهـــا
وتملأ من صوتها بالزواجــــر
مجوفة فيها كراسي صففـــت
ملينة بالخيش برا لزائـــر
ونفعل فيها كل شيء نريـــده
كأكل سوى تدخيننا بالسجائـر
نزلنا " جنيه " للغذاء وبعـد ذا
ك طرنا ولم ننزل سوى عند " فاشر" (٣)
فعدنا اليها ثم طارت وشرقـــت
وقد بعدت عنا أراض النياجـــر
الى أن انختاها وفازت يد النـوى
بخرطوم (٤) فانجابت هموم المسافر

---

(١) غلس : مدينة .
(٢) برو :
(٣) جنينه وفاشر : مدينتان .
(٤) عاصمة السودان .

وعند غروب الشمس تم نزولنـــــــا
فأقبل ليل مسدل بالدياجـــــر
فلاحت لنا بالكهرباء كأنهـــــا
نجوم بدت أو كالبدور السوافـــر
فلما انتهينا واطمأنت نفوسنـــا
نزلنا "بلوكند" البهي المناظـر
به ألف مصباح تضيء كأنهـــا
وجوه حسان في معالي المنابـــر
على شاطيء النيل المبارك قد رسى
نشم الصبا منه بعرف القنابـــر
نمتع فيه كل يوم عيوننـــــا
بما نشتهيه مثلج للضمائـــــر
زوارقه تأتي وتذهب دائمـــا
تميس على التيار ميس الحرائـــر

" تضرع الى الله " :

يا رب أنت الذى ينجوبه الناجـــي
من كل شر مضر في الورى فـــاج
ادرك بنا يا غياث المستغيث بـــه
انا لفي ليل حزن في الحشـــا داج
فرج ونفس سريعا كربنا وقنـــا
شر العدى مصلد منهم ومدلاج

استضعفونا وصاروا يهزءون بنـــا
تكاد فتنتهـم ترمى بأمـــواج
يا رب رد عليهم شرهم وقنـــا
من بـأسهم واهمنا من كل ازعاج
شتت أمورهم بدد جموعهـــم
وانزل عليهم ببأس منك عجـــاج
" قد أفسدوا الدين والدنيا لحمدهم
ترى علامتها من بيـــن أوداج"
تتبع لعيوب الناس ديدنهـــم
ما بين منهمـك منهـم وولاج
الخير ما فعلوا والشر ما تركـــوا
ورأيهـم أخذوه خير منهـــاج
فقد قصدتك في أبطـال ما صنعوا
وأنت يا رب كافق الخائف الـــراج
يا رب ان العدى يسعون في تلفي
ويزعمون بأني لست بالناجـــي
يا رب صل صلاة لا تعدّ علـــى
من قد خصصت باسراء ومعـــراج

" نصائح " :

جهلت ولكن أذهلتك الفـــوادح
وكيف يطيش العقل والأمر واضح
جهلت بعيد العلم من عُظّم ما ترى
لذلك لا يجديك بالنصح ناصـــح
نسيت بما يطلى عليك دروســـــه
زمانك قبل اليوم والزهر فاتـــح
وما كان يمليه الكتاب عليك مــن
عجائب دهر صرفه لك شــــارح
فلا تخش من جور الزمان وكيـــده
فما زال قدما بالرجال يناطـــح
والا فأين الأولون وما بنــــوا
وهل يقني المرجوح منهم وراجح
كفاك اتماظا ياأخيّ فلا تكن
كمن يشتكي الاظلام والصبح واضح
ورد جميع الأمر أمرك كلـــــه
الى الله لا يثنيك عنه الملا مـــح
وفوض اليه الأمر يكفيك كلمـــا
عراك فان الدهر آت ورائـــح
وسلم اليه الأمر وارض بحكمـــه
ومن يعتصم بالله ذلك رابـــح
الهي اكفني دنيا وأخرى وبرزخـا
واحسن ختامي يوم تبكي النوائح

وصل على المختار أحمد من بـــه
نلوذ ليوم عزفيه المسامــــح
وسلم عليه ثم بارك وآلــــه
وصحب أولى الخيرات ما ساح سائح

" لا منجا ولا ملجأ من الله الا اليه " :

نام الخلي ولم تنم عينـــاك
مضنى الفؤاد لعظم ما يغشاكـــا
ألذكر سلمى حين شطت دارهـــا
أم نوح ساجعة الدجى أبكاكـــا
أم نفسك السهوى الخبيثة سلطت
سهم المكائد باغتا فرماكـــا
هلا الى مولاك تبت ولذت لا
ملجأ ولا منجا سوى مولاكـــا
فوض اليه الأمر كلا واطلبـــن
منه فيكشف كل ما آذاكـــا
وتوسلن بمحمد خير الـــورى
وتشفعـن بـه لكل دعاكـــا
صلى عليه الله مع أصحابــــه
شهب الهداية نورت أحلاكـــا
ربى به وبهم جميعا نجنـــي
وأدم لقلبي دائما ذكراكـــا

وأذقه لذته ومعرفة معـــــا
والزهد في الدنيا وحب لقاكـــــا
وادفع خواطريَ الرديئة كلهـــا
عني وثبت في الفؤاد هداكـــــا
واختم حياتي بالسعادة مؤمنـــا
بك يا الهي فائزاً برضاكـــــــا
وارحم الهي والديَّ واخوتـــــي
واغفر لهم ولكل من لباكـــــــا
وأدم صلاتك والسلام على الـــذى
أخزيت شانئه بأعطيناكـــــا
وعلى صحابته الكرام وآلـــــــه
ما فاز عبد بالمنى ناداكـــــا

الفصل الثالث :

الملامح المميزة للشعر العربي في غرب افريقيا .

من خلال دراستنا للشعر العربي في غربي أفريقيا ، نستطيع أن نحدد الملامح المميزة له فنيا فيما يأتي :

أ : امتزاج الروح الدينية بمختلف أغراض أشعارهم ، كما امتزج وصف الطبيعة في أشعار الأندلسيين بمختلف أغراضهم ..

ومن أمثلة ذلك قول عبدالله الوزير في بائيته التي وصف فيها فساد أهل زمانه :

يقولون ما لا يفعلون وتابعوا
هواهم وطاعوا الشح في كل واجب

مستوحيا فكرته من قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾.(1)

وقوله تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه .. ﴾ الآية.(2)

---
(1) سورة الصف الآية ٣ .
(2) سورة الجاثية الآية ٢٣ .

ويظهر ذلك في قوله أيضا :

ولیس لهم علم ولا يسألونـــه

وأعجب كل رأيـه في المذاهب

فهو في هذا البيت يشير الى عدم امتثال القوم بمبدأ الاسلام في قولـه تعالى : * .. فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * (١)

وقوله كذلك في تهاونهم بصلة الرحم :

وقطع أرحاما وأرزى معارفـا

وآثر عن قرباه جمع الأشائـب

مستلهما فكرته من قوله تعالى :

* ... ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك عليهم اللعنة ولهم سوء الدار *. (٢)

وقوله أيضا في عدم تعميرهم للمساجد :

وما همهم أمر المساجد بـل ولا

ومدارس علم بله أمر الكتائـب

مشيرا الى قوله تعالى :

* انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر .. * (٣)

---

(١) سورة النحل الآية ٤٣.

(٢) سورة الرعد الآية ٢٥.

(٣) سورة التوبة الآية ١٨.

ويقول الشاعر اسماعيل في الرثاء مبينا حال الدنيا التي تنفـــد

ومحذرا من الاغترار بها :

الله أكبر ذى الدنـا لفنــــاء

خلقت وما خلقت أخي لبقـــــاء

دار كثير حزنها وهمومهـــــا

ما أضحكت الا انثنت ببكـــــاء

كانت على كدر ونحن نرومهـــا

تبقى لنا بمسرة وصفــــــاء

وهو ينظر في ذلك الى الآيات الكريمة :

* كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام *(١)

وقوله تعالى :

* ... وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور *.(٢)

ويقول الشاعر ذو النون في المدح :

أما يتيم عند هذا الشيخ لـــم

يقهر وسائل جوده لم ينهــــر

مقتبسا من قوله تعالى :

* فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر *(٣)

---

(١) سورة الرحمن الآية ٢٧.

(٢) سورة الحديد الآية ٢٠.

(٣) سورة الضحى الآيـة ٩ ، ١٠.

ويقول أيضا في الرثاء راضيا بالقضاء والقدر :

فما لنا بعده الا الرضى بقضـــا

* الله بارى البرايا كاشف الكـــرب

والرضا بالقضاء والقدر من صميم مقاصد الاسلام بل هو من أركــان الايمان الستة.

وها هو ذا أحمد عيان سه يقول في الرضا والصبر على القضـاء والقدر وذلك في رثائه للشيخ زين الحامدين :

يا أهل فوت نعى الناعون سيدنا

فلتصبروا فعظيم الأجر للصبــر

ليس البكاء بمجد فيه خردلـــة

والصبر أجمل للمقدور والقـــدر

لو كان يفدى فديناه بأنفسنـــا

والموت لم تنج منه شدة الحـذر

وهو ينظر الى قوله تعالى :

* ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ،الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانـا اليه راجعون *.(١)

وقوله تعالى : * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة *(٢)

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٦-١٥٧.

(٢) سورة النساء الآية ٧٨.

و يقول أيضا في فناء البشر والمخلوقات جميعا :

و من على الأرض فان لا بقاء لـــه

ولو تمطى الى الجوزاء أو زحـــل

وهو اقتباس من آية سورة الرحمن التي سبق أن أشرنا اليها.(١)

ويقول أيضا داعيا القوم الى الاعتصام بحبل الله المتين :

ماذا التدبر والاسلام يجمعكـــم

والطبع واللون والأنساب والوطـــن

صلوا عقود حبال الوصل بينكـــم

ولا تكن بينكم يا قومنا الاحـــن

وهو في هذه الأبيات يستلهم قول الله عز وجل :

* وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم *(٢)

وقوله تعالى :

* واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .. *.(٣)

و يدعو القوم الى تعمير الأرض و نبذ الخلافات فيقول :

و لتعمروا بلدا تستوطنون بــــه

ولتملأوه بساتينا وأمـــــــوالا

بذاك فابغوا رضا الرحمن واتبعوا

مراده في بقاء النـــاس أجيـــالا

---

(١) وهي الآية رقم ٢٧.

(٢) سورة الانفال الآية ٤٦.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

لا تفشلوا بنزاع سوف يهلككــــم

مستمسكين بما المولى لكم قــــالا

وأحمد عيان سه في هذه الأبيات يستقي أفكاره من قول اللـــه جل وعز ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ..﴾ (١) وقولـــه أيضا في آية الأنفال السابقة. (٢)

ويقول أيضا في وصف مدينة "أندر" :

سماء صحو نجوم الأرض تكلوء هـــا

قد أشعلت لرجوم الجن اشعـــالا

فقد استوحى فكرة رجم الجن مسترقي السمع بالنجوم الثواقـــب من مجموع الايات الأربع من سورة الصافات من قوله تعالى :

﴿ ان زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطـان مارد ، لا يسمعون الى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب ، دحـــورا ولهم عذاب واصب ، الامن خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾. (٣)

وها هوذا القاضي مَجَخْتَ كَل يمدح الأمير لتجـور بقيامــــه بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيقول :

بشرى لقد شاد دين الله "لتجـور"

فأحيى اليوم بالاسلام "كجــور"

---

(١) سورة هود الاية ٦١.

(٢) وهي الاية رقم ٤٦.

(٣) من الاية ٧ الى ١١.

تلغيه يأمر بالمعروف عسكــــــــره

كأنما جاءه من ربه النـــــــور

وهل ترى ناديا فيه تمربـــــــه

الا ويسمع تهليل وتكبيـــــــــر

وفكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أساسيات مبادئ الاسلام وان الخيرية التي وصفت بها أمة محمد عليه الصلاة والسلام منوطة بالقيام بهذه المهمة على أكمل وجه .. يقول تعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهــون عن المنكر وتؤمنون بالله ... ﴾ (١)

ويقول الشاعر أيضا في الممدوح نفسه مشيدا بجهاده :

أقام سبعة أعـــوام يبارزهـــــم

حتى رأوا أن جند الله منصـــور

وهو ينظر الى قوله تعالى :

﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ﴾. (٢)

ويقول أيضا في القصيدة نفسها :

حمدا اذا ما النصارى أخرجوا فلنا

من بعدهم لديار الدين تعميـــر

---

(١) سورة آل عمران الاية ١١٠.

(٢) سورة الصافات من الاية ١٧٢-١٧٤.

أخرجتهم بحروب ذكرها أبـــــدا

باق بقاء جبال الأرض مشهـور

مشيرا الى المطلب الأساسي لخلق الله الانسان من علي هـــذه الأرض وهو تعميرها بالطاعة و العبادة ونفع العباد.(١)

وتقول أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودى في رثاء صديقتها :

وذكرني موت الحبيبة من مضـــى

من الأخــوات الصالحات العقائل

من الصالحات القانتات لربهـــم

من الحافظات الغيب ذات النوافل

ناظرة في صفاتها الى قوله تعالى :

* .. عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكـــن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات ثيبات وأبكارا *.(٢)

وقوله تعالى * ... فالصالحات قانتات حافظات للغيـــب بما حفظ الله .. *(٣)

وتقول في ذلك أيضا :

و اني لحكم اللـــه راض و انمــــا

أراعى بما قد قلت حق الأخــوة

---

(١) يراجع الآية السابقة من سورة هود رقم ٦١.
(٢) سورة التحريم الآية ٦.
(٣) سورة النساء الآية ٣٤.

وأبكى عليها بالدموع ترحما
وشوقا وتحنانا لصدق المودة
ولم ينه عن هذا النبي وانما
نهى عن صراخات بآه وآهة

مشيرة الى ممنوع البكاء والحزن على الميت.

ويقول محمد البخارى في الجهاد مشيرا الى وعد الله الصدق للمجاهدين :

فأمدنا رب العلا بسكينة
وكتيبة من قوة الايمان
راجين احدى الحسنيين لجمعنا
من جنة أو نصرة الرحمن
فأعزنا رب العباد بنصره
واذل أهل الكفر بالخذلان

فأفكاره في الجهاد كلها مستقاة من تعاليم الاسلام في هذا الباب ، فالله تعالى يمد المجاهدين في سبيله بالسكينة بقوة ايمانهم به. يقول تعالى :

* ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ... * الآية (١)

والمجاهدون في سبيل الله يرجون احدى الحسنيين ، اما النصر واما الشهادة وكلاهما خير للمؤمن ... فالله تعالى يقول :

* يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * (٢)

---

(١) سورة التوبة الاية ٢٣.
(٢) سورة محمد الاية ٨.

ويقول أيضا :

* ... والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم *. (١)

والله ناصر المؤمنين والمجاهدين ومذل الكفرة والملحدين ، يقول تعالى :

* ... وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين * (٢) ،

ويقول عن الزهد في الدنيا :

وازهد عن الدنيا فان نعيمها
أضغاث أحلام وظل زائل

متأثرا بقوله تعالى :

* وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور * . (٣)

ويقول في الرثاء :

أقلي فان الموت حتم على الورى
وكل امرىء يوما يسير الى القبر

ناظرا الى قوله تعالى :

* .. كل نفس ذائقة الموت *. (٤)

---

(١) سورة محمد الاية ٧ .
(٢) سورة التوبة الاية ٢٧ .
(٣) سورة الحديد الاية ٢٠ .
(٤) سورة آل عمران الاية ١٨٥ .

وها هو ذا محمد سنمبو يقول في لاميته الزهدية :

ليس للانسان الا ما سعـــى

فليكن سعيك احسان الفعـــال

مستلهما قوله تعالى : * وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرى * . (١)

وفيها يقول أيضا :

كف عن أمر اذا ما اشتبهـــا

تنج من خوض غارات الوبـــال

راميا الى قول المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :

" دع ما يريبك الى ما لا يريبك ". (٢)

ويقول أيضا :

واكظم الغيظ ولا تغضب علـــى

طيش جهال هم أهل الضـــلال

مقتبسا من قوله تعالى :

* والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * (٣)

---

(١) سورة النجم الآية ٤٠ ـ ٤١.

(٢) رواه الترمذى والنسائي .

(٣) سورة آل عمران الاية ١٣٤.

ويقول أيضا في التقوى :

ولباس البر والتقوى البســـن

وتعمـــم بحميـــدات الخصـــال

جامعا مقاصد الاسلام في الحث على البر والتقوى والتخلق بمكارم الأخلاق وناظرا الى قوله تعالى : ﴿ ... ولباس التقوى ذلك خير .. ﴾.(١)

ويقول في مراعاة حق الجار :

وأذى الجار ابتعد عنـــه وان

هو آذاك فقابـــل باحتمـــال

مستوحيا قول الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام :

" والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه ".(٢)

" ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ".(٣)

ويقول أيضا في حفظ الأمانة ووفاء العهد :

والأمانات احفظنها لا تخـــن

أوف بالعهد تكن خير الرجـــال

مشيرا الى قوله تعالى :

﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ﴾.(٤)

---

(١) سورة الأعراف الاية ٢٦ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) سورة النساء ٥٨ .

وقوله عز من قائل :

* وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا * (١)

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة .. على أن هذا الملمح ظل يلازم الشعر العربي في غربي أفريقيا في جميع أغراضه ولم يتخلف عنه لحظة من اللحظات .. ولا غرابة في ذلك ،اذ لولا الدين الاسلامي لما كان للقوم شعر باللغة العربية.

ب : الصور والأخيلة والمعاني والأسلوب ،مقتبسة غالبا من ثقافتهم الأدبية في الشعر العربي القديم..

فمثلا عندما نقرأ شعر القوم نجدهم يعمدون الى التشبيهات القديمة المحفوظة والصور الشعرية المكرورة في الشعر العربي القديم ،فاذا شبهوا المرأة الحسناء فهي تحكي الظبي في كناسه والبدر في سمائه وهي مهاة وألحاظها سيوف باترات وقدها غصن يتثنى ونهود الحسان كالرمان وخدودهن كالتفاح وعذوبة ريقهن كالخمر المعتقة ويتمطفن كالرماح وخصورهن كأحقاف بدعص .. الى غير ذلك من القوالب الموروثة ..

فمثلا يقول أحمد عيان سه يصف حسان " كولخ "

وبدورا بها فتن عقولا

ولحاظا بها رمين جفاني

---

(١) سورة الاسراء الاية ٢٥.

وظبيا بها أغـــن كحيـــــــــلا
فاتنا فاتـر الجفون سـبـانـــي
فتـن القلب د لــه فشجــــــــاه
يا لقلبي من ذلـك الفتـــــــــان

ويقول يونس ذو النون في الغزل :

فتسفوق أوجهـهـا البـدور و تزدرى
نفحاتهن بكل مسـك أذفـــــــر
مهما شدا شـاد أملن قدودهـــــا
كـغصـون بان غب ريح صرصـــــر

ويقول في قصيدة أخرى غزلية :

معازفها تشجى القلوب رنينهـــــا
فتهتز أغصانا قدود غـــــــــوان

ويقول : الهادى تورى في وصف حسانه :

ونساؤ ها حور حسان خــــــرد
ظبيات وجرة كاملات الرونــــــق
فلـئن رنون فذاك أقتل للفتـــى
من ضرب أسياف و رمي البنـــــــدق

ويقول أيضا في القصيدة نفسها :

راد تخجل فيه يوحا وجهـهـــــا
بدل السراج لدى الدجى للطـــرق
لا علم لي أبقدها أم خدهـــــا
أم جيدها أم قولها المترفـــــــق

تسبي العقول و تسترق قلوب جنـ
ـس غير أني كالأسير الموثـــق
والقد غصن واللهيب كخدهـــا
والجيد جيد الرئم عند المطـــرق

ونجدهم يقلدون القدامى في مناجاة الحمامة عند الغزل ، فها هو ذا احمد عيان سه يقـــول في الغزل :

أنوح وقد ناحت بقربي حمامـــة
يهيجها نحو البكاء هديـــــل
ودوني يعقوب على فقد يوسف
وترحمني وقت النواح ثكـــول

ويقول في المعنى نفسه الشيخ الهادى تورى :

فأقول عند سماع نوح حمامـــة
يا جارتي ماذا دعاك لمأـــق

ويتابعون القدامى في وصف الليالي الوصل وأيامها بالقصر ،فها هو الشيخ الهادى تورى يقول :

ولرب ليل مثل ابهام القطـــا
بتناه فوق سريرها في عيهـــق
أعوامها مثل الشهور شهورهـــا
مثل الليالي ليلهـــا كالمبـــرق

وفي وصف طول ليل الهجر والصدود يقول الوزير الجنيد :

تطاول ليلي واستمرت وساوســـي
وفاضت على نحرى بحور المدامـــع

وبت أراعي النجم في غيهب الدجى
أشير اليه تارة بالأصابع
وصرت أمنى الصبح حتى كأنني
أبيت على جمر من النار لاذع

ومن مظاهر متابعتهم القدامى اقتباس معانيهم في شتى الأغراض فمثلا يقول الهادى تورى في وصف محبوبته :

لو نال ذو سقم بفيها قبلة
كان الشفاء له بدون ترفق

وهو معنى قديم سبق اليه الشاعر.

ويقول أيضا في وصف ركوبه :

ومطاه يبرق حابيا متطاولا
اعلى ذرى نيق الجبال الشهق
وكأنما وقع السنابك في الكدى
زند المقدح أوحباحب مخفق

فوصف سنابك الخيل في القوة والصلابة وصف قديم قدم الشعر العربي ، فها هوذا عنترة يقول :

وحوافر الخيل العتاق على الصفا
مثل الصواعق في قفار الغدفد (١)

ويقول أيضا في مبارزة الأقران :

فلربما بارزت وحدى فتية
كعديدكم بطعان رمح مزرق

---

(١) وصف الخيل في الشعر الجاهلي ص ١٢٦ د/ كامل سلامة الدقس ، ط/ دار الكتب الثقافية ـ الكويت .

وأثرت فيهم قسطلا متراكمـــــا
طاشـت به الباب ذاك الغيلـــق
حتى تبدل ليلة ذاك النهـــــا
ر وما النجوم سوى السيوف البـــرق

وهو مأخوذ من قول بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنـــــا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبـــه (١)

ومن اقتباسهم من معاني القدامى الفخر بالشجاعة في منازلة الأقران ، يقول محمد البخارى :

وأطاعن البطل الكريه نزالـــه
ان صد عنه اماثل الشجعـــان

فهو يأخذ عن عنترة وغيره حيث يقول :

ومدجج كره الكماة نزالـــه
لا ممعن حربا ولا مستسلـــم
جادت له كفي بعاجل طعنـــة
ورشاش نافذة كلون العنـــدم (٢)

ومن ذلك أيضا ارتباط صورة القتلى والجرحى بالطيور والسباع والضباع

---

(١) ديوان بشار بن برد جـ١ ص ٣١٨ شرح محمد طاهر بن عاشور ، ط/ لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة.

(٢) ديوان عنترة ص

يقول محمد البخارى :

ولقد تركنا جلهم في معـــــــرك

جزر الســباع وأسغب العقبــــان

ويقول في ذلك أيضا القاضي مجخت كل :

ورب يوم به العقبان قد حمــــدت

فعل العوالى وفعل البيض والنســر

ويقول أيضا :

مار النسور مرارا والضباع معــــــا

منهم وهل جمع أهل الشرك مكسور

ما زال يضربهم بالبيض يطعنهــــم

حيث الرصاص مع البارود منشـــــور

لم يشتك الجوع من نسر ومن ضبع

الا وهامهم في البيد مجـــــــرور

وهي صورة تكررت كثيرا عند أبي تمام والمتنبي :

ولعل أوضح مثال على محاكاة القدامى والاقتباس منهم في الصور والمعاني وصف القاضي مجخت كل لجيش " لتجور " حيث يقول :

ومن " مندداخ " جمعت الخيل يركبها

مرد علامتهم حلق وتقصيـــــــر

مثل الجراد بهم غص الغلاء وقد

غاظوا وفاروا كما قد فار تنــــور

يبادرون حياض الموت قاطبـــــة

شم العرانين أبطال مشاهيـــــر

ينازعون جيادا في أعنتهـــــا

ترنو اليهم نساء الجنـــة الحـــور

يمشي المشاة أمام الركب واحتفلـوا

أقدامهم تشتكيها التل والغـــور

لـها غبار يكاد الجـو ممتلئـــا

منه اذا قلت فيهم آمرا ســـيروا

سيرتهم فأجدوا سيرهم وأتـــى

بهم سرى ثم اصعاد وتهجيـــر

يقودهم عمك المختار محتزمـــا

كالليث ذى اللبد الشاكي أظافيـــر

نعم ان شاعرنا كان في كثير من معانيه وصوره في هذا الوصف للجيـش مقتبسا من محفوظاته من الشعر القديم الا أنه ساق ذلك في تدفق وانفعال ..

ويستعير الشيخ مالك سه في وصف شجاعة ممدوحه معنى قديمـا متمثلا في اقراء العدوى بالحسام فيقول :

وبرّك البربر العادون اذ علمـــوا

بأن موقد نار الحـــرب مقتـــدر

اذ كل من عاف منهم ما تدين بــه

قراه يوم التلاقي الصـــارم الذكـر

ومما يدل على شغفهم بمحاكاة القدامى واقتباس معانيهم وصورهم هـــذه المغامرة الخبيثة الداعرة التي نظر فيها الشيخ الهادى تورى الى كل مـن امرىء القيس امام هذا الفن وتلميذه النابغ عمر ابن أبي ربيعة فيقول :

فلرب ليل مثل ابهام القطـــــا
بتناه فوق سريرهـا في عيهـــق
لا سيما ليل طرقت خباءهـــا
وهنا وبتنا في تمـام المأنـــق
فكأن بردى من مباشرتي لهـــا
من بعد فرقتنا لطيخ الزئبـــق
حتى اذا استبدلت نكهـة ثغرهـا
من أذفر المسك الذكي المعبـــق
نبح الكلاب وصاح ديك الحـــي وان
تشر الضياء فبابنا كمصفـــق
قلقت وقامت تشتكي غير الرقيـــ
ـب ووجهها متغير للمقلـــق
قالت لاشفاق الهلاك علـــي يـا
هذا ألا تحت السرير اخرنبـــق
كثر الرجال على الطريق وكلهـــم
بطل غيور رمحه ذو مـــــــرق
فأجبتها والله لست بفاعـــل
وستعلمين بأننـــي لـم أخفـــق
أما القتال اذا تعرض لي فـــلا
أبدا أرى بمجـن عمـر أتقـــي

هذا ويتصل باقتباسهم من القديم ظاهرة الوقوف على الاطلال ، فها هـو ذا محمد بللو يقول :

يا دار سلمى باللوى فالبـــاب
قفرا لطـول تـراوح الأقطـاب

ولقد وقفت بها أسائل رسمهـــــا
اذ لم أجد متكلما بجـــواب
ولقد عهدت بها الحلول يزينهم
بين الوجوه شواقب الأحســـاب
دع عنك ذكراى خودة وديارهــا
وأوانس جاراتها أتـــــراب

ويقول أيضا :

لمن طلل عاف بذات بطـــاح
فأكناف جارات فذات بـــراح
وقفت به صحبي أسائل ربعـــه
عن الحي أيا يمموا بسجــــاح
فدع عنك ذكراها وذكر رباعهــا
وهل بعد شيب من صبي ومـــزاح

ويقول في نفس الموضوع أيضا الشيخ الهادى تورى :

لمعان برق الليل نحو المشـــرق
أبدا هوى قلبي بنور مشــــرق
آه على أطـــلال دار أحبـــــة
لي البرق خيلها كروء يا المخفـــق
فتخيلت لي دار عزة والربــــا
ب وفرتني والكـــل كالمتحقـــق
فوقفت أبكيها ولا كبكـــاء خنـ
ـساء علـى صخـر ولا كالخرنـــق

ويقول في ذلك أيضا محمد البخارى :

اصحوت أم هاجت هواك منــــازل
عفى معارفها البلى وهواطـــــل
بتلاع " ثافى " أو " بجن " فما بها
الا نعام ترتعى وفراعـــــــــل
دارعهدت بها الحلول وكل مـــن
أهوى معى والعيش غض باجـــل
ولقد وقفت برسمها مستخبــــــرا
عن أهلها والدمع منى سائـــــل
لله درك هل وقوفك نافـــــع
برسومها أم هل لدمعك طائـــل
فدع الديار وذكر أخدان الهــوى
وخرائد في مشيها تتمايـــــــل

ويقول أيضا في قصيدة أخرى :

أمن آل أم محمــــد طلـــــلان
مخلولقان بجن ذى القيمـــان
وبجنب " ثافي " ذى الربا عفاهما
قدم وكل أجش ذى هطـــــلان
أقوت ديارهما سنين فما تـــــرى
فيها سوى الآرام والريـــــلان
ولقد أطلت بها الوقوف وصحبتــي
نسل الديار عن أهلها الخــــلان

فأجابنا من بعد طول قائــــل
أنتم ومن تسلونه سيـــان

ويقول الوزير الجنيد في نفس الموضوع أيضا :

ظعن الذين عهدت في ذا النادى
ماذا وقوفك في الطلول تنادى
وعلام تبكي من بكاء حمامـــة
في أيكة تشدو على التـــرداد
والدمع يجرى فوق نحرك سائـــلا
كالماء يجرى في مسيل الــوادى
ذهبوا وغير رسم دارهم البلى ال
مردى وطول تهجر وبعـــاد
حتى كأن ذراهم لم يغشهـــا
ذو حاجة من رائح أو غـــادى
صارت مراتع للوحوش بعيد أن
كانت مقاصد حاضـر أو بـــادى
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى
الحرباء لائذة على الأعـــواد

ويقول أحمد عيان ســه في الأطلال أيضا :

أان عرضت بسلع دارس الطلـــل
اجريت ما كان في عينيك من بلـــل
وقفت في الدار محزونا تسائلهـــا
عن ساكنيها فلم تسمع ولم تقـــل

وأجهل الناس من يبغي الجواب لدى
ربع محيل بعيد العهد بالحلل
يظل فيه سوام الربيح منجفلا
بعد الأوانس والأنماط والكلل

ويقول ذو النون في مقدمته الغزلية :

عفت لسعاد من يبرين دور
على أطلالها أسفا ندور
وقد كنا بها والعيش صاف
وكاسات الهوى كنا نديرر
تجيب الصاهلات كران شاد
يرن لنا كما يتلى الزبور
وعهدي عن مسا كنها الخوالي
لها حجج وتتلوها شهور
فأسى الربع لم يؤنس ملما
به الانئيم أو زئير
ولم يسمع لذى الأطلال الا
عواد أو بغام أو صفير

ونلاحظ أن شعراء غربي أفريقيا في وقوفهم على الأطلال قد تقمصوا أسلوب القدامى فيه ،فوصفوها متناولين جميع عناصرها من الرياح التي بدلت معالمها والأمطار التي عفتها والغزلان والبقر الوحشي وغيرها من الحيوانات التي حلت بالأطلال بعد رحيل أهل الديار . ثم اثار الديار من نؤى وأنماط وكلل ..

جـ : توظيف ثقافاتهم العلمية من تاريخ ونحو وصرف وفقـــه وحديث وحساب وتنجيم وفلك ومنطق وغير ذلك في لغتهم الشعرية ..

فها هو ذا أحمد عيان سه يقول في الرثاء موظفا ثقافتـه التاريخية عن مقتل حسين بن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه :

كأن نعشك شمس اذ تسير بـــــه
ضيفا الى الروضة الفيحـاء ذى الحزن

تخال نعش حسين في بكا وأســـى
بكـــربلا بين مكبود ومتهـــــن

ويستغل ذو النون أيضا ثقافته التاريخية في مدح الشيخ أحمد بمبــــه فيقول :

ما مثله كسرى علا ومهابـــــــة
بل دون ماواه جلالة قيصـــــر

ويقول أيضا موظفا ثقافته في علم الحديث :

بل ما حكى حاك بديعا مثلــــه
بل لم يعنعن في ممر الأعصــــر

مشيرا الى العنعنة في رواية الحديث ..

ويوظف ثقافته في الأدب في احدى غزلياته فيقول :

يسير بشوقه قيس وإنـــــــــي
على علات أشواقـــي أطيـــــــر

مشيرا الى قصة قيس بن ذريح المشهور بمجنون ليلى ..

ويوظف عبدالله بن فودى ثقافته النحوية في المدح فيقول :

ولهم ككـــان ومبتدا في جارهم

عمل لغيرهـم كلم أوفي يـــــج

وفي ذلك يقول ذو النون في الغزل :

قد كنت مبتدأ وغيرى في الهـوى

خبرى و معرفة غدت لم تتكــــــر

ويقول أيضا في المدح :

ان شئت ذكره وأنـث غيـــــره

شتـان بيـن موءنـث و مذكـــــر

ويقول أيضا في الغزل :

وما ضم مثلي في الصبابة والهـوى

ظروف مكان أوظروف زمـــــان

ويستغل ثقافته في القراءات والنحو أيضا فيقول :

طويتم بساط الأنس من بعد نشـــره

كما كان يطوى قـارىء همز وصلــه

كما استغل ثقافته الفلكية في المدح حيث يقول :

فبنات نعش دون شسع نعالـــه

بل دون رتبته السهى والمشترى

وفي ذلك أيضا يقول أحمد عيان سه في الرثاء :

قد شط قرن الموت السيد ين كما

يأتي الكسوف ببرج الجدى والحمل

ومن على الأرض فان لا بقاء له

ولو تمطى الى الجوزاء أو زحل

ر : كثرة استعمالهم للغريب من الألفاظ في أشعارهم ،

فها هو ذا عبدالله بن فودى الوزير يمدح فيأتي بالغريب ويركب متوعر الألفاظ فيقول :

عج نحو أضواج الأحبة من "مج"

واشرب من الأنشاج ماء الترعبج

شج الدموع على منازلهم بها

واشف الجنان من الهموم الدمج

قف عندها سل من بها فعسى تجب

حوجاء أو لوجاء ترضى من شجى

وهي قصيدة طويلة يصعب على القارئ فهمها بدون أن يستعين بالمعاجم اللغوية .. ويعتبر عبدالله بن فودى أكثر شعراء العربية شغفا بهذه الظاهرة..

وها هو ذا محمد بللو أيضا يتباصر بالغريب في مدح شيوخه فيقول في بعض أبياته :

يا دار سلمى بقو اوبخيف منى

اقوت كأن لم تكن صارت لها وطنا

.. خلت كأن بها خيط النعام ضحى

كوم تروت وأمت في الضحى عطنا

وحين لم ألف الغا في معاهدها
سلبت نفسي بصعب ان جرى أرنا
فحل سبحل أنيق عوهن ثقف
كأنه قارب أمواجه السفنا
كأن رحلي بذى ضال ودارتها
على أقب بجزع يبتغى أتنا
مسحج فارح مستأنس وحد
مما تعاوره الكلاب في ضجنا
فأفردوه فأضحى لا يوالفه
عين ولا مسحل البهمي لذا مزنا
فذاك يبلغني دارا بها نزلت
سحابة العلم تهمي لم تزل زمنا ..

هذا ، ونكتفي بهذين المثالين لظاهرة الغريب من الألفاظ في شعر هذه المنطقة ،على أنها ظاهرة ملموسة من جميع شعراء هذه البلاد ...

هـ : ذكر كثير من الأمكنة في أشعارهم من حصون وحياض وأنهار ومدن ،وبخاصة تلك التي كانت تدور حولها رحى الحرب ..
فها هوذا عبدالله بن فودى في غزوة " غوبر " يقول :

وكم طلل علمت "بريمَ" خال
و"شَمْغَل" كَوْ "كَنْ" و"غَلَم غَلم"
وكم يوم "بِكَنْ" لنا عليهم
و"طَانْ غَادَا" و"غُردم" أي يوم

فأوردهم " بِغافرا " حوض موت
فغر لأهله بلباس نوم

ويقول في غزوة " غارِ " :

يا أهل " غارِ " ألمّا يكفكم " كَشنا"
والجار يسمع ما قد حل بالجار
كذا " كَنوُ " مع " زكزَك " وهي قريكم
و" زَنفرا " مع " غوبرَ " نسل "بابارِ "

ويقول محمد بللو في انتصارهم على الوثنيين :

سرنا الى " غُمِكي " وفرّ " الأسونَ "
قواد أهل الشرك والأحزاب
نزلوا " كَدابي " بالعتو وأُلبوا
أهل القرى ووادى الأعراب

ويقول أيضا في غزوة " كنو " :

سائلوا عنا وعن أعدائنا
يوم دار الحرب في "كنو" الحفر
.. لكم كربه فرساننا
في صناديد " كَياوا " المنكسر

ويقول أيضا في احدى جهادياته :

فحزنا ياتوارك أهل " أزبن"
ففروا كي يخلصكم فرار

ويذكر عبدالله الوزير الحصون التي فتحوها في احدى غزواتهم فيقول :

فتحنا حصونا بين "كُنْدَ " و"كَندَكا"

تزيد على عشرين بالقهــر والقوى

ويقول محمد البخارى في الانتصار على البغاة :

سل أهل " زنغر " عنهم يوم التقوا

"بأبيت " بعد تحزب السـودان

من أهل " ياور" كلهم و" كتنكرو"

وسواهم من ناصرى الشيطــــان

ويقول القاضي مجخت كل في وصف بسالة "لتجور"

تالله ما سالموا الا لما عهـــدوا

أيام لا قوك في "كولكول " وفي "لور"

و"بوك" بعد "مخ" فالسلم موجبها

لم يخف أنك يا ضرغام محـــذور

ويقول في قصيدة أخرى :

وظن أن له منجا ومعتجـــا

اذ صار "جور" له سكنى و" كوور"

ويقول أيضا :

أصادق في ادعاء الدين "لتجـــور"

أم انما همه في ذاك " كجـــور"

.. فثم ولوهم الأدبار فانهزموا

بالذل فادعوا الاسلام في "جـــور"

ويقول أحمد عيان سه في الوصف :

قد رجعت "سانليوسا " روحه وزهى

وسر سور كما شئناه وارتاحـــا

هذى شموس " دكار" حل طالعها
فينا فكل بما يخفيه قد باحـــــا

ويقول في الحنين الى " كولخ ":

لست أنسى ظـبـاء "كَوْلَخْ" فيهـا
وظباء القنا وعـين عمـــــــان

ويقول أيضا في شعره الاجتماعي :

يا أهل "سنغال " لا عاداكم الزمن
لم لا تسيربكم نحو العلى سفـــن

ويقول الوزير الجنيد في الحنين الى بلده :

لي فـي المعاهد صبوة لكنهـــا
ليست تعاشر صبوتي في " يـولا "

ويقول في وصف رحلته الى السودان أيضا :

خرجنـا بعون الله من " غَلَس" الى ال
مطار وكنا كالطيور البواكـــــــر
فطارت بنا في الجوولاجة الهـوا
تدافع أمواج الهواء في الهواجـــر

هذا ، وقد أعطت هذه الأماكن والحياض والأنهار والحصون والمـــدن الشعر العربي في غربي أفريقيا نكهة أفريقية مميزة وأضفت عليه طابعـــا اقليميا مميزا انفرد به غصنه من بين أغصان دوحة الشعر العربـــي أو الأدب العربي عموما ..

و : بعد شعرهم عن التعقيدات الفلسفية والعمق الذهني ، واعتمادهم على العفوية والبساطة وعدم التكلف .. ونجد أنفسنا في غنى عن ذكر الأمثلة في ذلك فكل بيت من أبيات شعرهم تقريبا يقوم مثالا ودليلا على ما قلناه .

ز : موسيقا أشعارهم تدور في البحور الرحبة غالبا وقليلا ما تخرج عنها ، فاذا تناولت شعرهم الغنائي بصفة عامة تجد أن الأوزان الاثيرة عندهم تأتي من حيث الكثرة على النحو التالي :

البسيط ثم الطويل فالكامل ثم الوافر فالخفيف وقليل جدا خروجهم عن هذه البحور الخمسة .. ولا غرابة في أن تستأثر هذه الأوزان أو البحور بمعظم أشعارهم ، فقديما كانت الأوزان الأثيرة عند الفحول ..

يقول أبو العلاء المعرى : " والبسيط والطويل ليس في الشعر أشرف منهما وزنا ، وعليهما جمهور شعر العرب . واذا اعترضت الديوان من دواوين الفحول كان أكثر ما فيه طويلا وبسيطا .. والأوزان التي تتقدم في الشعر كله خمسة : ثلاثة هي ضروب الطويل بأسرها ، والضربان الأولان من البسيط .

.. ويلي هذه الخمسة في القوة ثلاثة أوزان وهي الوافر الأول .. والكامل الأول .. والكامل الثاني .. " (١)

---

(١) الفصول والغايات ص ٢١٢ - ٢١٤ لابي العلاء المعرى ط/ المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت .

الخاتمة

خاتمـــــــة

تبين لنا من خلال دراستنا للشعر العربي في غربي أفريقيـــــا الحقائق الآتية :

أن دخول الاسلام الى هذه المنطقة قديم ، فقد كانت الاشراقة الأولى للاسلام على هذه البلاد في أواخر العصر الهجرى الأول ، وهي الحقيقة التي تثبتها وتؤكدها حقائق تاريخية تمثلت في قدم العلاقة بين هذه المنطقة وبين بعض البلاد الاسلامية كمصر وأفريقية ، وهي علاقـات كانت في بدايتها تجارية .. وما أن أشرق الاسلام بنوره على الجزيـــرة العربية ومن ثم على مصر وأفريقية ، حتى تحولت الى علاقات دينيـــة في الدرجة الأولى ..

وأن اللغة العربية واكبت خطوات الاسلام وظلت تتطور حتى أصبحت لغة الادارة الرسمية في شتى ممالك المنطقة .. ونحن على ذكر بما ذكره البكرى من استعانة ملك " غانة " .. قبل اسلامه بخبراء الادارة والتراجمة من المسلمين .. كما رأينا دولة " مالي " أيضا تتخذ العربية لغـــة رسمية ، وكذا دولة " صنغاي " و " دولة الغلاني التي أسسها الزعيم الروحي الشيخ عثمان بن فودى في نيجيريا ..

وأن الفرية الاستعمارية التي تزعم أن حضارة غربي أفريقيا مرتبطة بالغرب مزيفة منقوضة ، ذلك أن الاسلام هو العامل الأول والأخير في صبغ هذه المنطقة بالحضارة الحقيقية والرقيّ السلوكي .. ويوثق هـذه الحقيقة أن القوم كان لهم واقعهم المادى المتمثل في النظم السياسيـــة والعسكرية والاقتصادية . ونحن على ذكر بما قرره عنها المؤرخـــون

والجغرافيون العرب المسلمون ،أمثال ابن الفقيه والفزارى وابن حوقل والعمرى والبكرى وابن خلدون الذى يقول في أهل " غانة " : " كانت أعظم أمة ولها أضخم ملك " وقد جعل القلقشندى سلطانها من بين سلاطين الدنيا الأربعة .. ثم جاء الاسلام فانتشلها من هذا الواقع المادى الى حضارته التى تجمع في نسيجها بين الرقي المادى والرقي الروحي الذى استشعر الانسان الافريقي تحت ظله كرامته البشرية كما وجد فيه ضالته الروحية.

وأن الشعر العربي القديم كان له الأثر الأقوى على ملكاتهم الفنية فيما انتجوه من أشعار ، وربما كان يرجع ذلك الى تشابه البيئة التي هي أقرب الى البداوة ..

وأن النغمة الدينية قد غلب على معظم أغراض شعرهم كما غلبت النغمة الحماسية على أشعار الجهاد ضد الوثنيين أولا و مقاومة الاستعمار ثانيا ..

وأن لغة أشعارهم في شتى الأغراض الغنائية قد اتسمت بالجزالة ووعورة الألفاظ أحيانا ،كما اتسمت أشعارهم التعليمية بلغة شعبية سهلة شديدة القرب من أفهام العامة ..

وأنه لم يتح لأغلب شعراء غربي أفريقيا الاطلاع المنظم على دواوين الشعر العربي القديم في جميع عصوره ،فيما عدا القصائد الست للشعراء الجاهليين .. وانما استقوا ثقافاتهم الأدبية من كتب تستشهد بهذه الأشعار ،ولذلك قل الابتكار والتجديد عند الكثرة الكاثرة منهم .. كما أنه لم تبلغهم بشائر النهضة للشعر العربي الحديث .

وأخيرا ،فانني أتقدم بدعوة جامعات الدول العربية بصفة خاصة والعالم الاسلامي بصفة عامة ،الى العناية بتراث منطقة غربي أفريقيا العربي الاسلامي ،وبعثه من غياهب خزائن مكتبات فرنسا وبريطانيا وجامعات غربي أفريقيا .. وصرف جهود طلاب الدراسات العليا العربية والشرعية والتاريخية والحضارية نحو تحقيق ودراسة هذا التراث الثمين الذى يسهم بنصيب وافر في اثراء مكتبة التراث العربي الاسلامي ..

هذا ما نرجوه .. والله الموفق ،،،

و قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ... ،

فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجــــع

أولا : المخطوطات :

- ابراهيم نياس ،

مجموعة قصائد .

- أبو بكر بن احمد (المسكين) ،

ديوان شعره المسمى (جامع الامثال والحكم الفائقة المثال) .

- أبو بكر بن محمود غمي ،

ديوان أبي بكر غمي .

- احمد بمبه البكي (الشيخ الخديم) ،

مجموعة أشعار .

- أحمد عيان سه ،

ديوان شعره .

- أسماء بنت عثمان بن فودى (نانا) ،

مجموعة أشعار .

- اسماعيل بن محمد ،

مجموعة أشعار .

- ابن العربي ،له

قصيدة في المدح .

- الجنيد بن محمد البخارى (الوزير) ،

ديوان قصائد الوزير .

ضبط الملتقطات .

افادة الطالبين ببعض قصائد امير المؤمنين محمد بللو .

اتحاف الحاضر بمرأى المسافر .

تفريج النفس بذكر زيارة العراق والقدس .

مجموعات الدعوات والتوسلات .

روائع الأزهار من روض الجنان .

الرحلة الممتعة الى ليبيا والسودان والجمهورية العربية المتحدة .

- عبد الله بن فودى (الشيخ الوزير) ،

تزيين الورقات .

البحر المحيط .

الحصن الرصين (الحصن الرصين)

مجموعة قصائد .

فتح اللطيف الوافي في علمي الخليل والقوافي .

- عبد الرحيم ،

مجموعة أشعار .

- عمر ابراهيم (القاضي) ،

ديوانه " حديقة الأزهار " .

- مالك سه الشيخ ،

مجموعة أشعار .

- مجخت كل (القاضي) ،

محمد الأمين بن الزبير ،

مجموعة أشعار .

- محمد البخارى بن عثمان ،

الميل على حب النساء .

- محمد بللو بن عثمان (السلطان) ،

مجموعة قصائد .

مرثية عمه عبد الله .

تخميس بانت سعاد .

مجموعة أشعار .

- محمد أنياس (الشيخ) ،

مجموعة أشعار .

- محمد سنبو بن أبي بكر (الوالي) ،

ديوان شعره .

- محمد الناصر (الشيخ الكبرى) ،

النفحات الناصرية في الطريقة القادرية .

- محي الدين كشمه (الشيخ) ،

مجموعة أشعار .

- الهادى تورى (الشيخ) ،

القافية المطولة .

مجموعة أشعار .

ثانيا : المطبوعـــات :

١ - العربيـــــة :

- ابن بطوطـة ،
رحلة ابن بطوطة (دار صادر و دار بيروت) .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ،
العبر وديوان المبتدأ والخبر (دار الكتاب اللبناني) .
- ابن رشيق القيرواني ،
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (طبعة دار الرشـــاد الحديثة - الدار البيضاء) .
- ابن عذارى المراكشي ،
البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الاندلس والمغرب ،
تحقيق ج . س كولان وأ . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة بيروت.
- ابن قتيبة الدينورى ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي ،
الشعر والشعراء (دار الكتب العلمية) .
- أبو العلاء المعرى ، أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي ،
الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ (المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت) .
- الادريسي محمد بن عبد العزيز الشريف العلوى ،
المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس (ليدن) ٨٩٤ .
- الفع محمود كعت (القاضي) ،
تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس (هوداس) باريس ١٩٦٤م .

- البكرى أبو عبيدالله بن عبد العزيز ،
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (دى سيلان ، بارس ١٩٦٥م)
- بهاء الدين العاملي ،
الكشكول تحقيق الطاهر أحمد الزاوى (دار احياء الكتب العربية) .
- الحريرى ،
شرح المقامات الحريرى للشريسى ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم
(الموءسسة العربية الحديثة) .
- الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاشي ،
فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (دار الغرب الاسلامي بيروت) .
- عبد الرحمن السعدى ،
تاريخ السودان (هوداس ، باريس ١٨٩٨) .
- عبدالله فودى ،
ضياء التأويل في معاني التنزيل .
- القلقشندى ، الشيخ أبو العباس أحمد بن علي .
صبح الأعشى في صناعة الانشا (الموءسسة المصرية العامة) .
- محمد بن سلام الجمحي ،
طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر (دارالمعارف) .
- المقريزى ، تقي الدين أحمد بن علي .
الذهب المسبوك (لجنة التأليف والترجمة والنشر) .
- الوزير الغرناطي ،
تاريخ المغرب في العصر الوسيط .
- ياقوت الحموى ، لسان الدين ابن الخطيب ،
معجم الأدباء ، (دار المأمون) .

دواوين الشعر :

- شرح ديوان امرئ القيس ،

دار صادر ودار بيروت.

- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ،

محي الدين عبد الحميد (مطبعة المدني القاهرة) .

- ديوان أبي نواس ، دار صادر ودار بيروت.
- ديوان بشار بن برد ، شرح محمد طاهر عاشور ، ط/لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة.
- ديوان الخنساء ، دار صادر ودار بيروت .

- ديوان الخنساء ، دار صادر بيروت .

- ديوان طرفة بن العبد ،

شرح الأعلم الشنتمرى ، مجمع اللغة العربية بدمشق .

- ديوان عنترة ،

تحقيق محمد سعيد مولوى (المكتب الاسلامي) .

- ديوان المتنبي ،

شرح أبي البقاء العكبرى - مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

- ديوان النابغة الذبياني ،

تحقيق الدكتور شكرى فيصل (دار الفكر) .

- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ،

للاعلم السنتمرى (دار الفكر) .

- شرح القصائد السبع الطوال ،

لأبي بكر بن القاسم الأنبارى (دار المعارف) .

- شرح قصيدة بانت سعاد ،

لكعب بن زهير لابن هشام تحقيق محمد حسن أبو ناجي ،

(الوكالة العامة للتوزيع)

- مختار الشعر الجاهلي ، لمصطفى السقا
مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

المراجـــع :

- ابراهيم طرخان (الدكتور) ،
امبراطورية غانة الاسلامية (الهيئة المصرية العامة للكتاب) .
دولة مالـــي = = =
- أحمد شيخو علادنش (الدكتور)
حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (رسالة دكتوراه) .
- أيهم عباس حمودى القيسى ،
شعراء العقيدة في عصر صدر الاسلام (مكتبة النهضة الحديثة)
- حسن ابراهيم حسن ،
انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ،
مكتبة النهضة المصرية القاهرة .
- حسنين عيسى عبد الظاهر (الدكتور) ،
الدعوة الاسلامية في غربي أفريقيا وقيام دولة الفلاني (جامعـــة
الامام محمد بن سعود الاسلامية) الرياض .
- عامر صاحب (الدكتور) ،
الأدب السنغالي العربي (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر)
- عبد الرحمن زكي (الدكتور) ،
تاريخ انتشار الاسلام في غربي افريقيا (دار الاتحاد العربي) .
تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية (المؤسسة
العربية الحديثة) .

- عبد القادر زبادية ،

مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر) .

- عبدالله بن حامد الحامد ،

شعراء الدعوة الاسلامية .

- عبدالله كنون ،

النبوغ المغربي في الأدب العربي (دار الكتب للملايين) .

- على أبوبكر (الدكتور) ،

الثقافة العربية في نيجيريا (مؤسسة عبد الحفيظ البساط بيروت) .

- عمر رضا كحالة ،

معجم المؤلفين ، دار احياء التراث العربي بيروت .

- كامل سلامة الدقس (الدكتور) ، وصف الخيل في الشعر الجاهلي ، دارالكتب الثقافية ، الكويت .

- محمد الربيع (الدكتور) ،

أبو الحسن التهامي حياته وشعره (مكتبة المعارف الرياض) .

- محمد زغلول سلام (الدكتور) ،

الأدب في العصر المملوكي (دار المعارف) .

- محمد الغربي (الدكتور) ،

بداية الحكم المغربي في السودان الغربي (مؤسسة الغليج للطباعة والنشر الكويت) .

٢ - المـــراجـع الأجنبية :

- Encyclopedia International , New York.
- Encyclopedia Britanica, London 1938. Chicago 1978.
- Thomas Aguinas

  Every man's Encyclopedia, New York Ed. Dotton Co., i nc. 1931-32

  Eric Patridge

  Short Etymotogical Dictionary of modern English origin, Lndon.
- C.T. Lewis and C. Short,

  A latin Dictionary , Oxford.
- M. Hiskett, The Development of Islam in West Africa, Longman, London , and New York 1984.
- Bartts H., Travels and Dicoveries in north and central Africa in the years 1809-1855, London 1858.
- P.B. Clarke ,

  West Africa and Islam, Edward Arnold, London, 1982.
- Palmer H.R.,

  Sudanese Memoirs Volume III, London 1920.
- Hoben S.J.,

  The Muhammadan Emirates of Nigeria, London 1930.
- Trimingham J.S.

  Islam in West Africa, Oxford University press, 1972.

محتوى الرسالـــــة

الموضـــوع	الصفحـــة